الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان-

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
شعبة القرآن الكريم والدراسات الأدبية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القرآن الكريم والدراسات الأدبية
بعنـــــــــوان

جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني
دراسة بلاغية لآيات الأسماء الحسنى

إعداد الطالب: محمد بوهند
إشراف: أ.د. محمد طول

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ محمد موسوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/ محمد طول	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د/ حسين فارسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
د/ بلي عبد القادر	أستاذ محاضر «أ»	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا
د/ بن علي قريش	أستاذ محاضر «أ»	جامعة سيدي بلعباس	عضوا
د/ أحمد دواح	أستاذ محاضر «أ»	المركز الجامعي مغنية	عضوا

السنة الجامعية: 2016-2017

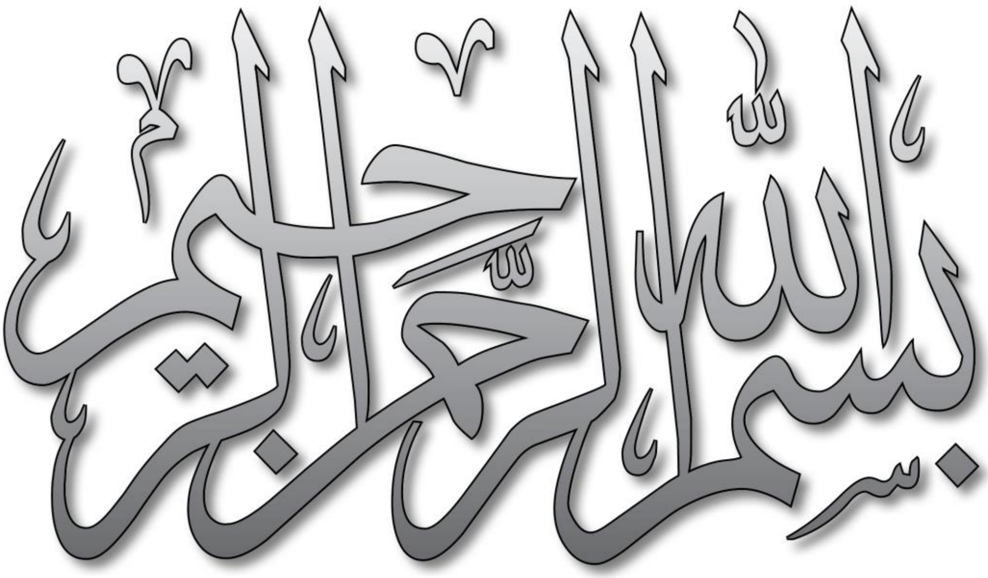
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وإهداء

فالحمد لله حمدا لا نفاد له ۞ منه المواهب والأنوال والسّول

والحمد لله حمدا لا حدود له ۞ لا يحصه العدّ والتكثير تحصيل

شُكْرا لك يا الله على بلوغ هذه المنزلة وإنجاز هذا العمل، فالحمد لك أولا وآخرا.

والشكر للوالدين اللذين أرجو أن يكتب هذا العمل في ميزان حسناتهما...

والشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل أ.د/ محمد طول المشرف على هذا العمل، الذي أسأل الله أن يجزل له الثواب ويجعله في ميزان حسناته...

والشكر إلى جميع الأساتذة الذين درسوني وأشرفوا على أعمالي وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل أ.د/ عبد القادر سلامي الذي أحيي فيه تواصله وتواضعه وسخاءه.

والشكر كذلك إلى الزوج والأبناء الأعزاء الذين أرجو أن يسلكوا مسلك العلم والطاعة...

والشكر أخيرا إلى كل أصدقائي ومن أعانني لإنجاز وإتمام هذا العمل...

محمد بوهند

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الموصوف بصفات الجلال والجمال، والصلاة والسلام على خير الأنام المحبِّب إلى جمال الأخلاق والفعال، والمخبر عن ربه: «إن الله جميل يحب الجمال».

استجابة للتوجيه القرآني الداعي إلى التفكير في الأنفس والآفاق، فإن الجمال هو نوع من تدبر آيات الله في الكون، وهذا التدبر قد يكون بالتعبير وقد يكون بالتشكيل، وفي الحالتين فإن المسلم يغوص في أعماق الواقع فيتحرى فيه مواضع الجمال أو يستنطقه، وقد يتعامل مع الواقع المحسوس لكنه أيضًا قد يتجاوزه وينفذ إلى ما وراءه، محاولاً السباحة في الآفاق اللانهائية، وهو في تجواله ذاك يتقلب في بديع صنع الله، ويتعلق بأهداب عظمة خلقه، حيث تتجلى تلك العظمة في كل ما تقع عليه عيناه أو يمر على خاطره.

إن المتجول في رياض القرآن يرى بوضوح أنه يريد أن يغرس في عقل كل مؤمن وقلبه الشعور بالجمال المبثوث في جنبات الكون، من فوقه ومن تحته ومن حوله، في السماء والبر والبحر والنبات والحيوان والإنسان.

ففي جمال السماء يقرأ المسلم قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [ق:6]. ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦﴾ [الحجر:16].

وفي جمال الأرض ونباتها يقرأ: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧﴾ [ق:7]. ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ [النمل:60].

وفي جمال الحيوان يقرأ قوله تعالى عن الأنعام: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦﴾ [النحل:6]، وفي جمال الإنسان يقرأ: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ [التغابن:3]، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار:7–8].

وهكذا فإن المؤمن يلاحظ وهو يقرأ كتاب الله أنه يُدفَع لأن يرى يد الله المبدعة في كل ما يشاهده في الكون، ويبصر جمال الله في جمال ما خلق وصوّر، يرى فيه ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ﴾ [النمل: 88]، و﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ [السجدة:7] وبهذا يحب المؤمن الجمال في كل مظاهر الوجود من حوله، لأنه أثر جمال الله جل وعلا، وهو يحب الجمال كذلك لأن ربه يحبه، فهو جميل يحب الجمال كما أخبر بذلك الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

لقد حرص القرآن الكريم في مواضع عدة على التنبيه إلى عنصر الحسن والجمال الذي أودعه الله في كل ما خلق، إلى جانب عنصر النفع أو الفائدة، وكأنه يريد أن يثير انتباه المؤمنين إلى أن تعاملهم مع ما حولهم لا ينبغي أن يظل محصورًا في نطاق العلاقة الوظيفية الآلية، وإنما عليهم أن يلتفتوا أيضًا إلى البعد الجمالي في تلك العلاقة، ذلك أن

الله سبحانه وتعالى شرع للإنسان إلى جانب "المنفعة" الاستمتاع بالجمال، أو "الزينة" وهو الوصف الذي يجسد الجمال في الخطاب القرآني.

ففي معرض الامتنان بالإنعام يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ [النحل:5] هذا إشارة إلى الشق المتعلق بالمنفعة والفائدة، ثم يقول: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ [النحل:6]. وفيه إشارة وتنبيه إلى الجانب الجمالي في العلاقة، وفي نفس السياق يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:8]، ذلك أن الركوب يحقق المنفعة المادية فتتحقق العلاقة الوظيفية، أما الزينة فهي متعة جمالية تريح النفس وتبهج العين، وفي ذات السياق بنفس السورة، تحدث الله تعالى عن تسخير البحر فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ [النحل:14] إذ لم يقصر فائدة البحر على العنصر المادي المتمثل في استخراج ما يؤكل منه، بل ضم إليه الحلية التي تلبس للزينة، فتستمتع بها العين والنفس.

هذا التوجيه القرآني تكرر في أكثر من مجال، مجال النبات والزرع والنخيل والأعناب والزيتون والرمان، متشابها منه وغير متشابه، وهو توجيه لا يقف عند حد الاستمتاع بالشيء ولكن يمتد إلى التفكر في الأمر، ومعرفة أن ذلك من بديع صنع الله، وآياته التي ينبغي أن يعيها المؤمنون.

والقرآن لا يدعو المؤمنين فقط إلى ملاحظة الجمال والزينة في بديع الخلق، ولكنه يدعوهم أيضًا لأن يتجملوا هم أنفسهم، بل وينكر عليهم عدم الاكتراث بأسباب الزينة: ﴿

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف:31-32]، فالآية تبدأ بالحث على التزين لحاجة الوجدان، ثم تنتقل إلى الأكل والشرب لحاجة الجثمان، ثم تستنكر بعد ذلك تحريم زينة الله التي أخرج لعباده، وتحريم الطيبات والرزق، وإذا لاحظنا أن البيان الإلهي استخدم مصطلح "زينة الله" فسنجد أن ذلك يرفع من مقام الزينة ويشرفها، ومن ثم يحبب فيها ويجعل تحصيلها قريبًا إلى الله سبحانه وتعالى، إذا ما خلصت النية بطبيعة الحال.

في كل ذلك فإن القرآن يدعو الخلق كافة إلى تذوق ما في الكون من جمال وإبداع فضلاً عن دعوتهم إلى الاستمتاع بذلك وهذه الثقافة تنمي عند المسلم حاسة تذوق الجمال والسعي إليه، وتوفر للموهوبين من المسلمين أفقًا واسعًا للإبداع إبحارًا في الملكوت الواسع الحافل ببدائع الخالق في مختلف الآفاق.

ونتيجة لهذا فإن القرآن يدعو إلى التأمل في صاحب الجمال الأكبر، الذي بث الجمال في كل ذرة من خلقه، وكان للنظر إلى وجهه لذة لا تضاهيها لذة، فقد قال أعلم العارفين به ﷺ: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك»، لذة لن تكون إلا إذا كان هذا الوجه في أكمل صور الجمال، حتى صار حجابه النور، قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ... لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» فما بالك بما دون الحجاب، لكن حتى وإن تعذر علينا وعلى من هم أفضل منا من الأنبياء والرسل النظر إلى وجهه سبحانه، فإنه لن يتعذر علينا أبدا أن ندرك بعضا من هذا الجمال من خلال الأسماء التي عرف الله بها نفسه، فقد جعلها سبحانه وتعالى، علما عليه ووصفا دالا إليه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:22-24].

إن الإسلام حين دعا إلى تذوق جماليات الحياة لم يكن يسعى فحسب إلى تحقيق التوازن في نفس المؤمن بين احتياجاته المادية وأشواقه الوجدانية والروحية، وإنما كان يتجاوب في الوقت ذاته مع فطرة الإنسان وطبيعته، وهي الطبيعة التي ما كان يمكن كبتها أو تجاهلها، وإلا فقدَ الإسلام أحد أهم مميزاته، من حيث كونه دين الواقعية والفطرة، الذي هذب نوازع الإنسان ولم يقمعها، أهم من هذا وذاك أن تلك الدعوة اعتبرت سبيلاً إلى تثبيت الإيمان وتأكيد الثقة في قدرة الله، خالق الأكوان ومبدعها، الأمر الذي جعل من الخطاب الفني سبيلاً إلى تعزيز الإيمان بالله وبابًا من أبواب التقرب إليه سبحانه عبر الإعلاء من شأن نعمه التي أسبغها على الكون.

وللخطاب القرآني جمالياته الفنية التي تؤثر في العقل والعاطفة معا، فهو يخاطب العقل في أرقى عملياته الفكرية ويخترق كوامن الوجدان فيرققه حتى يصبح حيا صافيا متألقا.

والجمال ملمح أساسي في الخطاب القرآني يتضافر في تحقيقه اللفظ بجماله الصوتي وانسجام حروفه والجملة بتناسق تراكيبها ونغماتها، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي والسياق العام.

إن الجمال في الخطاب القرآني نمط في الأسلوب البياني بلغ حد الإعجاز، وكان تأثيره في النفوس نافذا حتى الأعماق.

- هذا الموضوع:

لقد وقع الاختيار على هذا الموضوع بعد أن أشار علي الأستاذ المشرف أ.د. محمد طول بالاستمرار في نفس مجال موضوع الماجستير لاستثمار ما تم التوصل إليه وإثرائه، وقد سررت كثيرا بهذا التوجيه لأنني لن أجد أفضل ولا أشرف من الغوص في موضوع جماليات الخطاب القرآني وعلاقة ذلك بأسماء الله الحسنى وتأثيره على مختلف السياقات القرآنية، ومن ثَمَّ فقد حاولت من خلال هذا البحث تأمل آيات الله المتضمنة للأسماء الحسنى، ثم علاقة هذه الأسماء بالسياق وتأثيرها على جماليات الخطاب القرآني الذي بلغ مبلغا عظيما من الإعجاز البياني.

- عنوان الموضوع:

بعد التشاور مع الأستاذ المشرف، تم الاتفاق على عنونة الموضوع بما يلي: **جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني -دراسة بلاغية لآيات أسماء الله الحسنى-**، حيث يتناول الموضوع بدرجة أقوى مكونات الخطاب القرآني بدءا من المفردة وانتهاء بالسياق العام، والجمال الذي تضفيه الكلمات القرآنية مفردة كانت أو مركبة في سياقات مختلفة. وبالمقابل العمل على معرفة الظلال الدلالية التي يؤديها الاسم مفردا ثم في سياق الآية أو سياق السورة. وكلمات أسماء الله الحسنى هي لب البحث والتطبيق، إذ سيكشف الموضوع جمالية كلمات الأسماء الحسنى مفردة ومركبة في تراكيب مختلفة وأنماط متعددة من النصوص.

وبناءً على ذلك يمكن تلخيص أسباب اختيار الموضوع فيما يأتي:

1. شرفه لكونه متعلقا بالدراسات القرآنية ومن ثَمّ بالأسماء الحسنى.
2. ندرته وخاصة فيما يتعلق بالحديث عن المناسبة بين الاسم والسياق القرآني.
3. عمق الموضوع من الناحية التفسيرية، لأنه يبحث أسرار تضمن الآيات للأسماء الحسنى.

4. الربط بين الجمالية بكل أبعادها والسياق القرآني.
5. كشف الجمالية التي تضفيها الأسماء الحسنى على النص القرآني.
6. بيان أوجه التناسب والتناسق بين أغلب مكونات النص القرآني، خاصة المشتملة على أسماء الله الحسنى.

ثم أن البحث في هذا المجال يتيح للباحث الاطلاع على طبيعة المواضيع التي تعالج جماليات الخطاب القرآني وتسبر معانيه وفوائده، لذلك سيبقى دائما بحاجة إلى مزيد تعمق لأنه من العسير تقصي كل الآيات المتضمنة لأسماء الله وكشف الأبعاد الجمالية التي تتضمنها سواء من حيث اللفظ أو المعنى.

أما مجال الدراسة فإنه لم يقتصر على سورة واحدة، ولكنه شمل القرآن كله، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه تم التركيز على الآيات والمواضع التي تتناسب والموضوع المعالج في فصول البحث ومباحثه، إذ يستحيل دراسة كل الآيات المتضمنة لأسماء الله الحسنى.

❖ أما التساؤلات التي حاولت الإجابة عنها فهي كالتالي:

- ما هي ضوابط إحصاء أسماء الله، وما هي دلالاتها اللغوية والشرعية؟
- ما هي مظاهر الجمالية في الخطاب القرآني؟
- هل تختلف دلالة الأسماء الحسنى بين إطلاقها مفردة أو مقترنة ببعضها؟
- هل يدل تعدد أسماء الله على ترادف معانيها أو تباينها؟
- ما هي الأبعاد الجمالية للكلمة القرآنية وبالأخص الأسماء الحسنى؟
- هل تقتصر الفاصلة المتضمنة للأسماء الحسنى على مجرد البيان أم أن لها صبغة جمالية؟
- ما مظاهر جمالية الجملة القرآنية وإعجازها؟
- هل للنظم القرآني أثر في تعزيز جمالية الخطاب القرآني؟
- ما هو الجمال الذي تضيفه أسماء الله الحسنى إلى القصص القرآني؟
- ما العلاقة بين السياق والأسماء الحسنى؟

- هل التناسب مظهر من مظاهر جمال الخطاب القرآني المتضمن لأسماء الله؟
- ما هي أوجه التناسب في الخطاب القرآني وما تأثير الأسماء الحسنى في ذلك؟

- **منهج البحث:**

اعتمد موضوع البحث على المنهج الوصفي باعتماد تقنيتي الإحصاء والتحليل.

إذن فالمنهج يعتمد على إحصاء اللفظ القرآني المتمثل في أسماء الله الحسنى في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة على أغلب نظائرها في القرآن، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسيكون لمعاجم العربية وكتب التفسير دور في خدمة هذا المنهج، لأنني سأحاول إدراك حسّ اللفظ العربي في النص القرآني، لأنه من الواضح أنه لا سبيل لدراسة أي نص في لغة ما، دون فهم لألفاظه في لغته، ثم يأتي دور المنهج الوصفي فيكون للنص بعد ذلك أن يحدد لكل لفظ دلالته الخاصة من شتى الدلالات، أو يضيف إليها ما ينفرد به، والأمر كذلك فيما يهدي إليه المنهج التحليلي من وجوه بيانية وظواهر أسلوبية، أستفيدها من مختلف كتب التفسير القديمة والحديثة، فأنتفع بجهود المفسرين حين أعرض أقوالهم على القرآن الكريم، وأقبل منها ما يحتمله النص والسياق. ثم إن الأمر الأهم هو أنه لا يعني من تفسير كلمة قرآنية أنه يمكن أن تقوم الكلمة المفسِّرة مقام الكلمة القرآنية في سياقها، على وجه المماثلة والترادف، فهيهات لبشر أن يأتي بآية من مثل هذا القرآن، فالتفسير وإن كان وسيلة أساسية لفهم نصوص القرآن على وجه الشرح والتقريب، لكن لا يمكنه أن يحل محل الكلمات القرآنية، ولعل هذا ما حمل المفسرين على التطويل في الشرح والتكثير في وجوه التأويل للكلمة أو الآية القرآنية، من حيث يتعذر علينا جميعا الإتيان بكلمة أخرى مماثلة لها، في موضعها من البيان المعجز.

ولما كان موضوع الدراسة جماليات الأسماء الحسنى في القرآن صح العزم على تتبع أسماء الله في القرآن الكريم، وردّ الآيات إلى موضعها، بعدها تأتي المباحث التي تتحدث عن المناسبة بين الاسم والاسم الآخر –في الأسماء المزدوجة– ولماذا يقترن هذا الاسم

بذاك، ثم المناسبة بين الاسم أو الاسمين بسياق الآية أو السورة باختلاف أنماط النصوص، وفي كل ذلك الجمالية التي تضفيه تلك الكلمات التي تحمل معاني الجلال والجمال، ولا يمكن تجاهل جماليات التناسب بمختلف مكوناته اللفظية والتركيبية والقصصية... ومما يتعذر الإحاطة به –خاصة إذا تعلق الأمر بكل القرآن– هو شرح كل المناسبات التي بين الاسمين المزدوجين أو المناسبات بين الاسم والآية أو السورة، لذلك اكتفيت بعرض أبرزها.

خطة البحث:

وبهذا فقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحث تمهيدي ثم أربعة فصول رئيسية، كل فصل قد احتوى على ثلاثة إلى أربعة مباحث، وفي الأخير خاتمة تجمل أهم نتائج البحث، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

❖ المقدمة

- الإشارة إلى شرف هذا الموضوع وسبب الكتابة فيه.
- عنوان البحث
- منهج البحث
- خطة البحث

❖ مبحث تمهيدي: الخطاب القرآني بين الجمالية والإعجاز

- التعرف إلى الخطاب القرآني
- الجمالية في الخطاب القرآني
- الإعجاز القرآني، مفهومه ومظاهره

❖ الفصل الأول: أسماء الله الحسنى تعريفها وإحصاؤها وتصريفها وتركيبها

المبحث الأول: معرفة أسماء الله وإحصاؤها

- معرفة أسماء الله الحسنى
- دلالة أسماء الله الحسنى
- ضوابط إحصاء أسماء الله في القرآن

المبحث الثاني: شرح أسماء الله وتفسيرها

- الجمال في أسماء الله الحسنى
- تعدد أسماء الله الحسنى وحصرها
- التفسير اللغوي والشرعي للأسماء الحسنى

المبحث الثالث: تصريف أسماء الله الحسنى وتركيبها

- الصيغ الصرفية لأسماء الله الحسنى
- التراكيب المختلفة لأسماء الله الحسنى
- دلالات تراكيب الأسماء الحسنى

❖ الفصل الثاني: جمالية كلمات الأسماء الحسنى

المبحث الأول: خصائص كلمات الأسماء الحسنى

- الكلمة القرآنية وجماليتها
- كلمات الأسماء الحسنى وجماليتها
- جمالية الصوت في الأسماء الحسنى
- جمالية الحركات والمدود في الأسماء الحسنى
- التحول في الوحدات الصرفية للأسماء الحسنى

المبحث الثاني: الترادف وكلمات الأسماء الحسنى

- الكلمات بين التقارب والتباين
- أسماء الله الحسنى بين الترادف والتباين
- نفي الترادف عن الأسماء الحسنى

المبحث الثالث: الفاصلة القرآنية والأسماء الحسنى

- الفاصلة في القرآن الكريم
- الأسماء الحسنى في الفاصلة القرآنية
- «الرحمن الرحيم» في الفاصلة القرآنية

❖ الفصل الثالث: جمالية تراكيب الأسماء الحسنى

المبحث الأول: جملة الأسماء الحسنى ومظاهر إعجازها

- الجملة القرآنية ومظاهر إعجازها
- الأسماء الحسنى وأثر السياق
- التقديم والتأخير في الأسماء الحسنى

المبحث الثاني: جمالية النظم بالأسماء الحسنى

- إعجاز النظم القرآني
- الأسماء الحسنى جزء من النظم القرآني
- إيقاعية الأسماء الحسنى في النظم القرآني

المبحث الثالث: جمالية اللفّ والنشر في الأسماء الحسنى

- اللف والنشر في القرآن
- اللف والنشر في أسماء الله الحسنى

❖ الفصل الرابع: جمالية التناسب في تراكيب الأسماء الحسنى

المبحث الأول: التناسب القرآني ومستوياته

- التناسب في النص القرآني
- مستويات التناسب في الأسماء الحسنى
- التناسب بين الأسماء المزدوجة

المبحث الثاني: تناسب سياق الآيات والأسماء الحسنى

- السياق القرآني ومراتبه
- بلاغة الأسماء الحسنى
- الدلالة على المدح والثناء
- الدلالة على ما يتعلق بأفعال العباد

المبحث الثالث: تناسب الأسماء الحسنى بين مطالع السور وخواتمها

- التناسب بين الآيات والسور
- مطالع السور وخواتمها
- التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها
- التناسب بين خاتمة السورة ومطلع التي تليها

المبحث الرابع: تناسب الأسماء الحسنى في القصص القرآني

- القصص القرآني
- أهداف القصص القرآني
- أسماء الله الحسنى في القصص القرآني

❖ الخاتمـــــة

❖ الفهارس، وتشمل:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

وفي الختام، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، كما أسأله أن ينفع به كاتبه وقارئه، وأسأله تبارك وتعالى أن يجزل المثوبة لأستاذي الكريم الدكتور محمد طول، المشرف على هذا العمل.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والثناء على الوالدين الكريمين، فببركتهما ودعائهما، يسّر الله لفلذة كبدهما الاستمرار في درب طلب العلم، وبلوغ هذه المراتب، أما أفراد أسرتي زوجتي الحبيبة وأولادي الأعزاء فإنني قبل أن أشكرهم يجدر بي أن أستسمحهم على ما استغرقت من قت كانوا أحوج إليّ فيه، لكن لعل الله أن يجعل ثمرة هذا العمل ما يسليهم ويثلج صدورهم.

وقبل أن أترك الأستاذ أو القارئ مع فصول البحث ومباحثه، ألفت نظره إلى ما قد تقع عليه عينه من تقصير أو زلل، فإن ابن آدم مجبول على ذلك، كما أن هذا العمل عمل شخصٍ مبتدئ، وجدير أن يكون فيه ما يستدرك علي فإن كل أسلوب ابتدئ لا يكمل إلا بمعاونة جماعة وتبادل أفكارهم، وتكميل المتأخر لما أهمل المتقدم، ولذلك كانت أوائل كل علم وأسلوب قليلة أو ناقصة فليبسط العذر الواقف على ما يستدرك فيه، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

محمد بوهند

مساء يوم الجمعة: 2016/02/06م، الموافق لـ: 27 ربيع الآخر 1437هـ

مبحث تمهيدي

الخطاب القرآني بين الجمالية والإعجاز

- التعرف إلى الخطاب القرآني
- الجمالية في الخطاب القرآني
- الإعجاز القرآني، مفهومه ومظاهره

❖ التعرف إلى الخطاب القرآني:

تعريف الخطاب القرآني:

الخطاب مصدر الفعل خطب، والخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك. وفي النكاح: طلب أن يزوج، قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، والخطبة: الكلام المخطوب به. ويقال اختطب القوم فلانا، إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم. والخطب: الأمر يقع، وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة، وأما الأصل الآخر فاختلاف لونين[2].

الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة؛ قال الجوهريُّ: خطبت على المِنبر خطبة، وذهب أبو إسحاق إلى أنَّ الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع، ونحوه. "التهذيب". والخطبة، مثل الرّسالة، الّتي لها أوّل وآخر. ورجل خَطِيب: حسَن الخُطبة، وجمع الخطيب خطباء. وخطُبَ، بالضّمّ، خَطابةً، بالفتح: صار خطيبا قال بعض المفسرِين في قوْله تعالى: «وفصْل الخطاب» ؛ قال: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين؛ وقيل: معناه أن يفصل بين الحقّ والباطل، ويميّز بين الحكم وضدّه؛ وقيل فصْل الخطاب أمّا بعد؛ وداود، عليه السّلام، أوّل من قال: أمّا بعد؛ وقيل: فصْل الخطاب الفقه في القضاء[3].

---

1 سورة البقرة (02 : 235)

2 معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تح: عبد السلام مُحَّد هارون، دار الفكر، 1399هـ، ج2ص198

3 لسان العرب، أبو الفضل مُحَّد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، 1414هـ- 1968م، مادة (خطب)

وكذلك الخطاب توجيه الكلام نحو غيرك للإفهام، والمراد بخطاب الله إفادة الكلام النفسي الأزلي التكليف إلزام ما فيه كلفة[1]، وهو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه[2].

والخطاب هو أحد فروع تنوع الكلام من حال إلى حال ويقصد بذلك: التكلم، الخطاب، الغيبة، ويعتمد القرآن الكريم على أسلوب الالتفات الذي هو الانتقال من أسلوب إلى آخر، أي من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول، تَطْرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجَر والملل، لما جُبِلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على مِنْوَال واحد، هذه فائدته العامة، ويختص كل موضع بنُكَت ولطائف باختلاف محله[3].

الخطاب اصطلاحا: الخطاب هو مجموعة متناسقة من الجمل والأقوال، تحمل في سياقها معلومات ومعان تهم المتلقي أو المرسل إليه، «فهو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»[4]، إذن هو فعل كلامي يهدف إلى التأثير على المتلقي، «فالخطاب لا يتم إلا بين شخصين فما فوق، وقد أشار القاضي عبد الجبار إلى أن المخاطبة مفاعلة ولا تستعمل إلا بين اثنين يصح لكل واحد منهما أن يخاطب ابتداء، ويجيب صاحبه عن خطابه»[5]، وهو رسالة تواصلية إبلاغية متعددة المعاني يصدر عن باث موجه إلى متلق معين عبر سياق محدد، وهو يفترض من متلقيه أن يكون سامعا له لحظة إنتاجه، ولا يتجاوز سامعه إلى غيره[6].

1 الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر–بيروت، ط1 : 1411هـ، ص66-67

2 الكليات، أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تح: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص419

3 ينظر: إعجاز القرآن ومعترك الأقران، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1408 هـ، ج1 ص286

4 الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن الآمدي، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ج1 ص95

5 ينظر مقال: سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، أحمد يوسف، مخبر السيميائيات، جامعة وهران، 2004، ص22

6 ينظر مقال: مفهوم النص والخطاب، د. محمد مصابيح، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2009، ص03

أما الخطاب القرآني: الخطاب القرآني هو خطاب رباني صادر منه سبحانه، فهو الخطاب المنزل من الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ، ويعد من أعظم الخطابات على وجه الأرض، من حيث الإعجاز اللغوي والمفردات والمعاني، كما أنه معصوم عن الأخطاء والتحريف، وغير قابل للترجمة حرفيا، وإنما تترجم معانيه وتشرح مفرداته وتراكيبه، ويذكر العلماء تعريفًا له يُقَرِّبُ معناه ويميزه عن غيره، فيُعَرِّفُونَهُ بأنه: «كلام الله، المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته».[1]

- **تعدد أوجه الخطاب القرآني:**

تتعدد أوجه الخطاب القرآني بحسب المخاطب وطبيعة الموقف، فهناك خطاب التهكم «ذق إنك أنت العزيز الكريم» وخطاب الكرامة «يا أيها النبي» «يا أيها الرسول»، وخطاب التحبب «يا أبت لم تعبد الشيطان»، وخطاب التعجيز «فأتوا بسورة»، وهناك خطاب الجنس البشري «يا أيها الناس»، وخطاب النوع «يا بني إسرائيل»، وخطاب العين «يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة»، والخطاب العام المراد به الخصوص، والخاص المراد به العام، وخطاب الإهانة «فإنّك رَجِيم» «اخْسَئُوا فيها ولا تُكلمون»، وخطاب التهكم «ذقْ إنّكَ أنت العزيز الكريم»، وتعدد الخطاب واضح الدلالة على تحقيق المراد والتأثير في المخاطب، ولا يتصور أن يكون الخطاب القرآني عاما موحدا، فليس هذا من الفصاحة[2].

وقد أشار السيوطي (ت911 هـ) إلى أن القرآن قد أنزل على ثلاثين وجها من وجوه الخطاب، وأن على من أراد التفسير أن يلم بها وإلا وقع في الخطأ، قال: « أنزل القرآن على ثلاثين نحواً، كل نحو منه غير صاحبه، فمن عرف وجوهها ثم تكلم في الدين أصاب ووُفِّق، ومن لم يعرفها وتكلم في الدين كان الخطأ إليه أقرب، وهي: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول،

---

1 مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3: 1421هـ، ص17

2 المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمّد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب، ط1: 1426 هـ، ص247، ينظر أيضا: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ج1 ص174-175

والسبب والإضمار، والخاص والعام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحدود والأحكام، والخبر والاستفهام، والأبّهة والحروف الصرفة، والإعذار والإنذار، والحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال، والقسم»[1].

وتتنوع أساليب القرآن في توجيه الكلام إلى المخاطبين، لأنه خطاب عالمي موجه إلى الإنسانية بأسرها، وإلى الثقلين معا، وهو خطاب لجميع الناس على اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافاتهم، وتفاوت أعمارهم، واختلاف ألسنتهم وأجناسهم، خطاب للعربي والعجمي، للقارئ والأمي، للذكر والأنثى.

يوجه الله سبحانه خطابه إلى الناس ﴿يا أيها الناس﴾ ﴿يا بني آدم﴾ في سياق الكلام عن ما يتعلق بالبشرية كافة، وإلى المؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ في ما يختصونه به عن غيرهم، وأما الخطاب الموجه إلى محمد ﷺ فإنه يتنوع بين مخاطبته بالنبي أو الرسول، ولكل سياقه واختصاصه، يقول السيوطي (ت911 هـ): « وتجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول، وكذلك العكس، كقوله في الأمر بالتشريع العام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾[2]، وفي مقام الخاص: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾[3]. وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام، لكن مع قرينة إرادة التعميم، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[4]، ولم يقل طلقت»[5].

وكذلك مما يختص به الخطاب القرآني، توجيه الخطاب إلى شيء وإرادة غيره أو إرادته مع غيره، فالأول ؛ أي إرادة غيره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ

1 معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1408 هـ، ج1 ص172

2 سورة المائدة (05 : 67)

3 سورة التحريم (66 : 01)

4 سورة الطلاق (65 : 01)

5 معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1408 هـ، ج1 ص172

﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾[1] الخطاب له والمراد أمته لأنه ﷺ كان تقيا وحاشاه من طاعة الكفار، والثاني ؛ أي إرادته مع غيره، ففيه أوجه: حيث يخاطب الجمع بلفظ الواحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾[2]، فإن الكلام موجه إلى الناس كافة، أو يخاطب الواحد بلفظ الجمع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[3] إلى قوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾[4] فهو خطاب له ﷺ وحده إذ لا نبي معه ولا بعده، وفيه أيضا خطاب الواحد بلفظ الاثنين نحو: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾[5] والخطاب لمالك خازن النار وقيل لخزنة النار والزبانية فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين، وخطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾[6] أي ويا هارون[7].

هذا التنوع في توجيه الخطاب فيه دلالة على ثراء الخطاب القرآني، وإعجازهن وأنه صالح لكل زمان ومكان، يتناسب مع كل جيل من الأجيال مهما اختلفت أفكارهم واهتماماتهم، وفيه تدرج في مستوى الصعوبة اللفظية والمعنوية حسب المقام والسياق.

1 سورة الأحزاب (33 : 01)
2 سورة الانفطار (82: 06)
3 سورة المؤمنون (23 : 51)
4 سورة المؤمنون (23 : 54)
5 سورة ق (50 : 24)
6 سورة طه (20 : 49)
7 ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، ج3 ص110-111

❖ الجمالية في الخطاب القرآني:

إن ظاهرة الجمال من أبرز ظواهر الإبداع الفني في القرآن الكريم، والنسق الجمالي يكسو هذه الظاهرة ويمنحها القدرة على التأثير الوجداني والسلوكي.

والقرآن باعتباره مصدرا للتشريع، لم يعرض قضاياه بأسلوب التقنين القانوني كغيره من مصادر التشريع الأخرى، لكنه خالف ذلك وأتى بها في معرض القصص وأنباء الأمم السالفة وأنبيائهم، ومشاهد الدنيا والآخرة بأسلوبه المعجز وبيانه المتميز، وفي العقيدة فإنه عرض ما يتصل بالذات الإلهية والغيبيات منبها العقل ومثيرا وسائل الإدراك في صياغة فنية رائعة[1].

لهذا نالت مسألة الجمالية القرآنية من جهود علماء العرب وأدبائهم الحظ الأوفر، واستطاعوا بيان هذه المسألة وشرح حقيقتها.

وأول من وضع مسألة الجمالية القرآنية في نسقه البديع ونظمه الجميل، وربط ذلك بالتحدي النبوي[2]، إمام الأدباء الجاحظ[3] (ت255 هـ) يقول: «إن الرسول ﷺ تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه»[4]، ويؤكد ذلك في كتاب الحيوان[5] حيث يقول: «بعد أن تحدّاهم الرّسول بنظمه... وفي كتابنا المنزّل الذي يدلّنا على أنّه صدق، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدّلائل التي جاء بها من جاء به»[6]. ويبين أن هذا النظم هو سبب عجز العرب وتحديه لهم، يقول في البيان والتبيين:

1 ينظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنارة جدة–السعودية، ط1: 1412هـ، ص9-10

2 الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص11

3 عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره، وكان مشوه الخلقة، ومات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة، منها: الحيوان، البيان والتبيين، سحر البيان، البخلاء، المحاسن والأضداد. (الأعلام للزركلي: ج5 ص74)

4 رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ – 1964م، ج3 ص251

5 ينظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص11

6 الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الجاحظ، الليثي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط2، 1424هـ، ج4 ص305

«ألا ترى أنا نزعم أن عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة إعلام العرب العجم أنهم كانوا عن ذلك عجزة»[1].

وأما الخطابي[2] (ت388 هـ) فقد بنى جمالية النظم على صفات جمالية في الألفاظ[3]، قال: «وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور (اللفظ الحامل، والمعنى، والرباط الناظم) في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها»[4].

وإذا تساوت الألفاظ في الشرف والفضيلة كان حسن اختيارها في الجملة زيادة في الجمال، «فجمالية الألفاظ في انتقائها واختيار موقعها من الجملة القرآنية ووضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فضول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»[5].

هذه الجمالية التي تعد وجها من وجوه الإعجاز بالنظر إلى صنيعها في نفس وقلب سامعها وتأثيرها فيهما عند تلاوته[6]، «قلت في إعجاز القرآن وجها آخر، ذهب عنه الناس الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم: وذلك صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس فإنك لا تكاد تسمع كلاما غير القرآن منظوما أو منثورا –إذا قرع السمع– خلص له إلى

1 البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، ج3 ص198

2 هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن خطاب البُستي، الخطابي، صاحب التصانيف. رحل في الحديث وقراءة العلوم، وطوّف، ثم ألّف في فنون العلم، وصنّف، وفي شيوخه كثرة، وكذلك في تصانيفه، ومنها: (شرح السنن)، و(غريب الحديث)، و(شرح الأسماء الحسنى)، وغير ذلك. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (12: 496).

3 الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص11

4 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، الخطابي، تح: مُحَمَّد خلف الله، د. مُحَمَّد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3: 1976م، ص27

5 إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني مُحَمَّد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف–مصر، ط5، 1997م، ص16

6 ينظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص11

القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب يحول بين النفس وبين مضمراتها، وعقائدها الراسخة فيها، فكم عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانا»[1].

أما الجمالية التي تتعلق بتناول النص القرآني لأغراض كثيرة على غير ما اعتاده العرب فقد نبه إليها الإمام الباقلاني[2] (ت403 هـ): «ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر. وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها ما نبينه بعد هذا من الاختلال، ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف، ويشملها ما نبديه من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف. وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسباً في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به، فقال عزَّ من قائل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ

1 الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4 ص16

2ينظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص12

ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾[2].

أخبر سبحانه أن كلام الآدمي إن امتدَّ وقع فيه التفاوت، وبان عليه الاختلاف»[3].

هذا التنوع العجيب في أنماط النص القرآني وأغراضه المختلفة من غير تفاوت أو تباين، جعل أرباب الفصاحة يقرون بعجزهم عن سبك مثل هذا النظم[4]، «إن القرآن عجيب في نظمه، وبديع في تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها. وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حد واحد، في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا»[5].

ولهذا يرتبط جمال النظم القرآني بمجموعة وجوه تتسم بالدقة والعمق، وتدل على ترابط جزئيات الموضوع في ذهنه ؛ منها ما يرجع إلى الجملة، ومنها ما يرجع إلى الفصاحة، ومنها ما يرجع إلى النظم واستوائه وحسن رصفه، ومنها ما يرجع إلى غزارة المعاني، ومنها ما يرجع إلى تأثير الكلمة في الأسماع[6].

وانبهار العرب البلغاء بجمال القرآن يرجع إلى أنه جمال يسري في جميع ألفاظه ومقاطعه وآيه وسوره، لذلك نبه الجرجاني (ت471 هـ) إلى سر هذا الجمال والإعجاز المبثوث في تناسق نظمه[7]، «أعجزتْهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائصُ صادفوها

---

1 سورة الزمر (39 : 23)

2 سورة النساء (04 : 82)

3 إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، ص36

4 الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص13

5 إعجاز القرآن، الباقلاني، ص36-37

6 ينظر: أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط9: العدد الثالث، 1396هـ، ص18

7 ينظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص14

في سياق لفظه، وبدائع راعتْهُم من مبادي آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفةٍ وبيان؛ وبهرهم أنهم تأمَّلوه سُورةً سورةً، وعشْراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة يَنْبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يُرى أنَّ غيرها أصلحُ هناك أو أشْبَه، أو أحرى أو أخلَق، بل وجدوا اتِّساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدعْ في نفس بليغ منهم موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدَّعي وتقول، وخلدتِ القُروم، فلم تملِك أن تصول»[1].

إذن القرآن الذي نزل بأسلوب العربية في الجاهلية، وتضمن أسمى وأسلم خصائصها فإنه بهر معاصريه ومن بعدهم بروعة تراكيبه وتنويع جمله وجمال صوتياته وبهاء فاصلته، وفي اتساقه الفني وارتقائه المعنوي.

إن الآثار الأدبية الجمالية والتربوية والعلمية مظاهر متجددة للإعجاز القرآني في وجوهه المتعددة، حتى إنه ليعتبر أن الجمالية هي أبرز الظواهر القرآنية، بما تستخدمه من مكونات اللغة العربية كالمفردة والتركيب والصورة الأدبية ضمن آفاق الإعجاز الإلهي الراقي.

1 دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، ط1، ص32

- **عظمة القرآن وجماليته:**

لقد كان العرب أشد الناس أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم، فكان من المحال أن يطيقوا ثلاثًا وعشرين سنة من تحدي القرآن لهم ولا يعارضونه لو استطاعوا إلى ذلك سبيلا[1].

عظمة القرآن في أنه آية من آيات الله واضحة المعنى والهدف بالقدر الذي يحتمله البشر، ويفهم منه القانون الإلهي، سهل الأسلوب؛ حتى ليخيل لمن مارس طريقته أنه يستطيع مثله، فإذا حاول عجز عجزًا كاملاً، واعتراه النقص والتخبط مهما أجهد عقله ونفسه، وراضها على تلك الحكمة الأسلوبية الناصعة الوضوح في القرآن[2].

ومن أحسن ما قيل في تعليل إعجاز القرآن ما قاله ابن عطية (ت542 هـ) في مقدمة تفسيره: «إن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن عَلِمَ بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحدًا من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط؛ ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً، ثم ينظر فيها فيغيِّر فيها، وهلم جرًّا، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ... وقامت الحجة على العالم بالعرب؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنة المعارضة»[3].

---

1 ينظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ج4 ص7

2 ينظر: أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص21

3 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية – لبنان – ط1: 1413هـ- 1993م، ج1 ص49

ونقل السيوطي (ت911 هـ) عن حازم في منهاج البلغاء ما يتم به كلام ابن عطية؛ إذ قال: «وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارًا لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومَن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة من جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية، فينقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه؛ بل توجد في تفاريق وأجزاء منه»[1].

وأي عظمة تعدل عظمة العجز عن معارضة نظم القرآن وأسلوبه على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمان وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وحسب القرآن من العظمة أنه المعجزة الباقية على مدى الدهر؛ حيث اندثرت معجزات الرسل السابقين جميعًا بعد أداء وظيفتها في إقامة الدليل على صدق أولئك الرسل. وحسبه كذلك من العظمة أنه يتصل بالحياة ما بقيت الحياة، فبه حياة القلوب بالإيمان، وبه حياة الإيمان بالجهاد، وبه قيام الجهاد بمنهجه الأمثل في تربية إنسان الحضارة الأمثل، وبهذا الإنسان الموصول بالقرآن تنبض الحياة بالعدل، وبه يدبر الظلم والإلحاد، وما كانت معجزات الرسل السابقين كذلك؛ فقد كانت كلها إما متصلة بحياة جسد، أو متحدية وَهْم السحر، أو حجة على قوم بعينهم مردوا على الكفر فهلكوا بعدها بوسيلة تدمير غيبية، وما كذلك معجزة القرآن التي بقيت لتحقق مزيدًا من الاتساع في قاعدة الإيمان على مدى الزمان[2].

- **مفهوم جمالية القرآن:**

للجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمُّع وعِظَمُ الخَلقِ، والآخر حُسْن. فالأوَّل قولك: أجملت الشيء، وهذه جُملة الشيء، وأجملتهُ حصلته، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

1 الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ج4 ص10

2 ينظر: أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، ص23-24

لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾[1].[2] وجاء في اللسان: «والجمال: مصدر الجميل، والفعل جَمُلَ. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾[3]؛ أَي بهاء وحُسْن. قال ابن سِيدَه (ت458 هـ): الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق، وقد جَمُل الرجل، بالضَّمّ، جمالا، فهو جميل وجُمَال، قال ابن الأثير (ت630 هـ): والجمال يقع على الصُّوَر والمعاني؛ ومنه الحديث: «إِنَّ الله جميل يُحبُّ الجمال».[4] أي حَسَن الأفعال كاملُ الأَوصاف»[5].

إن الجمال له بالغ الأثر في النفس، فإنه إذا استمكن منها، واستجمع صورته داخلها، وانسجم مع متطلباته، لم يكن للنفس من بدّ إلا الشعور بالراحة، والإحساس بالطمأنينة، فتمتلئ فرحا وسرورا، أما ما لا يجمل عندها فإنها منه تأنف وعنه تبتعد فتمجّه مجّا، ولا يزيدها إلا نفورا وإعراضا. أما القرآن فإنه أجمل البيان نظاما، وأحكم الكلام تبيانا، وأسهل الألفاظ نطقا، يستنفر العقل ليتأمل في صور الكون الحسية، وصور البيان المعنوية[6].

وبما أن القرآن الكريم صفة الله تعالى فلا بد من أن يتوفر فيه آيات الجلال والجمال، ومشاهد القوة والعظمة إلى جانب الأنس والوداعة.

1 سورة الفرقان (25 :32)

2 معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تح: عبد السلام محمّد هارون، ج1 ص481

3 سورة النحل (16: 06)

4 صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج1 ص93 (باب تحريم الكبر وبيانه)

5 لسان العرب، ابن منظور، ج11ص126 مادة (جمل)

6 ينظر: البناءات الجمالية في النص القرآني، إعداد: رائد مصباح الداية، إشراف: أ.د. كمال أحمد غنيم، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، ص11

- **البلاغة سر جمالية القرآن:**

إن أروع وصف للقرآن وبلاغته يتمثل في القرآن نفسه حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[1] وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾[2] وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾[3]، وقد شغل العرب به منذ أن هبط به واستمع إليه الناس وأسرع الباحثون فيما بعد للبحث في سبب إعجازه ورأوا أن ذلك يرجع إلى ما فيه من بلاغة ساحرة، وأسلوب فريد، وتأثير عميق، خاصة أن الذين خاطبهم القرآن لم يعجبوا بشيء بقدر إعجابهم بحسن البيان، وبلاغة القول، وقد رأوا في القرآن نوعا من البيان لم يعرفوه من قبل، فانجذبوا إليه، واعترفوا بتأثيره، وخروا صاغرين أمام بلاغته وحلاوته.

فكل كلمة من كلمات القرآن لها وقعها الخاص في نفوس المستمعين، وكل عبارة تجتمع في كلمات لها صورة رائعة تصور المعاني بالصورة كاملة، وأجزاؤها تعطي صورا وظلالا، وتتكون من هذه الصور الجزئية لوحة كاملة متناسقة تهز الوجدان وتترك في القلوب أعمق الأثر، ولذلك جعل أبوهلال العسكري (ت395 هـ) الوقوف على إعجاز القرآن مرهونا بعلم البلاغة فقال: «إن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خص الله به كتابه من حسن التأليف وبراعة التراكيب وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف إلى غير ذلك من

---

1 سورة هود (01: 01)

2 سورة ص (38: 29)

3 سورة فصلت (41: 03)

محاسنه التي عجز الخلق عنها، لأن البلاغة تعتبر من أهم وسائل إدراك الإعجاز القرآني، وذلك بأن يتمكن البليغ فيها ويتقنها ويفهم أساليبها وفنونها»[1].

وبناء على ذلك يتم تشكيل المشهد القرآني الكامل من خلال المفردات القرآنية التي تتكون فيها الجمل، ثم الجمل القرآنية التي تتكون منها الصورة القرآنية، ثم الصور القرآنية التي تجتمع مع بعضها بعضا لتكوِّن المشهد القرآني، ولذلك يجب علينا أن نبحث عن منبع السحر في القرآن والذي لابد كامن في صميم النسق القرآني[2].

وهذا ما بينه الإمام الخطابي عندما تحدث عن بلاغة القرآن ونظمه مبينا أن الكلام يقوم بأشياء ثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، ثم إنّ القرآن هو الذي جمع نهايات الفضل في هذه العناصر الثلاثة، فإذا تأملته وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها[3]، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[4]، أي علمه التعبير والكشف عما في نفسه بطريقة واضحة بينة[5].

إنّ القرآن متميّز بأسلوبه ونظمه وبلاغته المتصلة والمنفصلة والمقصود بالمنفصلة ما في عبارات القرآن من حقيقة ومجاز، من فصاحة وبلاغة، من تشبيه وكناية... شيء يجعل الكلام مريحًا ليّنا إذا أراد الله لقرآنه أن يكون ليّنا، وعنيفًا قاصفًا إذا أراد الله لآياته

1 الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، 1419هـ، ص10

2 ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط16: 1423هـ- 2002م، ص17

3 إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، ص15

4 سورة الرحمن (55: 1-4)

5 الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ج4 ص443

أن تكون عنيفة قاصفة، وتتضافر مع ذلك كله ألفاظه الصارخة أو عباراته الهادئة فتعطي في النهاية تيارًا سلسًا ينساب إلى مرفأ القلوب فيزيل عنها صداها ويبين وحشتها، وأما بلاغته المتصلة فمنبعها طريقة تركيب ألفاظ القرآن لتصنع جملة، وتركيب الجملة مع أختها لتقيم جملا وتراكيب ومشاهد وضعت كعبارات بطريقة معينة وبأسلوب محدد يختلف في موضع عن موضع ليس في طوق البشر مجاراته أو اتباعه أو السير على منواله[1].

ولذلك لابد من الوقوف عند آيات القرآن الكريم، والكشف عن أسرار التعبير البلاغي في نظم القرآن حتى يتبين أثر الذكر هنا والحذف هناك والقيمة البلاغية للتقديم والتأخير وأسلوب القصر وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر وإظهار العلاقة بين هذه الأساليب وأثرها في تركيب الصورة وتوضيح المعنى، ثم البحث في مكانة المفردة القرآنية في سياقها وهل يمكن أن ينوب عنها غيرها، حتى تتضح حقيقة البلاغة العالية التي تقف أمامها القلوب والأفئدة مذهولة ولا تملك إلا الإيمان والتسليم بها.

إن أسلوب القرآن يجري على نسق بديع، ولذلك حار العرب في أمره إذ عرضوه على موازين الشعر فوجدوه غير خاضع لأحكامه، وقارنوه بفنون النثر فوجدوه غير لاحق بالمعهود من طرائقه فكان أن انتهى الكافرون منهم إلى أنه السحر واستيقن المنصفون منهم بأنه تنزيل من رب العالمين[2]، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾[3].

ثم إن التعبير القرآني يظل جاريًا على نسق واحد في السمو من جمال اللفظ، وعمق المعنى، ودقة الصياغة، وروعة التعبير، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من تشريع وقصص وأخبار غيبية ومواعظ، مع العلم أنه خاطب كل الناس على اختلاف مداركهم

1 ينظر: أضواء بلاغية د. عبد القادر حسين، ص4

2 ينظر: من روائع القرآن "تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل"، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1420هـ - 1999م، ص112

3 سورة فصلت (41: 03)

وثقافتهم وعلى تباعد أزمنتهم وتطور علومهم، وكذلك المفردة في السياق القرآني وما تتميز به من جمال وقعها في السمع واتساقها الكامل مع المعنى واتساع دلالتها[1].

ولو أديرت لغة العرب كلها لإيجاد كلمة تنوب عن كلمة في كتاب الله لم توجد ولو أدخل شيء من الكلام إلى كتاب الله لاختل نظامه واعتل مذاقه في أذان سامعيه، لذلك فالقرآن كله متناسق فيما بينه تناسقًا كاملا في حروفه وكلماته وآياته وسوره وهذه بعض الآيات القرآنية التي تظهر لنا هذا البيان الرائع وهذه البلاغة المتميز[2].

قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧﴾[3]، فلنتأمل كيف جمعت هذه الآية بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، أما الأمران فهما: ﴿أرضعيه وألقيه﴾، وأما النهيان فهما: ﴿لا تخافي ولا تحزني﴾ وأما الخبران فهما: ﴿أوحينا﴾ و﴿خفت﴾ وأما البشارتان فهما: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾[4].

قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾[5] فقد استعار الظلمات للضلال بجامع عدم الاهتداء في كل منهما، واستعار النور للهداية بجامع الاهتداء في كل منهما، وهذا المسلك الأدبي يسميه البلاغيون استعارة تصريحية، هذه الاستعارة تجعل الهدى والضلال يستميلان نورًا وظلمة، إنها تبرز المعاني المعقولة الخفية في صورة محسوسة، حية متحركة كأن العين تراها واليد تلمسها، ثم لنتأمل كلمة "الظلمات" كيف تصور الضلال ليلا دامسًا يطمس معالم الطريق أمام الضلال فلا يهتدى إلى الحق، ثم كلمة "النور" كيف

---

1 من روائع القرآن ، محمد سعيد رمضان البوطي، ص112-114

2 المرجع السابق، ص113-114

3 سورة القصص (28: 07)

4 التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس- 1997م، ج1 ص122

5 سورة إبراهيم (14: 01)

تصور الهداية مصباحًا منيرًا ينير جوانب العقل والقلب ويوضح معالم الطريق أمام المهتدي، فيصل في سهولة ويسر إلى الحق فتسكن نفسه ويطمئن قلبه ويحظى بالسعادة في الدنيا والآخرة[1].

ما أجمل هذا التصوير وما أروعه إنه جمال اختص به القرآن في أداته التعبيرية في الحرف والكلمة والعبارة والسورة ومن شأن هذا الجمال أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك الوجدان، فما علينا إلاّ أن نتأمل كلمات القرآن وآياته وتعبيراته وصوره ونغوص في أعماق معانيه لنحاول الوصول إلى الأسرار البلاغية التي تكمن في كتاب الله، هذه الأسرار لا يبرزها إلاَّ علم النظم وإلاَّ بقيت محتجبة في أكمامها، حتى نستشعر حقيقته ونتشرب بيانه المعجز الذي لا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه[2].

1 صفوة التفاسير، محمّد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، ط1، 1417هـ - 1997م، ج3 ص380

2 ينظر: الأساليب البيانية والخطاب الدعوي الواعي، أ.د .نعمان شعبان علوان، مجلة مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية-غزة، 1426هـ-2005م، ص1394-1396

❖ الإعجاز القرآني، مفهومه ومظاهره

اهتم الدارسون العرب بالقرآن الكريم وبدراسته وبيان إعجازه ووضعوا لذلك دراسات ومؤلفات تكشف عن نظرتهم إلى الموضوع، لتفسير الإعجاز الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتحدي والمعارضة، وقد قدم هؤلاء الإعجازيون مستويات حديثة لقراءة نص حديث معجز، حيث اهتموا ببنية الجملة داخل النص القرآني، كما اهتموا بالبنيات الصغرى المكونة للنص، والتغير الذي يطرأ عليها من حذف أو تقديم أو فصل أو إضمار أو خروج، كما بحثوا في علاقة هذه التحولات بالمستويات السياقية التي تحكم النص، وذلك رغبة منهم في استجلاء غوامض النص القرآني، والكشف عن خصوصيته التي تنبع من خصوصية التعبير العربي، وقد اعتمدوا في ذلك على التقابل بين اللغة في استعمالها الإنساني واللغة في استعمالها المقدس المعجز [1].

هذا النموذج الجمالي يبدو ماثلا في كلّ آيات كتاب الله تعالى، فالآية التالية: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [2] لها قصة وشأن عند أهل البلاغة؛ حيث حاول بعضهم معارضة القرآن واجتهد في أن يكتب مثله إلى أن وصل إلى هذه الآية الكريمة في سورة هود فانصدع، ولم يستطع أن يقاوم فسلّم وأيقن بعجزه.

إذا أخِذت كل كلمة من غير نظر إلى ما قامت به من أداء حظها المقسوم لها في معنى الجملة كلها فقد لا نجد لها من التأثير ما نجده لها وهي بين أخواتها تؤدي معناها، وهنا يحق لنا أن نسأل عن فضل الكلمة في موضعها، ونتبين جمال اختيارها، وندرك ما لها من الميزة على صاحباتها، وإذا سلكنا هذا المسلك في الآية الكريمة رأينا الآية تصور

---

1 ينظر: النقد والإعجاز، د. مُحَمَّد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م، ص4-5

2 سورة هود (11 : 44)

ما حدث بعد الطوفان من ابتلاع الأرض ماءها ونقاء السماء بعد أن كانت تغطَّى بسحبها واستواء السفينة على الجودي الجبل المعروف، وقد طهرت الأرض من رجس المشركين، فصوّر الله ذلك تصويرًا حسيًّا يؤكد في نفسك استجابة هذه الطبيعة العظيمة وخضوعها لأمر الله، فهذا المطر المدرار ينهمر من السماء، وهذا الماء الطاغي يجتاح نواحي الأرض، وهذا الاضطراب في أرجاء الكون لم يلبث أن سكن واستقر وعادت الطبيعة إلى هدوئها عندما تلقت أمر الله لها أن تسكن وتهدأ، ولكن لما كان هذا الأمر قد صدر إلى الكون من غير أن يسمعه من في الكون أو يروا قائله بُني الفعل للمجهول، وأوثر في نداء الأرض "يا" دون الهمزة[1].

فما أروع هذا النسق القرآني البديع الذي تتضمنه هذه الآية، والبيان الرائع لمراد الله -عز وجل- في تصوير هذه الصور الرائعة بهذه الألفاظ التي لا نستطيع أن نأتي بكلمة مكان كلمة أو نقدم أو نؤخر في صياغة الآية الكريمة.

لقد كان للقرآن الكريم بيان أعجز به البلغاء وجعل الكفار المعاندين يقرون أن هذا الكلام ليس من كلام البشر، لأنهم أحسوا بحلاوة عباراته وعذوبة أسلوبه، كما أخبر بذلك الوليد بن المغيرة[2]، بعد أن اعترف أنه ليس من كلام الشعراء، ولا من كلام الكهنة، قال: «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمغدق أسفله مثمر أعلاه، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ما يقول هذا بشر»[3]، ولكنه تكبر وعاند ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾[4].

1 ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر-القاهرة، 2005م، ص 49-50

2 الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له " العدل " لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو " البيت " جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد. (الأعلام للزركلي: ج8 ص122)

3 الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تح: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط1: 1401هـ، ص268

4 سورة المدثر (74: 24-25)

وقد تعرض العلماء إلى وجوه إعجاز القرآن من خلال كتبهم المختلفة حول الدراسات القرآنية، فالإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري (ت276 هـ) قد تصدى للطاعنين في القرآن بشكل عام والمنكرين لإعجازه بشكل خاص في كتابه الجليل «تأويل مشكل القرآن» ففنّد مزاعمهم. وكان يمثل إمامة أهل السنّة والجماعة في طبقة الأدباء كما كان يمثل الجاحظ طبقة الأدباء من المعتزلة[1].

يقول ابن قتيبة (ت276 هـ) في أول كتابه تأويل مشكل القرآن: «الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد وهدانا بنور القرآن ولم يجعل له عوجا، بل نزّله قيّما مفصّلا بيّنا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ... وقطع بمعجز التأليف أطماع الكائدين وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلمين، وجعله متلوّا لا يملّ على طول التلاوة، ومسموعا لا تمجّه الآذان، وغضّا لا يخلق على كثرة الترداد، وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه»[2].

كما تولى المفسرون بيان مزايا الأسلوب القرآني وبلاغته ووجوه إعجازه من خلال تفاسيرهم، فشيخ المفسرين في زمانه الإمام ابن جرير الطبري (ت310 هـ) يقول في مقدمة تفسيره: «... من أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب، ورصفه الغريب، وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلّت عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيّرت في تأليفه الشعراء»[3]. وعلى إثر ذلك اتسعت دائرة الكتابة في علوم البلاغة بعامة وفي إعجاز القرآن بشكل خاص. ولعل أول من ألف كتابا مستقلا تحت هذا العنوان هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت306 هـ)، وسماه «إعجاز القرآن البياني». وتذكر كتب التراجم أن عبد القاهر

1 ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، دار القلم-دمشق، ط3، 1426هـ – 2005م، ص45-47

2 تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص11

3 جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ – 2000م، ج1 ص199

الجرجاني (ت471 هـ) شرح كتاب الواسطي بكتابين، أحدهما صغير، والثاني كبير وسماه «المعتضد»، وذلك قبل تأليفه كتاب «دلائل الإعجاز»[1].

- **مفهوم الإعجاز:**

الإعجاز لغة: مصدر، وفعله رباعي: أعجز، تقول: أعجز يُعجِز إعجازاً واسم الفاعل مُعجِز، واسم المفعول مُعجَز.

كلمة إعجاز أصلها من العَجْز، وقد ردّ ابن فارس (ت395 هـ) مدلول الكلمة إلى أصلين، حيث قال: «العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء»[2].

وفصّل الراغب الأصفهاني (ت502 هـ) في الأصل الثاني، فقال: "عَجُزُ الإنسان: مؤخرُه، وبه شُبِّه مؤخر غيره، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠﴾[3]، والعَجْزُ: أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجُز الأمر: أي مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾[4]، وأعْجَزتُ فلاناً وعَجّزتُه وعاجَزْتُه: جعلته عاجزاً... والعجوز سُميت؛ لعجزها في كثير من الأمور، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَـٰبِرِينَ ۝١٣٥﴾[5]، وقال: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾[6] [7].

---

1 مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص47-48

2 معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي، مادة (عجز)

3 سورة القمر (54 : 20)

4 سورة المائدة (5 : 31)

5 سورة الصافات (37 : 135)

6 سورة هود (11 : 72)

7 المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، بيروت، ط1، 1412هـ، مادة (عجز)

وجاء في مختار الصحاح: «أعجَزَهُ الشيءُ: فاته، وعَجَّزَه تعجيزاً: ثبَّطه أو نسبه إلى العجز»[1].

والإعجاز في الاصطلاح: له عدة تعريفات، منها تعريف الإمام الجرجاني (ت816 هـ) في كتابه القيم "التعريفات": «الإعجاز في الكلام هو أنْ يؤدى المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق»[2].

ويشرح الباقلاني (ت403 هـ) سر إعجاز القرآن بقوله: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني... ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قُدَرهم: فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، أو مناقضته في شكله وأنى لهم ذلك وأمر معاناة المعاني التي تحملها الألفاظ، شديد بالغ الشدة لأنها نتائج العقول، وولائد الأفهام، وبنات الأفكار»[3].

ثم يربط بين هذا الإعجاز واختيار اللفظ، وأن للمفردة القرآنية قيمتها البلاغية ودورها في صنع هذا الإعجاز الذي بهر عقول العرب، يقول: «إنّ عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الّذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدّل المعنى الّذى يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»[4].

أما مصطفى صادق الرافعي (ت1356هـ) فقد عرَّفه بقوله: "وإنما الإعجاز شيئان:

---

1 مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الحنفي الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت-صيدا، ط5، 1420هـ-1999م، مادة (عجز)

2 كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1: 1403هـ -1983م، ص31

3 إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني ص15

4 المرجع السابق، ص16

«أولهما: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، وثانيهما: استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت»[1].

- **مظاهر الإعجاز عند العلماء:**

لقد أحدث القرآن هزة في حياة الناس، وبخاصة أولئك الذين نزل فيهم، حيث قلب عقائدهم، وغيّر مجرى حياتهم، فكان بمثابة انقلاب عقدي وتشريعي طرأ عليهم، لهذا وقف العلماء أمام كتاب الله يسبرون أغواره، ويبحثون عن السرّ الّذي أعجز العرب البلغاء عن معارضته، وسلب عقولهم، وحوّل حياتهم، فبذلوا جهوداً عظيمة، وقدّموا نظرياتٍ متعددةً، وآراءً مختلفةً، وتشعبت اتجاهاتهم في وجوه إعجاز القرآن الكريم، فهم وإنْ اتفقوا على إعجازه، فإنهم اختلفوا في كونه يظهر بوجه واحد أم بوجوه متعددة، فقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الإعجاز البياني هو الأساس، ثم اختلفوا بعد ذلك، فمنهم مَن اقتصر عليه، ومنهم مَن أضاف إليه وجوهاً أخرى[2].

وهذا التعدد في الرأي دليل على الإعجاز، فالقرآن الذي وجد فيه اللغوي قمة في الإبداع، ووجد فيه البلاغي قمة في الفصاحة، ووجد فيه الفقيه تشريعا رائع الأحكام، ووجد فيه الفيلسوف رؤية شمولية للكون والحياة والإنسان، لا بد أن يكون معجزا في كل شيء، فالإعجاز إعجاز تحد، وهو مطلق لا يتوقف عند حدود اللغة والبيان والفصاحة والبلاغة ... وإعجاز القرآن إعجاز مطلق، فهو معجز بكل ما فيه، ومن الخطأ أن نتصور الإعجاز في جانب محدود، فالإعجاز الإلهي إعجاز متعدد الجوانب، لا يتوقف عند حدود الزمان أو المكان، وهو مستمر إلى يوم الدين، ويمتد الإعجاز لكي يشمل حفظ الله للقرآن، ولعل الحفظ هو الإعجاز الأكبر والأوضح والأكمل، ولولا حفظ الله للقرآن لما استطاع أن

---

1 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط8، 1425هـ-2005م، ص98

2 ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص113

يظل على امتداد السنين وتكاثر الفتن فيها، واختلاف الرأي والاجتهاد وتعدد الطوائف موحد النص، واضح العبارة، متميزا في رسمه، يحتكم إليه في كل موقف، ويحتج فيه في كل حكم، ويجد الجميع فيه ما يبتغون من هداية وإرشاد[1].

لم يقتصر الإعجاز عند الإمام الرّماني[2] (ت384 هـ): «على وجه واحد، بل ذكر وجوهاً عِدّة له، وهي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة، التحدي للكافّة، الصرفة، البلاغة، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، نقض العادة، القياس بكل معجزة»[3].

أما الإمام الخطابي (ت388 هـ) فيرى: «أن القرآن معجز بفصاحة ألفاظه، وحسن تأليفه، وصحة معانيه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد لَفَت الأنظار إلى صنيع القرآن في القلوب، وتأثيره في النفوس»[4].

ويظهر الإعجاز عمد الإمام الباقلاني (ت403 هـ) في ثلاثة أوجه: الأول: الإخبار عن الغيوب، الثاني. كان معلوماً من حال النبي ﷺ أنه كان أمِّياً لا يكتب ولا يحسن القراءة، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير من حين خلق الله آدم إلى حين مبعثه. والثالث: بديع نظم القرآن، وعجيب تأليفه، وأنه متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه[5]، وفصّل ذلك بعض التفصيل فقال: «فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم،

---

1 ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمّد فاروق النبهان، ص221

2 علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة، له نحو مئة مصنف، منها: الأسماء والصفات، شرح سيبويه، النكت في إعجاز القرآن.

3 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمّد خلف الله أحمد، د. محمّد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط3، ص75

4 ينظر: المرجع السابق، ص72

5 إعجاز القرآن، أبوبكر الباقلاني، ص69

ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد»[1].

ومنها «أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر»[2].

وقصر عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) الإعجاز على وجه واحد، وهو فصاحة الكلام التي لا تظهر إلا في الكلمات المضمومة بعضها إلى بعض، لا في الكلمات المفردة، وهو ما عبّر عنه الشيخ عبد القاهر بالنظم[3].

يتميز الجرجاني (ت471 هـ) عن غيره باعتماده على الذوق البياني والفطرة النقية الصافية التي مكنته من استكشاف آفاق جديدة من معاني الإعجاز لم يدركها من كتبوا في الإعجاز في إطار مقاييسهم المنطقية ومعاييرهم الكلامية ونظرتهم الفلسفية، فالإعجاز يدرك بالعقل من خلال مقاييسه الثابتة ويدرك بالفطرة والذوق من خلال اكتشاف آفاق جمالية في النص القرآني[4].

واعتبر «الملاءمة بين الألفاظ»، هي أساس الفضيلة في البيان العربي، فاللفظة لا تستمد مكانتها من ذاتها، ولو كانت كذلك لتساوى الكتاب والأدباء في مكانتهم، ولكن يقع التفاضل بين هؤلاء بحسب قدرتهم على إيجاد التلاؤم بين اللفظة واللفظة التي تليها، فالكلمة الواحدة قد تكون حسنة في موضع ومستقبحة في موضع آخر، مقبولة في عبارة ومرفوضة في عبارة أخرى، وفرق الجرجاني بين حروف منظومة وكلم منظومة، فنظم الحروف تواليها في النطق ونظم الكلم مراعاة المعاني في النظم وترتيبها بطريقة ملائمة ومعبرة، كالنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، بحيث يكون الوضع والترتيب

1 إعجاز القرآن، أبوبكر الباقلاني، ص35

2 المصدر السابق، ص70

3 ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص458، 467

4 ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، ص241

خاضعا لمعايير وأقيسة ومرجحات بحيث لو تم استبدال هذا الترتيب بغيره لما صح النظم ولما استقام أمره[1].

قال: «فقد اتضح اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر»[2].

وقال بعد ذلك: «والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وأنه نظير الصياغة والتحبير[3] والتفويف[4] والنقش وكل ما يقصد به التصوير»[5]. وأكد هذا المعنى بقوله: «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس»[6].

ثم ختم عبارته بقوله: «إذا لم يكن في الكلم نظم ولا ترتيب إلا بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته بان بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الكلمة تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى

---

1 ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، مُحَمَّد فاروق النبهان، ص241

2 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص93

3 مأخوذ من التحبير وحسن الخط والمنطق وتحبير الخط والشعر بتحسينه

4 الفوف: ضرب من برود اليمن. وقال ابن الأعرابي: الفوف ثياب رقاق من ثياب اليمن موشاة وهو الفوف بضم الفاء وبرد مفوف برد رقيق.

5 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص96

6 المصدر السابق، ص100

تتجرد أصواتا وأصداءَ حروفٍ لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»[1].

الإعجاز هو نتاج علاقة تكاملية بين اللفظ والمعنى، ولا يمكن تصور الفصاحة في إطار لفظ دون معنى، فالصورة البيانية هي نتاج لفظ معبر ومعنى يجسد الصورة، ويعطي للألفاظ أبعادها وصورها وجمالها، فاللفظة المفردة لا يمكن أن تكون معجزة، لأنها تظل قاتمة صامتة لا تنطق والمعنى العظيم هو الذي ينطق اللفظ ويجعل له لسانا معبرا، وعند ما يتحدث أهل البيان عن الألفاظ الجميلة والألفاظ القلقة والمستكرهة، فإنهم لا يقصدون على وجه التأكيد مجرد اللفظ، فاللفظ لا يمكن وصفه بدقة إلا في إطار ملاءمته لمعناه المراد، وحسن انسجامه مع الألفاظ الأخرى في الجملة الواحدة بحيث يصبح الكلام معبرا أحسن تعبير عن معنى مراد، وبالرغم من اهتمام الجرجاني بالتلاؤم والانسجام والتوافق بين اللفظ والمعنى فإنه لا يتجاهل أهمية اللفظ، فاللفظ هو الأداة الأولى للتعبير، وهو الجانب الواضح في النظم، وهو معيار ضروري لجودة الكلام وفصاحته وبيانه، ولولا ذلك اللفظ لما ظهرت المعاني ولما برزت الفصاحة[2].

□

1 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص100

2 ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، مُحَمَّد فاروق النبهان، ص221

الفصل الأول

أسماء الله الحسنى

تعريفها وإحصاؤها وتصريفها وتركيبها

- معرفة أسماء الله الحسنى وإحصاؤها
- شرح أسماء الله الحسنى وتفسيرها
- تصريف أسماء الله الحسنى وتركيبها

الفصل الأول أسماء الله الحسنى: تعريفها وإحصاؤها وتصريفها وتركيبها

المبحث الأول. معرفة أسماء الله الحسنى وإحصاؤها

- معرفة أسماء الله الحسنى
- دلالة أسماء الله الحسنى
- ضوابط إحصاء أسماء الله في القرآن

المبحث الثاني. شرح أسماء الله الحسنى وتفسيرها

- الجمال في أسماء الله الحسنى
- تعدد أسماء الله الحسنى وحصرها
- التفسير اللغوي والشرعي للأسماء الحسنى

المبحث الثالث. تصريف أسماء الله الحسنى وتركيبها

- الصيغ الصرفية لأسماء الله الحسنى
- التراكيب المختلفة لأسماء الله الحسنى
- دلالات تراكيب الأسماء الحسنى

المبحث الأول

معرفة أسماء الله الحسنى وإحصاؤها

❖ معرفة أسماء الله الحسنى:

إن العلم بأسماء الله الحسنى وبيان دلالاتها من أشرف العلوم وأزكاها، لأنها تتعلق بالذات الإلهية، وشرف العلم بشرف المعلوم لأنها تضاف وتنسب إليه سبحانه وتعالى، وإحصاؤها مما رغب فيه النبي ﷺ وحث عليه، كما ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله قال: ﴿إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة﴾[1]، فإحصاؤها، فضلا عن كونه، سببا لدخول الجنة بإذن الله، هو قضية لها من الأهمية والمكانة في قلوب المسلمين ما تتطلع إليه نفوس الموحدين وتتعلق به ألسنة الذاكرين ويرتقي الطالبون من خلالها مدارج السالكين، قال ابن القيم (751 هـ): «فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها»[2].

والمراد بالأسماء الحسنى «الأسماء التي تطلق على الحق سبحانه وتعالى إشارة إلى ذاته العلية أو صفاته الأزلية أو أفعاله القدسية، والتسمية بها أمر توقيفي لا دليل عليه إلا الشرع من كتاب أو سنة أو إجماع»[3].

1 الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ، ح:2736، (ج3 ص198)

2 بدائع الفوائد، مُحَمَّد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تح: علي بن مُحَمَّد العمران، دار عالم الفوائد ج1 ص287

3 التيسير في أحاديث التفسير، مُحَمَّد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1: 1405هـ، ج4 ص62

وكل اسم من أسمائه سبحانه يدل على الذات المسماة وعلى الصفة التي تضمنها الاسم، كالعليم يدل على الذات والعلم، والقدير يدل على الذات والقدرة، فأي اسم من أسمائه إلا وهو متضمن لهذين المعنيين، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[1]؛ «أي أنكم إنما تدعون إلها واحدا له الأسماء الحسنى فأي اسم دعوتموه فإنما دعوتم المسمى بذلك الاسم، فأخبر سبحانه أنه إله واحد وإن تعددت أسماؤه الحسنى المشتقة من صفاته، ولهذا كانت حسنى، وإلا فلو كانت –كما يقول الجاحدون لكماله– أسماء محضة فارغة من المعاني ليس لها حقائق لم تكن حسنى، ولكانت أسماء الموصوفين بالصفات والأفعال أحسن منها»[2].

ويؤكد ذلك دعوة النبي ﷺ أمته إلى إحصائها «الذي هو قطب السعادة ومدار النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، إذ لا يقتصر إحصاؤها على مجرد عدِّ ألفاظها وهو المرتبة الأولى من مراتب الإحصاء، وإنما يتعدى ذلك إلى فهم معانيها ومدلولها وهو ثاني المراتب بالإضافة إلى دعاء الله بها، دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى»[3]. ولذلك فإن السائل يتخير من أسمائه سبحانه وتعالى ما يتوافق مع سؤاله ومطلوبه، فمن سأل الله التوبة والمغفرة فإنه لا يجد أنسب من أن يدعو الله ويسأله بأسمائه: الغفور، الغفار، التواب، الرحيم، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾[4].

---

1 سورة الإسراء (17: 110)

2 الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: 1408هـ، ج3 ص938

3 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج01 ص288

4 سورة القصص (28 : 16)

كذلك أسماء الرب تعالى كلها أسماء مدح، ولو كانت ألفاظا مجردة لا معاني لها لم تدل على المدح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى، فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ بل لدلالتها على أوصاف الكمال[1].

والقارئ لكتاب الله يجده مليئا بآيات المدح والتعظيم لله سبحانه وتعالى، «ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه»[2]، ومن أعظم ما مدح الله به نفسه بالإضافة إلى أفعاله الدالة على الحكمة، فقد مدح نفسه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾[3].[4]

كما يستدل سبحانه وتعالى بأسمائه على توحيده ونفي الشرك عنه، ولو كانت أسماء لا معنى لها لم تدل على ذلك، كقول هارون عليه السلام لعبدة العجل: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[5]، وقوله سبحانه في القصة ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ۝٩٨﴾[6]، وقوله في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

1 ينظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية، تح: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، ط2: 1407هـ، ص172

2 صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ح:4634)، ج6 ص57

3 سورة آل عمران (02 : 02)

4 مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تح: أنور الباز– عامر الجزار، دار الوفاء، ط3: 1426هـ، ج16 ص98

5 سورة طه (: 90)

6 سورة طه (20: 98)

يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾[1]، فسبح نزه نفسه عن شرك المشركين به عقب تمدحه بأسمائه الحسنى المقتضية لتوحيده واستحالة إثبات شريك له[2].

1 سورة الحشر (59: 22-23)

2 ينظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية، ص175

❖ دلالة أسماء الله:

أسماء الله كلها حُسنى، ومن أسمائه الحسنى التي وردت في السنة «الجميل»، لقوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»[1]، وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة، وأما جمال الذات وما هو عليه فأمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرَّف بها إلى من أكرمه من عباده[2]، ودلالة أسماء الله ثلاثة أنواع:

أ. دلالة مطابقة إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله.

ب. ودلالة تَضمُّن إذا فسرناه ببعض مدلوله.

ت. ودلالة التزام إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها[3].

مثال ذلك: «الخالق، فإنه يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام، ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾، قال بعد ذلك: ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾[4].»[5]، فجعل العلم من لوازم الخلق، إذ لا يصح الخلق بدون الإحاطة بالمخلوق والعلم به.

---

1 سنن الترمذي، أبو عيسى مُحَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تح: أحمد مُحَّد شاكر، مُحَّد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2: 1395هـ، (ح: 1999)، ج4 ص361

2 ينظر: الفوائد، مُحَّد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2: 1393هـ، ص182

3 شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ص24

4 سورة الطلاق (65 : 12)

5 ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، مُحَّد بن صالح بن مُحَّد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط3: 1421هـ، ص11

وكل اسم من أسمائه سبحانه وتعالى متضمن للصفة، وأما صفات الله فإنها تنقسم إلى قسمين صفات الذات مثل العلم من العليم، والحياة من الحيّ، والسمع من السميع والبصر من البصير، والعظمة من العظيم، والعلو من العليّ، والغنى من الغنيّ، وصفات الأفعال مثل: الخلق من الخالق، والتصوير من المصور، والغفران من الغفور، والوهب من الوهاب، والعفو من العفوّ.

وإذا أمعنا النظر في معاني ودلالات هذه الأسماء أمكننا تصنيفها طبقا لتقاربها في المعاني، ووفقا لذلك يمكن أن نصنفها إلى مجموعات ذات دلالات مشتركة:

1. **أسماء العظمة والعزة والقدرة:** الله، الإله، الأحد، الصمد، الأعلى، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العزيز، الجبار، القاهر، القهار، القادر، القدير، المقتدر، العزيز، المتعالي، المتكبر، العظيم، القوي، المجيد، المتين.
2. **أسماء الخلق والتدبير والرزق:** البارئ، الوهاب، الحي، القيوم، الخالق، الخلاق، الرزاق، الغني، الفتاح، الوكيل.
3. **أسماء الرحمة والود:** الرحمن، الرحيم، الحليم، الرؤوف، اللطيف، الودود، الحميد، البرّ، الشاكر، الشكور.
4. **أسماء العلم والملك والإحاطة بالخلق:** السميع، العليم، الحكيم، الخبير، المهيمن، المحيط، الملك، المليك، المولى، النصير، الوارث، الواسع، الولي، القريب، المجيب، الشهيد.
5. **أسماء المغفرة والإحسان:** الغفور، الغفار، التواب، الكريم، الحسيب، الحليم.

ومن أسماء الله الحُسنى ما يكون دالاً على عدة صفات، قال الإمام ابن القيم (ت751 ﻫ): «من أسمائه الحُسنى ما يكون دالاً على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها... كاسمه العظيم، والمجيد، والصمد،

كما قال ابن عباس رضي الله عنه فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره[1]: «الصمد السيد الذي قد كَمُلَ في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه، وهذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار»[2].

ومما يختص به سبحانه أن أسماءه تطلق عليه مفردة أو مقترنة ببعضها، وحقيقة ذلك، أنها تدل بمفردها على معنى، وتدل إذا اقترنت ببعضها على معنى آخر، مثلاً: نجد الاقتران الكثير بين اسم الله عز وجل العزيز الحكيم، فهذا له مدلول خاص وهو أن عزة الله عز وجل مرتبطة بحكمته، فإنه لا يظلم سبحانه وتعالى، وهكذا السميع البصير، وهكذا بقية أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته[3].

بالإضافة إلى ذلك فإن لله أسماء تعتبر جوامع أسمائه سبحانه، ومصطلح جوامع كثير التداول في كتب اللغة وكذلك الحديث حيث اشتهر بين علماء اللغة عبارة «جوامع الكلم» وهو ما قلَّت ألفاظُه وكثرت معانيه من الكلام وفي الحديث: «أوتيت جوامعَ الكلمِ» أي القرآن جمع في ألفاظه اليسيرة معاني كثيرة ومنه: «كان يستحب الجوامع من الدعاء» وهي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة والثناء على الله وآدابَ المسألة أو ما كان لفظُه يسيراً في معاني كثيرة[4].

اسم «الله» هو الاسم الجامع لأسمائه سبحانه وتعالى، ولهذا تضاف إليه بقية الأسماء، فيقال: الرحمن الرحيم، السميع العليم، العزيز الحكيم من أسماء الله، ولا يقال:

---

1 تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط3: 1419هـ، ج10 ص3474

2 بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، ج1 ص296

3 ينظر: المرجع السابق، ج1 ص283

4 التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، ط1: 1424هـ، ص73

الله من أسماء الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[1]، أسندت جميع أسمائه سبحانه إلى اسمه الأعظم «الله»، ويضاف إلى هذا الاسم «الله»، الاسمان «الرب»، «الرحمن» لتكوّن هذه الأسماء الثلاثة جوامع أسماء الله الحسنى، ومن هذه الأسماء تتفرع جميع بقية الأسماء، لأنها إنما تدل على الألوهية الممثلة في الاسم «الله»، أو الربوبية الممثلة في الاسم «الرب»، أو الرحمة الممثلة في الاسم «الرحمن»، ويؤكد هذا المعنى، ما ذكره العلماء عن سورة الفاتحة، واشتمالها على هذه الأسماء الثلاثة.

قال الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، لقد سمى النبي ﷺ هذه السورة بـ «أم الكتاب» كما في الحديث الذي رواه أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : «ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثل أم الكتاب، وهي السبع المثاني»[2]، لأنها أصل القرآن، فقد اشتملت على أصول العقيدة وعلى الأهداف الأساسية للقرآن، ففيها الثناء على الله وتعظيمه ودعاؤه، ومن أهم أصول العقيدة تعريف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ولذلك فقد جمعت الأسماء الثلاثة: الله، الرب، الرحمن، التي هي مرجع الأسماء الحسنى، يقول ابن القيم (ت751 ه): «هذه السورة اشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي: الله، والرب، والرحمن، وقد بنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة»[3]، فيثنى عليه سبحانه ويعبد بإلهيته المتمثلة في اسمه «الله» ويخلق ويرزق ويميت ويحيى ويدبر الملك ويضل من يستحق

---

1 سورة الأعراف (07 : 180)

2 صحيح ابن خُزَيمة، أبو بكر مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، الدكتور مُحَمَّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط3: 1424ه، ج1 ص281 (ح:501)

3 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط3: 1416ه، ج1 ص31

الإضلال ويغضب على من يستحق الغضب بربوبيته وحكمته المتمثلة في اسمه «الرب» وينعم ويرحم ويجود ويعفو ويغفر ويهدي ويتوب برحمته المتمثلة في اسمه «الرحمن»[1].

1 ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ، ص228

❖ ضوابط إحصاء أسماء الله في القرآن:

لقد ورد في القرآن الكريم الإخبار بأن لله الأسماء الحسنى يذكر ويدعى بها، وأخبر النبي ﷺ أن لله تسعة وتسعين اسما، لكن لم يصح عنه بيان هذه الأسماء، حتى يتجنب المسلم الوقوع في الخطأ فيسمي الله باسم ليس من أسمائه، أو ينفي عنه ما هو من أسمائه، لذلك اجتهد العلماء في بيان الضوابط التي تضبط هذه الأسماء وتجنب القول على الله بغير علم، أو الإلحاد فيها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾[1] فقد نهى الله تعالى عن الإلحاد فيها وحقيقته: «العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما تدل عليه مادته (ل ح د) فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل قال ابن السكيت: "الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه"»[2].

«ومعنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد، قال الأزهري في قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[3]؛ قال الفراء: قرئ يَلحَدون، فمن قرأ يَلحَدون أراد يميلون إليه، ويُلْحِدون يعترضون»[4].

وأقسام الإلحاد خمسة:

أولاً. تسميته بما لا يليق بجلاله وعظمته كتسمية النصارى له أباً، والفلاسفة له موجباً بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

---

1 سورة الأعراف (07 : 180)

2 الحاوي في تفسير القرآن الكريم، عبد الرحمن بن محمد القماش، حقوق الطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم، ط1: 2009م، ج298ص144

3 سورة النحل (16 : 103)

4 لسان العرب، ابن منظور، مادة «لحد» ج3 ص389

ثانياً. أن يسمى بها بعض المخلوقات كتسميتهم اللات من الإله واشتقاقهم العزى من العزيز.

ثالثاً. وصفه بما يتقدس ويتنزه عنه، كقول اليهود قبحهم الله ولعنهم: «إن الله فقير» وقولهم: «يد الله مغلولة» ونحو ذلك.

رابعاً. تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني.

خامساً. تشبيه صفاته بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه[1].

وقبل عرض ضوابط إحصاء أسماء الله، لابد من بيان مراتب الإحصاء، التي ذكرها العلماء:

«**المرتبة الأولى:** إحصاءُ ألفاظها وعددها، **المرتبة الثانية:** فهمُ معانيها ومدلولها، **المرتبة الثالثة:** دعاؤه بها، وهو مرتبتان: الأولى: دعاء ثناء وعبادة، والثانية: دعاء طلب ومسألة»[2].

أما ضوابط إحصاء أسماء الله في القرآن والسنة النبوية الصحيحة، فإن العلماء قد فصلوا في ذلك، وسأحاول تلخيصها وذكر أبرزها وما يتعلق منها بإحصاء الأسماء الحسنى في القرآن بما أن مجال الدراسة يتعلق بالخطاب القرآني:

1. أسماء الله أعلام وأوصاف[3]: أسماء الله عز وجل أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منها

---

1 عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ج1 ص214-215

2 فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، تح: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس، الكويت، ط1: 1424هـ، ص31

3 بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، ص285

على معناه الخاص[1]، فـ«الرحمن الرحيم» : هما وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، وكلاهما يدلان على ذات الله سبحانه وتعالى، لكنهما يختلفان في الوصف لأن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم.

وقد دل القرآن أن كل اسم من أسمائه متضمن للمعنى الذي يدل عليه، فـ«الرحيم» اسم على ذات الله وهو في نفس الوقت متضمن لمعنى الرحمة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[3]، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة[4]، كما أشار إلى ذلك الزمخشري (ت538 هـ) عند تفسيره لهذه الآية «الغفور البليغ المغفرة ذو الرّحمة الموصوف بالرحمة»[5].

أسماء الله الحسنى كلها أعلام وأوصاف دالة على معانيها وكلها أوصاف مدح وحمد وثناء، ومعنى ذلك أن أسماء الله، ليست أعلاما محضة لا تدل على معاني، كما يقول ذلك المعتزلة، فالمعتزلة أثبتوا لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، بل هي أعلام وأوصاف، ولو كانت أسماؤه تعالى أعلاما محضة بدون معان لم تكن حسنى[6].

2. أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل يطلق عليه منها كمالها وهذا كالمريد والفاعل والصانع فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولكن تطلق عليه مقيدة كالفعال لما يريد[7]، قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا

1 القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمّد بن صالح بن محمّد العثيمين، ص8

2 سورة يونس (10 :107)

3 سورة الكهف (18 :58)

4 ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمّد بن صالح بن محمّد العثيمين، ص8

5 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3: 1407هـ، ج2 ص730

6 مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، ج3 ص8

7 ينظر: بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، ابن قيم الجوزية، ص284

دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[1] وحينئذ لا يمكن اعتبارها من أسمائه سبحانه.

3. أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدا كـ «الضلال»: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾[2] أو ما أطلق عليه من باب المقابلة كـ «المكر»: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[3]، أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل الماكر –تعالى الله عن قوله– فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة[4].

4. أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلا ومصدرا، نحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾[5] ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[6] هذا إن كان كان الفعل متعديا، فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال حيا[7].

5. أن أسماءه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلا، وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل، نحو الخالق والرزّاق والمحيي والمميت، وهذا يدل على أن

---

1 سورة هود (11 : 107)

2 سورة الأعراف (07 : 178)

3 سورة الأعراف (07 : 178)

4 ينظر: بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، ابن قيم الجوزية، ص285

5 سورة المجادلة (58 : 01)

6 سورة المرسلات (77 : 23)

7 ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج01 ص286

أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، وهذا باطل فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته، لا يدخل في أفعاله فالشر ليس إليه، ولا يضاف إليه فعلا ولا وصفا، وإنما يدخل في مفعولاته وفرق بين الفعل والمفعول فالشر قائم بمفعوله المباين لا بفعله الذي هو فعله[1].

وقد اجتهد العلماء في استقراء القرآن الكريم وبيان هذه الأسماء من مواطنها، وقد خلص استقراؤهم إلى هذه القائمة من الأسماء:

قائمة الأسماء الحسنى وأدلتها:

قائمة أسماء الله الحسنى المذكورة في القرآن الكريم[2]

الله	الأحد	الأعلى	الأكرم	الإله	الأول	الآخر	الظاهر	الباطن
البارئ	البر	البصير	التواب	الجبار	الواحد	الحسيب	الحفيظ	الوهاب
الحق	المبين	الحكيم	الحليم	الحميد	الحي	القيوم	الخبير	الخالق
الخلاق	الرؤوف	الرحمن	الرحيم	الرزاق	الرقيب	السلام	السميع	الشاكر
الشكور	الشهيد	الصمد	الكريم	العزيز	العظيم	العفو	العليم	العلي
الغفار	الغفور	الغني	الفتاح	القادر	القاهر	القدوس	القدير	القريب
القوي	القهار	الكبير	المتعالي	اللطيف	المؤمن	المتكبر	المتين	المهيمن
المجيب	المجيد	المحيط	المصور	المقتدر	المقيت	الملك	المليك	المولى
النصير	الوارث	الواسع	الودود	الوكيل	الولي			

1 ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج01 ص287-288

2 ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمّد بن صالح العثيمين، ص15

وهذه أدلة ورودها في القرآن الكريم:

1. الله 2.الرَّحْمَنُ 3.الرَّحِيمُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

[الفاتحة: 2-3]

4.المَلِك 5.القُدُّوس 6.السَّلامُ 7.المُؤْمِنُ 8.المُهَيْمِنُ 9.العَزِيزُ 10.الجَبَّارُ 11.المُتَكَبِّرُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ [الحشر:23]

12.الخَالِقُ 13.البَارِئُ 14.المُصَوِّرُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:24]

15.الأَوَّلُ 16.الآخِرُ 17.الظَّاهِرُ 18.البَاطِنُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد:3]

19.السَّمِيعُ 20.البَصِيرُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]

21.المَوْلَى 22.النَّصِيرُ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾

[الحج: 78]

23.العَفُوّ 24.القَدِيرُ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝١٤٩﴾ [النساء:149]

25.اللطيف 26.الخَبِير: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك:14]

27. الكَبِيرُ 28.المُتَعَال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد:9]

29.الوَاحِدُ 30.القَهَّارُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [الرعد:16]

31. الحَقُّ 32.المُبِينُ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ [النور:25]

33. القَوِيّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود:66]

34.المَتِينُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات:58]

35.الحَيُّ 36.القَيُّومُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:255]

37.العَلِيُّ 38.العَظِيمُ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة:255]

39.الشَّكُورُ 40.الحَلِيمُ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن:17]

41.الوَاسِعُ 42.العَلِيمُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾ [البقرة:115]

43.التَّوابُ 44.الحَكِيمُ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [النور:10]

45.الغَنِيُّ 46.الكَرِيمُ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النمل:40]

47.الأَحَدُ 48.الصَّمَدُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ [الإخلاص:01-02]

49.القَرِيبُ 50.المُجِيبُ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [هود:61]

51.الغَفُورُ 52.الوَدودُ، 53.المجيد: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج:14-15]

54.الوَلِيُّ 55.الحَميدُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ [الشورى:28]

56.الحَفيظُ: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٌ ٢١﴾ [سبأ:21]

57.الفَتَّاحُ: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ:26]

58.الشَّهيدُ: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧﴾ [سبأ:47]

59.المَليكُ 60.المُقْتَدِرُ: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر:55]

61.القَاهِرُ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام:18]

62.الشَّاكِرُ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ [النساء:147]

63.القَادِرُ: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣﴾ [المرسلات:23]

64.الخَلاَّقُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾ [الحجر:86]

65.الرَّزَّاقُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات:58]

66.الوَكيلُ: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران:173]

67.الرَّقيبُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب:52]

68.الحَسيبُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ [النساء:86]

69.المُقيتُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾ [النساء:85]

70.الأَكْرَمُ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾ [العلق:3]

71.البَرُّ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطور:28]

72.الغَفَّارُ : ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦﴾ [ص:66]

73.الرَّؤوفُ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠﴾ [النور:20]

74.الوَهَّابُ: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾ [ص:9]

75.الوَارِثُ: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣﴾ [الحجر:23]

76.الرَّبُّ: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس:58]

77.الأعْلى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى:1]

78.الإلَهُ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة:163]

المبحث الثاني

شرح أسماء الله الحسنى وتفسيرها

❖ الجمال في أسماء الله الحسنى:

إن أبلغ وأفضل ما يوصف به سبحانه وتعالى ويدعى به أسماؤه الحسنى، وقد ورد وصفها بالحسنى في عدة مناسبات في القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[1]، وهي حسنى لأنها حسنى في الأسماع والقلوب وتدل على توحيد الله وكرمه وإحسانه ورحمته، و«الحسنى» وصف مؤنث لصيغة التفضيل «أحسن»، وتعني بلوغ الغاية في الحسن والجمال، حُسن في اللفظ وحُسن في المعنى، ولذلك «فليست أسماء الله تعالى كالأعلام المحضة بل هي أسماء مع دلالتها على الصفات الكمالية، ولذلك سميت حسنى لدلالتها على الصفات الحسنة، فأسماء الله تعالى نحو السميع والبصير والعليم مع دلالتها على الله تعالى تدل كذلك على معانٍ هي صفات كمالية، وهي السمع والبصر والعلم»[2]، مثل «العليم» اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾[3]، العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ﴾[4]،

---

1 سورة الأعراف (07 : 180)

2 شرح الرسالة التدمرية، مُحَّد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، 1425هـ، ص121

3 سورة طه (20 : 52)

4 سورة الأنعام (06 : 80)

ثم فصل ذلك في نفس السورة: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[1].[2]

«ولو كانت هذه الأسماء أعلاما محضة لا معنى لها لم يكن فرق بين ختم الآية بهذا الاسم أو بهذا، وأيضا فإنه سبحانه يعلل أحكامه وأفعاله بأسمائه، ولو لم يكن لها معنى لما كان التعليل صحيحا كقوله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠﴾[3] وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢٦ وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧﴾[4] فختم حكم الفيء الذي هو الرجوع والعود إلى رضى الزوجة والإحسان إليها بأنه غفور رحيم، يعود على عبده بمغفرته ورحمته إذا رجع إليه، والجزاء من جنس العمل، فكما رجع إلى التي هي أحسن رجع الله إليه بالمغفرة والرحمة ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧﴾ فإن الطلاق لما كان لفظا يسمع ومعنى يقصد عقبه باسم السميع للنطق به العليم بمضمونه»[5].

والحسن في أسماء الله تعالى وصفاته يقتضي ألا يتسمى سبحانه بأسماء تحتمل المدح والذم في نفس الوقت، بل يجب أن تكون دالة على المدح الكامل له سبحانه، «وما انقسم مسماه إلى مدح وذم لم يجئ اسمه المطلق في الأسماء الحسنى كالفاعل والعامل والصانع والمريد والمتكلم لانقسام معاني هذه الأسماء إلى محمود ومذموم بخلاف العالم

---

1 سورة الأنعام (06 : 59)

2 القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص07

3 سورة نوح (71 : 10)

4 سورة البقرة (02 : 226- 227)

5 جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية، ص173

والقادر والحي والسميع والبصير»[1]، وقد وردت هذه الأسماء مقيدة بالإضافة إلى لفظ الجلالة للدلالة على أنه لا يصح إطلاقها على الله سبحانه وتعالى، «فأطلق سبحانه على فعله اسم الصنع فقال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[2] وهو منصوب على المصدر لأن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ﴾[3] يدل على الصنعة وقيل: هو نصب على المفعولية أي؛ انظروا صنع الله فعلى الأول: يكون صنع الله مصدرا، بمعنى الفعل، وعلى الثاني: يكون بمعنى المصنوع المفعول»[4].

1 شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398 هـ، ص132

2 سورة النمل (27 : 88)

3 سورة النمل (27 : 88)

4 شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398 هـ، ص132-133

❖ تعدد أسماء الله الحسنى وحصرها:

إن تعدد الأسماء دليل على عظم المسمى، وإشارة إلى شرفه وعلوّ منزلته، وتعدد أسماء الله دليل على عظم قدره وعلو شأنه، أخبر الله أن له الأسماء الحسنى ودعا عباده بأن يسموه بأي اسم شاءوا فقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[1]، قال ابن القيم (ت751 هـ): «إن الدعاء ههنا بمعنى التسمية، كقولهم: دعوت ولدي سعيداً، والمعنى: سمُّوا ربكم: الله، أو سمُّوه: الرحمن؛ وهذا قول الزمخشري (ت538 هـ)، والذي حمله على هذا قوله: ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾، فإن المراد بتعدُّده معنى «أيّ» وعمومها هنا تعدد الأسماء ليس إلا. والمعنى: أيَّ اسم سمَّيتموه به من أسماء الله تعالى؛ إما الله وإما الرحمن فله الأسماء الحسنى»[2].

وفي القرآن قلما نجد أسماءه الحسنى معطوفة بالواو، مثل: ﴿الرحمن الرحيم﴾ و﴿العزيز الحكيم﴾ و﴿الملك القدوس﴾، لأنها أسماء له سبحانه، والمسمى بها واحد، فلم تجر مجرى تعداد الصفات المتغايرة ولكن مجرى الأسماء المترادفة، نحو: الأسد والليث، وغير ذلك.

فأما قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾[3]، فلأنها ألفاظ متضادة المعاني في أصل موضوعها، فكان دخول "الواو" صرفاً لوهم المخاطب –قبل التفكر والنظر– وعن توهم المحال، واجتماع الأضداد من المحال، لأن الشيء لا يكون ظاهراً باطناً من وجه واحد، وإنما يكون ذلك من وجهين مختلفين، فكان العطف ههنا أحسن من

---

1 سورة الإسراء (17: 110)

2 فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط2: 1423هـ، ص148

3 سورة الحديد (57 : 03)

تركه، لهذه الحكمة الظاهرة، بخلاف ما تقدم مما لا يستحيل اجتماعه من الصفات في محل واحد[1].

سبق البيان أن الأسماء الحسنى تطلق على كل اسم سمَّى الله به نفسه في كتابه، أو سماه به نبيه ﷺ في صحيح سنته، ومادام أنه لم يصح عن النبي ﷺ عرض لهذه الأسماء، فلا مفر من تحري هذه الأسماء في مواطن ذكرها سواء في القرآن أو السنة، بالاعتماد على ضوابط الإحصاء التي حددها العلماء، وما ينبغي الإشارة إليه أن أسماء الله لا حصر لها، وإخبار النبي ﷺ «أن لله تسعة وتسعين اسما» لا يعني إطلاقا أن أسماءه سبحانه وتعالى محصورة بهذا العدد، «لأن جملة الحديث لا تدل على حصره بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر، لكانت العبارة: « إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما»»[2]، وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ في حديث آخر: « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»[3]، ففي الحديث إشارة إلى أن هناك أسماء أخرى، لا يعلمها إلا الله، قال البيهقي (ت458 هـ): «باب بيان أن لله جل ثناؤه أسماء أخرى وليس في قول النبي ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسما» نفي غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها لأنها أشهر الأسماء وأبينها معاني»[4]. يقول ابن القيم (ت751 هـ): « إن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل كما في الحديث «أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، فجعل أسماءه ثلاثة:

- قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه،
- وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده،

---

1 ينظر: نتائج الفكر في النَّحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1412هـ، ص187

2 القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمَّد بن صالح العثيمين، ص14

3 مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ، (ح: 3712)، ج6 ص246

4 الأسماء والصفات للبيهقي، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، تح: عبد الله بن محمَّد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1: 1413هـ، ج1 ص27

- وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال: استأثرت به: أي انفردت بعلمه»[1].

1 فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، ابن قيم الجوزية، ص39

❖ التفسير اللغوي والشرعي لأسماء الله:

شرح أسماء الله وتفسيرها من الأمور التي لا يجوز الاجتهاد فيها، بل يجب الالتزام بحسن الأدب مع الله، وألا يفسر الاسم إلا بما ورد من تفسير في القرآن نفسه، أو بما صح عن النبي ﷺ وعن صحابته الذين شغلوا بتفسير القرآن كابن عباس رضي الله عنه وغيره، أو من أقوال العلماء الثقات بعيدا عن التحريف والتأويل والتشبيه والتعطيل، خاصة ونحن نعلم أن باب الأسماء والصفات من فروع العقيدة التي زاغ فيها كثير من العلماء ونشأ عن ذلك العديد من الفرق والمذاهب الباطلة.

«ونصوص الأسماء الحسنى من النصوص المحكمة أيّما إحكام، بل هي من أحكم المحكمات، فمعانيها واضحة، ومن له علم بالعربية يستطيع التفريق بين اسم واسم، فنفهم من اسم «الرحمن» غير ما نفهمه من اسم «العزيز»، ونفهم من اسم «الغفور» غير ما نفهمه من اسم «الجبار»... وهكذا، وكذلك فإنَّ من إحكام الأسماء الحسنى تضمنها صفات الكمال، وأنها ليست أعلامًا مجردةً، فنعلم أن اسم الله «الحكيم» متضمن للحكمة الكاملة، وأن اسم الله «العزيز» متضمن للعزة الكاملة، وبهذا يتبين أن أسماء الله محكمة.

وأما ما تضمنته الأسماء من الصفات ففيه تفصيل: فإذا أريد معنى الصفة، فإنه أيضًا محكم وليس بمتشابه، لأننا نفهم القدر المشترك بين الصفتين أي: صفة الخالق، وصفة المخلوق من حيث اللفظ والمعنى العام الذي يجعلنا نفهم معنى الخطاب.

وأما إذا أريد حقائق الصفات وكيفياتها، فهذا من المتشابه الحقيقي الذي لا يعلم معناه إلا الله عز وجل، فلا يعلمه من البشر أحدٌ»[1].

---

1 المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، د. زين محمد شحاتة، تق: د.عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ط01: 1422هـ، ج1، ص27

ولا يمكن تفسير وشرح كل الأسماء الواردة في القرآن لكثرة عددها، حيث تناهز الثمانين (80) اسما، لذلك سيتم شرح وتفسير بعضها، مما يحتاج إلى بيان لالتباس معناه بغيره، أو مما لم يتطرق إلى شرحها وبيان مدلولها في مباحث الفصول الموالية:

- **الله:** هو أكثر أسماء الله ذكرا في القرآن، حيث ذكر مرفوعا 980 مرة، ومنصوبا 592 مرة، ومجرورا 1125 مرة[1]، بمجموع 2697 ذكرا، ذلك أنه الاسم الأعظم، وسائر أسمائه سبحانه تنسب إليه كما سبق الإشارة إلى ذلك، ومعناه: المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال[2]، «واختلفوا في كونه مشتقا أو لا، ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة، إلى عدم اشتقاقه لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول: يا الله ولا تقول: يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام، وقال آخرون إنه مشتق، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال، أقواها أنه مشتق من أله يَأْلَه إلهة، فأصل الاسم الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبا فقيل الله ومن أقوى الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾[3] مع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[4]، ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له ومعنى إله يأله إلهة عبد يعبد عبادة فالله المألوه أي المعبود ولهذا الاسم خصائص لا يحصيها إلا الله عز وجل وقيل إنه هو الاسم الأعظم»[5].

---

1 ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، 1364 هـ، ص40 إلى ص60

2 ينظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ص162

3 سورة الأنعام (06 : 03)

4 سورة الزخرف (43 : 84)

5 معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي، تح: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط1: 1410هـ، ج1 ص67

- **الرّبّ:** الرّبّ إما مصدر وإما صفة مشبهة على وزن فعل من ربه يربه بمعنى رباه وهو رب بمعنى مرب وسائس[1]، والرب هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. وهو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يؤله لأجلها وهي صفات الكمال كلها والمحامد كلها له والفضل كله والإحسان كله، وأنه لا يشارك الله أحد في معنى من معاني الربوبية[2].
- **الرحمن الرحيم:** الرحمن الرحيم وصفان مشتقان من الرحمة، والجمع بين الرحمن الرحيم فيه معنى أحسن، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته[3]، «ومناسبة الجمع في البسملة بين علم الجلالة وبين صفتي الرحمن الرحيم إن المسمِّي إذا قصد الاستعانة بالمعبود الحق الموصوف بأنه مولي النعم كلها جليلها ودقيقها يذكر عَلم الذات إشارة إلى استحقاقه أن يستعان به بالذات، ثم يذكر وصف الرحمن إشارة إلى أن الاستعانة على الأعمال الصالحة وهي نعم يحتاج إلى رعاية وعناية»[4].
- **التواب:** التوبة رجوع إلى الطّاعة وترك للمعصية، والتواب من يقبل رجوع عبده إليه[5]، إليه[5]، ومعنى المبالغة في التواب أنه الكثير القبول للتوبة أي لكثرة التائبين فهو مثال مبالغة من تاب المتعدي بعلى الذي هو بمعنى قبول التوبة إيذان بأن ذلك لا يخص

---

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج23 ص44

2 تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تح: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112 – السنة 33 -1421هـ، ص199

3 ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1 ص39

4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج01 ص170

5 تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تح: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ص62

تائبا دون آخر، ثم إن أمثلة المبالغة قد تجيء من غير التكاثر فالتواب، قد تكون بمعنى الملهم التوبة وهو كناية عن قبول توبة التائب[1].

- **المقيت:** اسم فاعل من أقات إذا أعطى القوت، واستعمل مجازا في معاني الحفظ والشهادة بعلاقة اللزوم، لأن من يقيت أحدا فقد حفظه من الخصاصة أو من الهلاك[2]. وقد يكون معناه المستولي على الشيء القادر عليه والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم وعليه يدل قوله عز و جل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا﴾[3] أي مطلعا قادرا فيكون معناه راجعا إلى القدرة والعلم[4].
- **الحسيب:** العليم وهو صفة مشبهة: من حسِب، ويجوز كونه من أمثلة المبالغة[5]، أو هو الكافي وهو الذي من كان له كان حسبه والله سبحانه وتعالى حسيب كل أحد وكافيه، وليس في الوجود شيء وحده هو حسب شيء سواه بل الأشياء يتعلق بعضها ببعض وكلها تتعلق بقدرة الله سبحانه وتعالى[6]، وله معنى ثالث وهو بمعنى الرقيب المحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، الذي يحفظ أعمال عباده من خير، وشر، ويحاسبهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر[7].
- **الوكيل:** الذي تفوض إليه الأمور، والمراد به الرب، لأنه يتكل عليه العباد في شؤونهم، أي لا تتخذوا شريكا تلجأون إليه[8]، وهو المتصرف في شيء بدون تعقب، ولما لم يعلق يعلق بذلك الوصف شيء علم أنه موكول إليه جنس التصرف وحقيقته التي تعم جميع

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج01 ص439
2 المرجع السابق، ج5 ص144
3 سورة النساء (04 : 85)
4 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص113
5 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج5 ص147
6 ينظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص114
7 تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، ناصر سعدي، ص214
8 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج15 ص25

أفراد ما يتصرف فيه، فعمَّ أحوال جميع الموجودات، وهذه المقدمة تقتضي الاحتياج إليه بالإمداد فهم بعد أن أوجدهم لم يستغنوا عنه لمحة ما[1].

- **الواسع**: اسم فاعل الموصوف بالسعة، ومعنى هذا الاسم عدم تناهي التعلقات لصفاته ذات التعلق فهو واسع العلم، واسع الرحمة، واسع العطاء، فسعة صفاته تعالى أنها لا حد لتعلقاتها، فهو أحق الموجودات بوصف واسع، لأنه الواسع المطلق[2]، ووصف الله بالسعة هنا قد تعلق بسعة علمه بسبب تعقيب الواسع بالعليم والدلالة على قوة علمه وكثرة متعلقات صفة علمه تعالى.
- **العزيز**: أصل (ع ز ز) في الكلام الغلبة والشدة ويقال عزني فلان على الأمر إذا غلبني عليه[3]، والعزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته[4]، ويرى الغزالي أن العزيز هو الذي يجب أن تجتمع فيه ثلاثة معان: « هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه»[5].
- **الحكيم**: الحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها، يجوز أَن يكون فعيلا فِي معنى فَاعل وَيجوز أَن يكون فِي معنى مفعل وَالله حَاكم ومحكم[6]، وهو الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والاطلاع على

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج24 ص54

2 المرجع السابق، ج03ص284

3 ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق الزجاج، ص33

4 تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، ناصر سعدي، ص214

5 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي أبو حامد، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ط1: 1407هـ، ص73

6 تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق الزجاج، ص52

مبادئ الأمور، وعواقبها، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه، وأمره[1].

- **القهار:** القهر في وضع العربية الرياضة والتذليل، يقال: قهر فلان النّاقة إذا راضها وذللها[2]، والقهار للمبالغة، أي الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات ودانت لقدرته، ومشيئته، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً ثم إن قهره مستلزم لحياته وعزته وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بإتمام حياته، وعزته، واقتداره[3]. هو الذي يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه فيقهرهم بالإماتة والإذلال وبما أقام من الآيات والدلالات على وحدانيته بل الذي لا موجود إلا وهو مسخر تحت قهره ومقدرته عاجز في قبضته[4].

- **الحي القيوم:** الحي من له الحياة الكاملة، والقيوم القائم بنفسه ولأهل السماوات والأرض القائم بتدبيرهم وأرزاقهم وجميع أحوالهم، فالحي: الجامع لصفات الذات، والقيوم: الجامع لصفات الأفعال وجمعهما في غاية المناسبة كما في القرآن في عدة مواضع كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[5]، وذلك أنهما محتويان على جميع صفات الكمال، فالحي هو كامل الحياة، وذلك يستلزم جميع صفات الكمال كالعلم والعزة والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة[6].

---

1 ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، ناصر السعدي، ص186

2 تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق الزجاج، ص38

3 ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، ناصر سعدي، ص223

4 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص114

5 سورة البقرة (02 : 255)

6 تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، ناصر سعدي، ص191-192

فالقيوم متضمن كمال غناه وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته[1].

- **الخبير:** الخبير على وزن فعيل من أبينة المبالغة، ومعنى المبالغة علمه وإحاطته بالأمور الباطنة، وهو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها، وهو بمعنى العليم ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة ويسمى صاحبها خبيرا[2].
- **اللطيف:** اللطيف وصف مشتق من اللطف أو من اللطافة، يقال: لطف- بفتح الطاء- بمعنى رفق، وأكرم، واحتفى. فالوصف من هذا لاطف ولطيف فيكون اللطيف اسم فاعل بمعنى المبالغة، ومنه قوله تعالى عن يوسف: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ج﴾[3]. ويقال لطف- بضم الطاء- أي دق وخف ضد ثقل وكثف. واللطيف: صفة مشبهة أو اسم فاعل. فإن اعتبرت وصفا جاريا على لطف- بضم الطاء- فهي صفة مشبهة تدل على صفة من صفات ذات الله تعالى، وهي صفة تنزيهه تعالى عن إحاطة العقول بماهيته أو إحاطة الحواس بذاته وصفاته، وإن اعتبر اللطيف اسم فاعل من لطف- بفتح الطاء- فهو من أمثلة المبالغة يدل على وصفه تعالى بالرفق والإحسان إلى مخلوقاته وإتقان صنعه في ذلك وكثرة فعله ذلك، فيدل على صفة من صفات الأفعال[4].

1 بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، ج2 ص183

2 ينظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص114

3 سورة يوسف (12 : 100)

4 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج7 ص417

- **القريب**: صفة مشبهة من الفعل قرب –بضم الراء– وقربه نوعان: قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته فهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وقرب خاص من عباده، وسائليه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد وإجابة الدعوة، وقبول التوبة، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ١٩﴾[1] وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[2]، وهذا القرب يقتضي إجابته لدعواتهم، ولهذا يقرن باسمه «المجيب»[3].

- **المهيمن**: مهيمن من هيمن فهو مهيمن[4]، ومعناه في حق الله عز وجل أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه، وكل مشرف على كنه الأمر مستول عليه حافظ له، فهو مهيمن عليه والإشراف يرجع إلى العلم والاستيلاء إلى كمال القدرة والحفظ إلى الفعل فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن ولن يجتمع ذلك على الإطلاق والكمال إلا لله عز وجل[5]. وهو المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور الذي أحاط بكل شيء علما[6].

- **الكريم**: صفة مشبهة من الفعل كرم –بضم الراء– وهو من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، وهو اسم جامع لكل ما يحمد[7]، وهو الذي إذا قدر

1 سورة العلق (96 : 19)

2 سورة هود (11 : 61)

3 تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله ناصر السعدي، ص222-223

4 ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج13 ص23، (حرف النون)

5 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص72

6 ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، ناصر سعدي، ص239

7 ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج13 ص23، (حرف النون)

عفا وإذا وعد وفى وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى[1]. وقد أطلق هذا الوصف على أشياء متعددة حيث يقصد به النفيس في جنسه، فالرزق الكريم هو نعيم الجنة، وكذلك الأجر الكريم[2]، والرسول الكريم هو محمد ﷺ أو موسى عليه السلام وكذلك جبريل عليه السلام، وكتاب كريم أي كتاب نفيس، كما استعمل هذا الوصف في وصف المعذبين ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾[3]، خبر مستعمل في التهكم بعلاقة الضدية، والمقصود عكس مدلوله، أي أنت الذليل المهان[4].

- **البارئ:** اسم فاعل من الفعل «برأَ» المهموز، في «الكشاف» المميز لما يوجده بعضه من بعض بالأشكال المختلفة. وهو مغاير لمعنى الخالق بالخصوص[5]. وأكد هذا الغزالي، حيث بين أن الخالق والبارئ والمصور غير مترادفة فقال: «يظن أنها مترادفة وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أولا، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا، والله سبحانه وتعالى خالق من حيث أنه مقدر، وبارئ من حيث أنه مخترع موجد، ومصور من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب»[6].
- **الأول:** وصف الله بأنه الأول معناه: أنه السابق وجوده على كل موجود وجد أو سيوجد، دون تخصيص جنس ولا نوع ولا صنف، ولكنه وصف نسبي غير ذاتي.

ولهذا لم يذكر لهذا الوصف متعلِّق- بكسر اللام-، ولا ما يدل على متعلق لأن المقصود أنه الأول بدون تقييد. ويستلزم هذا الوصف صفة الغنى المطلق، وهي عدم

---

1 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص117

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج22 ص6

3 سورة الدخان (44: 49)

4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج25 ص316

5 ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج4 ص509-510

6 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص117

الاحتياج إلى المخصص، أي مخصص يخصصه بالوجود بدلا عن العدم، لأن الأول هنا معناه الموجود لذاته دون سبق عدم، وعدم الاحتياج إلى محل يقوم به قيام العرض بالجوهر، ثم هذه الأولية في الوجود تقتضي أن تثبت لله جميع صفات الكمال[1].

- **الصمد**: جاء في الكشاف: «الصّمدُ فَعَل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج. والمعنى: هو الله الذي تعرفونه وتقرّون بأنه خالق السماوات والأرض وخالقكم، وهو واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه، وهو الغنى عنهم لَمْ يَلِدْ لأنه لا يجانس، حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا»[2]. وهو الذي قد كمل بعلمه وحكمته وحلمه، وقدرته، وعظمته ورحمته وسائر أوصافه[3].

□

□

□

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج27 ص360-361

2 الكشاف، الزمخشري، ج4 ص818

3 ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، ناصر سعدي، ص213

المبحث الثالث

تصريف أسماء الله وتركيبها

❖ الصيغ الصرفية لأسماء الله الحسنى:

كل أسماء الله مشتقة، وليس بينها اسم جامد، باستثناء الاسم «الله» الذي اختلف في كونه مشتقا أو غير مشتق، وتتنوع صيغ أسماء الله بين اسم الفاعل والصفة المشبهة وصيغة المبالغة واسم التفضيل.

ويكثر في القرآن الكريم توظيف الأسماء الحسنى في الإخبار عن الله أو تعليل أفعاله أكثر من توظيف الأفعال، تلك الأسماء التي ترد على صيغ متنوعة من الأسماء المشتقة سواء اسم الفاعل أو الصفة المشبهة أو صيغة المبالغة أو حتى اسم التفضيل، وكلها تتفق مع الفعل في الدلالة على الحدث لكنها تختلف عنه في أنها غير مقيدة بزمن، ولذلك كان الإخبار بها مستغرقا لجميع الأزمنة، عكس الإخبار عنه بالأفعال التي قد تكون مقتصرة على زمن من الأزمنة.

وما ينبغي الإشارة إليه أن بعض الأوزان تشترك بين بعض الأسماء وهذا أمر معروف في اللغة العربية فمثلا قد نجد صيغة «فعيل» مشتركة بين صيغة المبالغة والصفة المشبهة لكنها تختلف في طبيعة الفعل المشتقة منه، وقد يتكرر الأمر بين أوزان أخرى لأسماء الله.

اسم الفاعل: يشتق اسم الفاعل من الفعل الثلاثي «فعل» على وزن «فاعل» ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر.

يقول الناظم «ابن مالك»[1]:

كفاعلٍ صغ اسم فاعلٍ إذا ❁ من ذي ثلاثةٍ يكون كغذا
وزنة المضارع اسم فاعل ❁ من غير ذي الثلاث كالمواصل
مع كسر متلو الأخير مطلقا ❁ وضم ميم زائد قد سبقا

واسم الفاعل، اسم والاسم يدل على الثبوت والاستمرار، لكنه يشبه الفعل وشبهه هذا قد تحوّل به إلى ما يدل عليه الفعل المضارع من حركة وتجدد[2]، وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) عند حديثه عن الفروق في الخبر بين الاسم والفعل في الإثبات: «فإذا قلتَ: "زيد منطلق"، فقد أثبتّ الانطلاق فعلا له، من غير أن تجعله يتجدّد ويحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويل"، و"عمرو قصير": فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدّد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقْضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرّض في قولك: "زيدٌ منطلقٌ" لأكثر من إثباته لزيد، وأمّا الفعل، فإنه يُقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت: "زيد ها هو ذا ينطلق"، فقد زعمت أنّ الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويزجّيه»[3].

ويتبين مما تقدم أن دلالة اسم الفاعل على الحدوث تعني مشابهته للمضارع وإفادته للحال أو الاستقبال أو تجاوزه ذلك بالقصد إلى دوام التجدد[4].

أما دلالة اسم الفاعل على الزمن فمرتبطة بالسياق، «وليس في اسم الفاعل أي دلالة على الزمن البتة؛ لأن اسم الفاعل موضوع للدلالة على ذات متصفة بالحدث أي بالمصدر، وأن هذا الحدث قائم بهذه الذات، أي ثابت لها، لا يدل اسم الفاعل على أكثر

---

1 ألفية ابن مالك، محمَّد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، دار التعاون، ص41، باب: أبنية الفاعلين والمفعولين (والصفات المشبهات بها)

2 النحاة والقياس، صلاح الدين الزعبلاوي، مجلة التراث العربي – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- دمشق العدد 32 – السنة الثامنة: 1988م – 1408هـ، ص486

3 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص174

4 ينظر: النحاة والقياس، صلاح الدين الزعبلاوي، ص483

من ذلك، قال في الكليات[1]: «اسم الفاعل يستفاد منه مجرد الثبوت صريحا بأصل وضعه وقد يستفاد من غيره بقرينة، وكذا حكم اسم المفعول». وأما الزمن فمستفاد منه بقرينة من الخارج، أي من السياق، وهو في الآية الكريمة السابقة مستفاد من الظرف "غدا"»[2]، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾[3].

ويرى ابن مالك (ت672 هـ) في ألفيته، أن القياس في اشتقاق اسم الفاعل على وزن «فاعل» يكون من الثلاثي مفتوح العين ومكسورها إذا كان متعديا فقط.

أما غير هذا، أي الفعل الثلاثي مكسور العين إذا كان لازما، ومضموم العين، فاشتقاق اسم الفاعل منهما على وزن فاعل سماعي وليس قياسيا، يقول: ابن عقيل (ت769 هـ): «إذا أريد بناء اسم الفاعل من الفعل الثلاثي جيء به على مثال فاعل، وذلك مقيس في كل فعل كان على وزن فعَل بفتح العين متعديا كان أو لازما، فإن كان الفعل على وزن فعِل بكسر العين، فإما أن يكون متعديا أو لازما، فإن كان متعديا فقياسه أيضا أن يأتي اسم فاعله على فاعل، وإن كان لازما أو كان الثلاثي على فعُل بضم العين فلا يقال في اسم الفاعل منهما فاعل إلا سماعا[4].

ويرى ابن مالك (ت672 هـ) أيضا أن اشتقاق اسم الفاعل من الفعل الثلاثي اللازم مكسور العين، أو مضمومها، على وزن فاعل قليل، والقياس أن يكون على وزن «فَعِل بكسر العين، نحو: نضر فهو نَضِر، وبطر فهو بطِر، وأشر فهو أشِر، أو على فعلان، نحو: عطش فهو عطشان، وصدي فهو صديان، أو على أفعل نحو: سود فهو أسود، وجهر فهو أجهر، وإذا كان الفعل على وزن فعُل بضم العين كثر مجيء اسم الفاعل منه

---

1 الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي، تح: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص1079

2 معاني " الواو " العاطفة بين الاصطلاح المعنوي والتقعيد اللغوي الأصولي، د. أحمد كروم، من مجلة اللسان العربي، العدد50 سنة 2001م، ص53 - 62

3 سورة الكهف (18 : 23)

4 ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط20: 1400هـ، ج3 ص134

على وزن فَعْل، كضخم فهو ضخْم، وشهم فهو شهْم وعلى فعيل نحو جمل فهو جميل وشرف فهو شريف»[1].

ما يلاحظ أن بعض الأفعال قد عدل فيها عن الصيغة الأولى لاسم الفاعل وهي «فاعل» إلى صيغ أخرى تتفق مع صيغ الصفة المشبهة في أفعال أخرى، فلم يقولوا شائخ من الفعل شاخ، وعدلوا عن ذلك إلى شيخ، «إذ قد يستغنون عن صيغة فاعل من «فَعَل» بالفتح بغيرها من الصيغ فيتركون القياس المطرد ويستعملون غيره "ك: شيخ وأشيب وطيب وعفيف"، ولم يقولوا: شائخ وشائب وطائب وعاف، بالتشديد، ومحل الاستغناء ما لم يستعمل له قياس، أما ما استعمل له قياس وسمع غيره فليس موضع الاستغناء نحو: مال يميل فهو مائل وأميل، جميع هذه الصفات" المتقدمة الدالة على الثبوت "صفات مشبهة" باسم الفاعل إلا إذا قصد بها الحدوث فهي أسماء فاعلين»[2].

وهذا تلخيص ما ورد في تصريف اسم الفاعل:

فَعَل: لازم أو متعدٍ، اسم فاعله على وزن «فاعل»، قياسي.

فَعِل: متعدٍ، اسم فاعله على وزن «فاعل»، قياسي.

فَعِل: لازم، اسم فاعله على وزن «فاعل» سماعي، وقد يكون على وزن «فَعِلٌ» أو «فعلان» أو «أفعل» سماعي أيضا.

فَعُل: اسم فاعله على وزن «فاعل» سماعي، وقد يكون على وزن «فَعْلٌ» أو «فعيل» سماعي أيضا.

الأسماء الحسنى التي على وزن اسم الفاعل:

– القياسية: سواء من الفعل الثلاثي على وزن «فاعل»: الظاهر، الباطن، البارئ، الواحد، الخالق، الشاكر، القادر، القاهر، الوارث، الواسع، الآخر، أومن غير الثلاثي على وزن

---

1 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، ج3 ص136

2 شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن مُحَّد الجرجاويّ الأزهري، الوقاد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1421هـ، ج2 ص41

مضارعه: المؤمن، المتكبر، المهيمن، المجيب، المبين، المحيط، المصور، المقتدر، المقيت، المتعالي.

– السماعية: البصير (بصُر)، الحليم (حلُم)، الكريم (كرُم)، العظيم (عظُم).

صيغة المبالغة: تُحول صيغة فاعل للمبالغة والتكثير إلى: فَعَّال، أو فَعُول، أو مِفْعَال؛ بكثرة، وإلى فَعِيل أو فَعِل؛ بقلة، ولا تصاغ في الغالب إلا من مصدر فعل ثلاثي متصرف، متعد، ما عدا صيغة "فَعَّال" فتصاغ من مصدر الثلاثي اللازم والمتعدي، ويندر أن تصاغ من غير الثلاثي كـ «أَفْعَلَ» لأن اسم فاعل غير الثلاثي لا يكون على فاعل[1].

جاء في قطر الندى: «كل صيغ المبالغة تقتضي تكرار الفعل، فلا يقال: "ضَرّاب" لمن ضرب مرة واحدة، وكذا الباقي»[2].

ومعنى ذلك أن المبالغة تأتي من إفادة الأوزان تكرار معناها بحيث يصبح هذا المعنى للمتصف به عادة دائبة له تتكرر كثيرا[3].

وعليه فإن صيغة المبالغة بنصها الصريح أكثر مبالغة، وأقوى دلالة في معنى الفعل من صيغة اسم الفاعل المطلقة، وما عدا هذا فلا اختلاف بينهما في سريان الأحكام والشروط وسائر التفصيلات التي سبق الكلام عليها في اسم الفاعل[4]، يقول ابن مالك (ت672 هـ)[5]:

فعّال، أو مِفعال، أو فعولُ ❁ في كثرة عن فاعل بديلُ

فيستحق ما لَه من عملِ ❁ وفي فعيل قلَّ ذا وفَعِلِ

---

1 أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد جمال الدين، ابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد، تح:يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج3 ص184

2 شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين، ابن هشام، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط11: 1383هـ، ص276

3 النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب، ص662

4 ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ج3 ص261

5 ألفية ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني، (إعمال اسم الفاعل) ص39

بالإضافة إلى الأوزان القياسية المذكورة، وردت لصيغ المبالغة أوزان أخرى[1] غير التي ذكرت وقد اعتبرها الصرفيون القدماء غير قياسية إلا أنها وردت في القرآن الكريم، وهي: «فُعَّال» مثل كُبَّار في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢﴾[2]، و«فِعِّيل» مثل صِدِّيق، في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا﴾[3]، و«فَيْعُول» مثل قَيُّوم، في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[4]، و«فُعُّول»، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾[5].

ولا تختلف دلالة صيغة المبالغة عن اسم فاعل إلا في التدليل على الكثرة والزيادة لأنها فرع عنه ولهذا يذكرها علماء اللغة في باب اسم الفاعل، لأنها مبالغة في اسم الفاعل، يضاف إلى ذلك أن الزيادة والكثرة التي تفيدها ترجع إلى عدة اعتبارات، وكذلك إثبات ذلك أو نفيه في حق الله سبحانه وتعالى، كل هذا سيتم بسطه في الفصول اللاحقة إن شاء الله.

وقد ورد الكثير من الأسماء الحسنى على وزن صيغة المبالغة:

أ. **فَعَّال:** الوهاب، التواب، الجبار، الخلاق، الرزاق، الغفار، القهار، الفتاح

ب. **فَعُول:** الغفور، الودود، الشكور، الرؤوف

ت. **فَعِيل:** الرحيم، الخبير، الحسيب، الحفيظ، الحكيم، الحميد، السميع، العليم، البصير، الشهيد، العزيز، القدير، المليك.

---

1 ينظر: موسوعة النحو والإعراب، موقع اللغة العربية لغة القرآن الكريم، د.مسعد محمد زياد، الباب الثاني: المشتقات والمصادر، الفصل الأول: اسم الفاعل وصيغ المبالغة (www.drmosad.com).

2 سورة نوح (71 : 22)

3 سورة يوسف (12 : 46)

4 سورة البقرة (02 : 255)

5 سورة الحشر (: 33)

بقيت ثلاثة أسماء من أوزان أخرى غير قياسية، وهي الرحمن على وزن «**فعلان**»، فإن هذا الوزن هو من أوزان الصفة المشبهة، لكن علماء التفسير اعتبروا «الرحمن» من صيغ المبالغة، حيث جاء في الكشاف: «والرَّحْمن فعلان من رحم، كغضبان وسكران، من غضب وسكر، وكذلك الرحيم فعيل منه، كمريض وسقيم، من مرض وسقم، وفي الرَّحْمنِ من المبالغة ما ليس في الرّحيم»[1].

يضاف إلى ذلك، القَيُّوم على وزن «**فَيْعول**» والقُدُّوس على وزن « **فُعُّول**».

الصفة المشبهة: الصفات المشبهات بأسماء الفاعلين: هي أسماء ينعت بها كما ينعت بأسماء الفاعلين، وتذكر وتؤنث ويدخلها الألف واللام، وتجمع بالواو والنون كاسم الفاعل وأفعل التفضيل كما يجمع الضمير في الفعل، فإذا اجتمع في النعت هذه الأشياء التي ذكرت أو بعضها شبهوها بأسماء الفاعلين، وذلك نحو: حَسنٍ وشديد وما أشبه[2]، يقول ابن مالك في ألفيته[3]:

صفة استحسن جرّ فاعل ۞ معنى بها المشبهة اسم الفاعل

وصوغها من لازمٍ لحاضر ۞ كطاهر القلب جميل الظاهر

تصاغ الصفة المشبهة للدلالة على من اتصف بالفعل على وجه الثبوت، ولا تأْتي إلا من الأفعال الثلاثية اللازمة، وصيغها كلها سماعية[4]، والمعروف أن دلالة الصفة المشبهة أقوى من اسم الفاعل لإفادتها معنى الثبوت في الصفة، ولا يمكن اعتبار نعتا من النعوت صفة مشبهة إلا إذا توفرت فيه القيود التالية:

أ. أنها وصف لغير تفضيل إذ تدل على حدث وصاحبه، مثل «فَرِح» تدل على شخص موصوف بالفرحة، ومثل «بطَل» تدل على إنسان متصف بالبطولة.

---

1 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج1 ص6

2 الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج3 ص130

3 ألفية ابن مالك، ابن مالك، ص42

4 ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، دار الفكر – بيروت، ط: 1424هـ، ص206

ب. أنها تصاغ من فعل لازم، وهذا هو الغالب فيها، فمثلا كلمة «ضَخْم» من الفعل «ضَخُم» وهو لازم، وأيضا كلمة «شريف» من الفعل «شَرُف» وهو لازم.

ج. أنها تفيد نسبة الصفة لموصوفها، ولا تفيد حدوثها، بمعنى أنها تدل على ما هو موجود فعلا بالنسبة لصاحبها، ولا تدل على شيء حدث بعد أن لم يكن، كما هو واضح في «جَبَان، شُجاع، بَطَل» فهي صفات موجودة في صاحبها قبل الحديث عنها، وربما استمرت أيضا بعد هذا الحديث[1].

وسميت هذه الصفة بالصفة المشبهة باسم الفاعل، لأنهم لما قرر علماء اللغة أن هذه الصفة تصاغ من الفعل اللازم، أشكل عليهم نصبها لاسم بعدها والنصب على التشبيه بالمفعول به؛ إن كان معرفة، مثل: «مررت برجل حسن الوجهَ»، مع أن الفعل اللازم لا ينصب الاسم بعده، «فتخلصوا من ذلك بإطلاقهم على هذه الصفات أنها "مشبهة"، أي أنها مشبهة باسم الفاعل المتعدي لواحد الذي ينصب بعده المفعول، وما دامت مشبهة به فيصح أيضا أن يأتي بعدها المنصوب»[2]، يضاف إلى ذلك وجهان آخران من وجوه المشابهة بينها وبين اسم الفاعل:

الأول: أنها تدل مثله على معنى وصاحبه، فهي وصف مثله تماما، فكما أن «مُكْرِم» اسم فاعل تدل على شخص ينسب له الكرم، وكذلك «كريم» صفة مشبهة تدل على المعنى السابق نفسه.

الثاني: أن كلا منهما يكون مفردًا ومثنى ومجموعا، مذكرا ومؤنثا[3].

الأسماء الحسنى التي وردت على وزن الصفة المشبهة: الأحد، الصمد، الأول، الحي، الحق، البر، الرقيب، السلام، العزيز، الكريم، العظيم، العفو، العلي، الغني، القريب، القوي، الكبير، اللطيف، المتين، المجيد، الملك، المولى، الوكيل، الولي.

---

1 النحو المصفى، محمد عيد، ص670

2 المرجع السابق، ص671

3 ينظر: النحو المصفى، محمد عيد، ص671

اسم التفضيل: ويقال له أفعل التفضيل، اسم مشتق مصوغ؛ للدلالة على شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر فيها، وقياسه "أفعل" للمذكر ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل، و"فعلى" للمؤنث. أما خير وشر وحب، فقد حذفت همزتها؛ لكثرة الاستعمال[1]، قال الناظم[2]:

صغ من مصوغٍ منه للتعجب ❁ أفعل للتفضيل وأب اللذ أبي

قال ابن عقيل (ت769 هـ): «يصاغ من الأفعال التي يجوز التعجب منها للدلالة على التفضيل وصف على وزن أفعل فتقول زيد أفضل من عمرو وأكرم من خالد كما تقول ما أفضل زيدا وما أكرم خالدا»[3].

وهو لا يبنى إلّا من فعل ثلاثيّ مجرّد ليس بلون ولا عيب أمّا امتناع بنائه من الثلاثي المزيد فيه أو الرباعي، فلما فيه من الحذف المخلّ، ألا ترى أنك لو أردت بناءه من استخرج لم يكن إلاّ بحذف يخرجه عن معناه، وأمّا امتناعه من اللون والعيب فلأنّ منهما أفعل لا للتفضيل، فلو بني منهما أفعل التفضيل حصل اللّبس، فإنّك لو قلت: زيد الأسود وأنت تريد به التفضيل كما تقول: زيد الأكرم لم يعلم أنك أردت بذلك أنه ذو سواد، أو أنك فضّلته في السّواد على غيره. وأمّا العيوب التي يمتنع أن يبنى منها أفعل التفضيل إنّما هي العيوب الظاهرة خاصّة، لا الباطنة، فقوله: أعمى، هو من عمى القلب والبصيرة لا البصر، ألا ترى أنّهم يقولون: زيد أجهل من عمرو، لكونه من العيوب الباطنة، وإنّما جاز بناؤه من العيوب الباطنة لكونها تقبل الزيادة والنّقص[4].

1 ينظر: أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، ج3 ص255

2 ألفية ابن مالك، ابن مالك، ص42

3 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل الهمداني المصري، ج3 ص174

4 الكناش في فني النحو والصرف، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن شاهنشاه بن أيوب، تح: د. رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ج1 ص340-341

والأسماء الحسنى التي وردت على وزن اسم التفضيل قليلة إذا قورنت ببقة الأوزان (اسم الفاعل، صيغة المبالغة، الصفة المشبهة)، ولا نجد من أسماء الله إلا اسمين هما: الأعلى والأكرم.

ومدلول اسم التفضيل أنه يقتضي مفضل عليه، لكنه قد يكون مسلوب المفاضلة مثل أسماء الله، فإذا لم يذكر مع اسم التفضيل مفضل عليه أفاد التفضيل المطلق كما في وصفه تعالى بالأعلى، وهو اسم يفيد الزيادة في صفة العلو، والمقصود هنا العلو المطلق[1].

وأما «الأكرم» فهو وصف مصوغ للدلالة على قوة الاتصاف بالكرم وليس مصوغا للمفاضلة فهو مسلوب المفاضلة[2]، بالرغم من أن صيغته صيغة اسم التفضيل.

وتميز اسم الله على صيغة التفضيل بأنه يأتي معرفا باللام، فأفاد الحصر ودل على أنه الأكرم وحده، لا يشاركه في هذا الوصف أحد، ولم يتبعه حرف الجر من ؛ (الأكرم من) بل أطلق الاسم، ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه[3]. ولأن مثل هذا التركيب (أفعل من) وجب الاشتراك في معنى اللفظ مع رجحان المفضل أو اختصاص المفضل بمعنى اللفظ ولا يجوز اختصاص المفضول بمعنى اللفظ[4] وهذا يوجب أن يكون الله قد اشترك مع غيره في وصف ما، وهذا لا يجوز في حق الله سبحانه وتعالى فهو القائل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[5].

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج30 ص274

2 المرجع السابق، ج30 ص440

3 ينظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني، ج16 ص296

4 بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تح: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1: 1426هـ، ج7 ص418

5 سورة الشورى (42 : 11)

والخلاصة: أنّ أسماء الله أربعة أقسام بالنظر إلى صيغها الصرفية، اسم الفاعل، صيغة المبالغة، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، لكن قد يصلح أن يكون لبعض الأسماء وزن يشترك بين نوعين من الصيغ، فالوزن «فعلان» من أوزان الصفة المشبهة، لكنه أيضا وزن لصيغة المبالغة غير القياسية «رحمن».

وإذا تأملنا دلالة أسماء الله وصفاته وعلمنا أنها صفات ملازمة للذات العلية، عندئذ يمكن اعتبار أي اسم من أسماء الله مهما اختلفت صيغته، صفة مشبهة بالنظر إلى دلالته على الثبوت والاستمرار، لأن صفاته سبحانه لا تنفك عنه بخلاف صفات البشر، فإذا وصف إنسان بـ «كريم» فإن هذه الصفة سوف لن تكون ملازمة لصاحبها في كل أحواله، ولكن صفات الله ملازمة له غير منفكة عنه، فالله عندما وصف نفسه بـ«الحي القيوم» بيّن أن هاتين الصفتين ملازمتان له بالرغم من أن الأولى صفة مشبهة «الحي»، والثانية صيغة مبالغة «القيوم»، ثم أتبعهما بوصف على شكل جملة فعلية ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ تدل على ثبوت هاتين الصفتين، وهي من لوازم الحياة والقيومية، وأنهما مستمرتان معه لا تنفك عنه لحظة من اللحظات، عكس الإنسان الذي وإن وُصِف بالحياة والقيام على من هم تحت رعايته، لكن حياته يخالطها النوم الذي هو أخو الموت، وقيوميته قاصرة لأنها تبقى في حدود إمكانياته وما سخر الله له.

إذًا، تعدد صيغ أسماء الله، لا يعني اختصاصها فقط بمدلول تلك الصيغة، بل قد تدل على معنى الصيغة الأخرى، لذلك نجد أن بعض الأسماء يمكن تصنيفها في الصفة المشبهة أو صيغة المبالغة، وكل صيغة سواء كانت اسم فاعل أو صيغة مبالغة أو اسم تفضيل فالظاهر أنها تدل على الثبوت والاستمرار.

ويؤكد هذا ما نجده في كتاب الله من الجمع بين اسمين أو أكثر مختلفي الصيغة في سياق واحد، وهو كثير في القرآن الكريم، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ

﴿٥٨﴾[1] وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[2]، وصف الله نفسه بأنه «لا إله إلا هو» ثم بـ«الحي القيوم» دون أن يفرق بين هذه الأوصاف بواو العطف، لأن ظاهر العطف التغاير، جاء في البرهان: « إذا تكررت النعوت لواحد فتارة يترك العطف، كقوله: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾﴾[3] وتارة تشترك بالعطف كقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾[4] ويشترط في ذلك اختلاف معانيها، قال الزمخشري وأبو البقاء: دخول العاطف يؤذن بأن كل صفة مستقلة والعطف أحسن إن تباعد معنى الصفات نحو: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[5] وإلا فلا»[6]. ولذا فالإتيان بالواو إذا تباعدت الصفات أما إذا تقاربت فلا يؤتى بالعطف، واختلاف الصفات، قد يكون بالنظر إلى دلالتها المعجمية، كاختلاف الأول عن الآخر، أو بالنظر إلى دلالتها الصرفية التي تعرف من خلال صيغتها الصرفية كالحي القيوم، لكنها قد تتوافق في الدلالة على الثبوت والاستمرار إذا تعلقت بذات الله سبحانه وتعالى.

---

1 سورة الذاريات (51 : 58)

2 سورة البقرة (02 : 255)

3 سورة (68 : 10-11)

4 سورة الأعلى (87 : 01-03)

5 سورة الحديد (57 : 03)

6 البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1: 1376هـ، ج2 ص446

❖ التراكيب المختلفة لأسماء الله الحسنى:

تختم آيات القرآن الكريم بعبارات متنوعة تتضمن أخبارا وأوصافا عن الله سبحانه وتعالى، وتتناسب مع سياق الآية، حيث تحكي وصف الله بالعلم والإحاطة وحسن التدبير: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[1].

أو وصفه بوعيده وشدة عذابه للكافرين: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[2]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[3]، ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾[4]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[5]، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[6]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[7].

أو وصفه برحمته بالمؤمنين: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[8]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[9]، أو وصفه بأنه منزه عن الظلم: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[10]، أو وصفه بحبه للمؤمنين ومعيته للمتقين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[11]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[12]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[13].

---

1 سورة البقرة (02: 210)
2 سورة البقرة (02: 202)
3 سورة البقرة (02: 211)
4 سورة المائدة (05: 14)
5 سورة البقرة (02: 196)
6 سورة التوبة (09: 42)
7 سورة البقرة (02: 205)
8 سورة الأنفال (08: 19)
9 سورة الأنفال (08: 28)
10 سورة آل عمران (03: 182)
11 سورة التوبة (09: 04)
12 سورة البقرة (02: 194)
13 سورة آل عمران (03: 122)

أو بيان فضله وإحسانه: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1]، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2]، أو بيان مغفرته وعفوه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾[3]، ﴿إِنَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[4].

لكن هذا الختم يتغير في كثير من المناسبات، فنجد آيات قد ختمت بأسماء الله الحسنى، ختما يتناسب وسياق الآية، فإن كان السياق سياق رحمة ختمت الآية بأسماء تدل على الرحمة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾﴾[5]، وإن كان السياق سياق عزة وحكمة ختمت بأسماء تناسب ذلك، كقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[6]، وإن كان السياق يتحدث عن الذنوب والمغفرة، ختمت الآية بأسماء المغفرة والتوبة، كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾[7]، وإن كان السياق عن العلم والتدبير والإحاطة بالخلق ختمت الآية بما يناسبه، كقوله: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[8].

﴿٣٢﴾﴾[8].

ولهذا فإن ختم الآيات بأسماء الله الحسنى على نوعين:

1 سورة البقرة (02: 212)
2 سورة البقرة (02: 105)
3 سورة فصلت (41: 43)
4 سورة آل عمران (03: 09)
5 سورة النور (24 : 20)
6 سورة آل عمران (03: 126)
7 سورة القصص (28 : 16)
8 سورة البقرة (02 : 32)

ختم باسم منفرد: حيث تختتم الآية باسم واحد فقط يتناسب وسياق الآية.

ختم باسمين مقترنين: حيث تختتم الآيات باسمين يتناسبان مع مضمون الآية، وفي هذه الحالة، يمكن الوقوف على نوعين من التناسب:

أ. تناسب بين الآية والسياق: أي أن مضمون الآية يتناسب مع الاسم المختوم به.

ب. تناسب بين الاسمين، فالمتتبع لكلام الله يجد أن الاقتران بين الاسمين لا يشمل كل أسماء الله، وإنما يختص ببعضها، بل إن بعض هذه الأسماء لا يرد إلا مقترنا بغيره، فمثلا، «الرحمن» لا يقترن إلا مع «الرحيم» بينما «الغفور» قد يقترن مع «الرحيم» و«الحليم» و«الودود» و«العزيز»...

فيما يتعلق باقتران الأسماء بعضها ببعض، فإن الأمر شائع في القرآن الكريم، ولا يقتصر فقط على أسماء الله وصفاته، بل إن الكثير من العبارات التي تضمنت وصفا للبشر، تمّ الجمع فيها بين صفتين، كقوله تعالى في وصف نبيه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[1]، وكقوله تعالى في وصف يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[2]، أو في وصف المعذبين: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾[3]، أو ذم بعض الصفات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾[4]، ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ

1 سورة التوبة (09: 128)

2 سورة يوسف (12 : 55)

3 سورة الدخان (44: 49)

4 سورة لقمان (31: 18)

ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾[1]، هذه القاعدة نجدها تنطبق على أكثر الآيات التي ورد فيها وصف الله سبحانه وتعالى بأسمائه.

وفيما يلي تلخيص وإحصاء لمختلف التراكيب التي ترد فيها أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، تراكيب تتضمن الاسم مفردا أو الاسم مقترنا بغيره من الأسماء، هذا الاقتران الذي يكتسي خصوصية، إذ أنه يختص ببعض الأسماء التي لا تقبل إلا أن ترد مقترنة بغيرها كـ«الغفور الرحيم»، مُشَكِّلة تركيبا بين اسمين يحمل دلالات متعددة، دلالة باعتبار كل اسم على حدا ودلالة باقترانه بغيره، وقد أشار إلى هذه الفائدة ابن قيم الجوزية[2].

وتختلف التراكيب التي ترد فيها أسماء الله الحسنى سواء منها الأسماء المنفردة كـالرحمن، والقدير، والعليم... أو المزدوجة كـ «الرحمن الرحيم»، و«الحكيم العليم» و«السميع البصير»...، وسأحاول عرض أغلب هذه التراكيب الواردة في القرآن الكريم مع بيان بعض الفوائد الإعرابية أو البيانية لهذه الأسماء مع السياق الذي ترد فيه أو المناسبة بين الاسمين المزدوجين.

---

1 سورة الحج (22: 38)

2 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1 ص283

1. تراكيب الأسماء المنفردة:

إحصاء جميع التراكيب التي ترد فيها أسماء الله الحسنى منفردة، بذكر عدد مرات تكرارها.

تنبيه: أجمع العلماء على عدم جواز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني، وهو المتفق عليه منذ عهد الصحابة، قال أشهب: سئل مالك رحمه الله: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ قال: لا، إلا على الكتبة الأولى. رواه أبو عمرو الداني في المقنع ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة. وقال الإمام أحمد رحمه الله تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك[1]. وقال البيهقي (ت458 هـ) في شعب الإيمان: « من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ولا يخالفهم فيها ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما، وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة منا فلا ينبغي لنا أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم»[2]. ونقل السيوطي (ت911 هـ): « أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالا وإثباتا وحذفا ووصلا وقطعا»[3]، ونقل الدكتور مساعد بن سليمان الطيار تفصيلا في ذلك:

1. أن تكون كتابة آيات أو كلمات محدودة في كتب أو صحف أو مقالات، وهذه لا يلزم فيها الالتزام بالرسم العثماني.
2. أن يكتب المصحف كاملاً، وهذا لا يحسن بغير الرسم العثماني؛ لأن الرسم العثماني مما أجمع عليه الصحابة، وتطور الرسم بعدهم لا يسري على رسمهم للقرآن بل يوقف به حيث وقف[4].

الرّبّ
(4) الحمد لله رب العالمين

1 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص379

2 شعب الإيمان، أبوبكر البيهقي، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، ج4 ص219

3 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1 ص2308

4 ينظر: المحرر في علوم القرآن، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط: 2، 1429 هـ، ص228

(2) إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض

(1) وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين

(1) أنْ يا موسىٰ إنى أنا الله رب العالمين

(1) قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا

(1) وقل ربِّ زدنى علما

(1) فسبحان اللهِ ربِّ العرش عما يصفون

(1) وزكريا إذ نادىٰ ربه ربِّ لا تذرنى فردا

(2) قال رب انصرنى بما كذبون

(1) قلْ رب أنزلنى منزلا مباركا

(1) وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

(1) قلْ من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم

(1) وقال الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا

(1) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم

(1) لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا

(1) وإن الله ربى وربكم فاعبدوه

الرحمن

(1) قلْ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعون فله الأسماء الحسنى

(1) الرحمن علم القرآن

(1) جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب

(1) إذا تتلى عليه آيات الرحمن خروا سجدا

(1) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا

(1) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا

(1) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا

(1) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا

(1) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا

(2) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا

(1) أن دعوا للرحمن ولدا

(1) وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا

(1) إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمنِ عبدا

(1) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا

(1) وإِنَّ رَبَّكُم الرَّحمنُ فاتبعونى

(1) وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا

(1) قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن

(1) الرحمن فاسأل به خبيرا

(1) وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن

(1) وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا

(1) وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ضل وجهه مسودا

(1) وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم

(1) وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا

(1) لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة

(1) ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا

(1) أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

(1) قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين

(1) من خشى الرحمن بالغيب

(1) قل هو الرحمن آمنا به

(1) ربِّ السماوات والأرض وما بينهما الرحمنِ لا يملكون منه خطابا

(1) لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا

القدير

(11) إن الله على كل شيء قدير

(9) والله على كل شيء قدير

(1) وكان الله على ذلك قديرا

(7) وهو على كل شيء قدير

(1) فهو على كل شيء قدير

(1) وكان ربك قديرا

(1) والله قدير والله غفور رحيم

(1) إنك على كل شيء قدير

العليم

(3) وهو بكل شيء عليم

(1) وهو بكل خلق عليم

(1) واعلموا أنّ الله بكل شيء عليم

(1) فإنّ الله به عليم

(1) فإنّ الله كان به عليما

(6) والله بكل شيء عليم

(2) والله بما تعملون عليم

(2) والله عليم بالمتقين

(4) والله عليم بالظالمين

(2) والله عليم بذات الصدور

(3) إنّ الله عليم بذات الصدور

(6) إنه عليم بذات الصدور

(1) إنّ الله كان بكل شيء عليما

(2) وكان الله بكل شيء عليما

(4) إنّ الله بكل شيء عليم

(1) واعلموا أنّ الله بكل شيء عليم

(1) وكان الله بهم عليما

(1) وكفى بالله عليما

(1) وأنّ الله بكل شيء عليم

(1) إنَّ الله عليم بما يفعلون

(1) إِنَّ الله عليم بما يصنعون

(1) إن ربى بكيدهن عليم

(1) إنى بما تعملون عليم

البصير

(1) إن الله بما تعملون بصير

(1) والله بما تعملون بصير

(2) وكان الله بما تعملون بصيرا

(1) فإن الله بما يعملون بصير

(1) والله بصير بما يعملون

(1) واعلموا أن الله بما تعملون بصير

(2) والله بصير بالعباد

(1) فإن الله كان بعباده بصيرا

(1) إن الله بصير بالعباد

(2) إنه بما تعملون بصير

(1) وكان ربك بصيرا

(1) بلى إن ربه كان به بصيرا

الخبير

(7) والله بما تعملون خبير

(4) والله خبير بما تعملون

(2) إن الله كان بما تعملون خبيرا

(1) وأن الله بما تعملون خبير

(3) إن الله خبير بما تعملون

(1) إنه بما يعملون خبير

(1) بل كان الله بما تعملون خبيرا

(1) إنّ ربهم بهم يومئذ لخبير

الرؤوف

(2) والله رؤوف بالعباد

الشهيد

(2) إن الله كان على كل شيء شهيدا

(1) وهو على كل شيء شهيد

(3) وكفى بالله شهيدا

(1) ثم الله شهيد على ما يفعلون

(2) قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم

(1) أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد

المقيت

(1) وكان الله على كل شيء مقيتا

الحسيب

(1) إن الله كان على كل شيء حسيبا

(2) وكفى بالله حسيبا

الوكيل

(5) وكفى بالله وكيلا

(1) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا

(2) وهو على كل شيء وكيل

(1) والله على كل شيء وكيل

(1) قال الله على ما نقول وكيل

(1) ألا تتخذوا من دوني وكيلا

المحيط

(1) وكان الله بكل شيء محيطا

(1) إن ربي بما تعملون محيط

(1) ألا إنه بكل شيء محيط

(1) والله من ورائهم محيط

العزيز

(2) والله عزيز ذو انتقام

(1) إن الله عزيز ذو انتقام

(1) أليس الله بعزيز ذي انتقام

القاهر

(2) وهو القاهر فوق عباده

القادر

(1) قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا

(1) إنه على رجعه لقادر

(1) وإنا على ذهاب به لقادرون

الغني

(1) قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى

(1) إن الله لغنى عن العالمين

(1) إن تكفروا فإن الله غنى عنكم

(1) والله الغنى وأنتم الفقراء

الرزاق

(1) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين

المتين

(1) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين

الرقيب

(1) وكان الله على كل شىء رقيبا

الغفور

(1) فإنه كان للأوابين غفورا

(1) وربك الغفور ذو الرحمة

(1) بلدة طيبة ورب غفور

الغفار

(1) وإنى لغفار لمن تاب وآمن ثم اهتدى

(1) فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا

التواب

(1) فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

المقتدر

(1) وكان الله على كل شيء مقتدرا

الحميد

(1) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد

الحق

(3) ذلك بأن الله هو الحقٌّ

الرحيم

(1) وكان بالمؤمنين رحيما

الوهاب

(2) إنك أنت الوهاب

الحي

(2) هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين

الولي

(1) أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى

اللطيف

(1) الله لطيف بعباده يرزق من يشاء

العظيم

(1) فسبح باسم ربك العظيم

(1) إنه كان لا يؤمن بالله العظيم

الكريم

(1) يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم

الأعلى

(1) سبح اسم ربك الأعلى

الأكرم

(1) اقرأ وربك الأكرم

الأحد

(1) قل هو الله أحد

الصمد

(1) الله الصمد

2. تراكيب الأسماء المزدوجة:

استقراء جميع التراكيب التي ترد فيها أسماء الله الحسنى المزدوجة، مع ذكر عدد مرات تكرارها.

الرب الرحيم
(1) سلام قولا من رب رحيم
الرحمن الرحيم
(1) الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
(1) إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم
(1) تنزيل من الرحمن الرحيم
(2) هو الرحمن الرحيم
العليم الحكيم
(1) إنك أنت العليم الحكيم
(4) إن الله كان عليما حكيما
(4) إن الله عليم حكيم
(6) وكان الله عليما حكيما
(13) والله عليم حكيم
(1) إن ربك عليم حكيم
(2) إنه هو العليم الحكيم
الحكيم العليم

(2) إن ربك حكيم عليم

(1) إنه حكيم عليم

(1) من لدن حكيم عليم

(1) وهو الحكيم العليم

التواب الحكيم

(1) وأن الله تواب حكيم

الواسع العليم

(1) إن الله واسع عليم

(6) والله واسع عليم

السميع العليم

(2) إنك أنت السميع العليم

(6) وهو السميع العليم

(5) إنه هو السميع العليم

(1) هو السميع العليم

(1) والله هو السميع العليم

(3) إن الله سميع عليم

(3) واعلموا أن الله سميع عليم

(1) وإن الله سميع عليم

(8) والله سميع عليم

(1) وكان الله سميعا عليما

(1) والله هو السميع العليم

(1) إنه سميع عليم

السميع البصير

(1) إن الله كان سميعا بصيرا

(1) وكان الله سميعا بصيرا

(2) إنه هو السميع البصير

(1) وأن الله سميع بصير

(1) إن الله هو السميع البصير

الواسع العليم

(1) إن الله واسع عليم

(6) والله واسع عليم

التواب الرحيم

(1) وأنا التواب الرحيم

(1) إنك أنت التواب الرحيم

(1) إنَّ الله تواب رحيم

(1) إنَّ الله كان توابا رحيما

(1) وأنَّ الله هو التواب الرحيم

(1) إن الله هو التواب الرحيم

(2) إنه هو التواب الرحيم

(1) لوجدوا الله توابا رحيما

العزيز الحكيم

(3) إنك أنت العزيز الحكيم

(1) فإنك أنت العزيز الحكيم

(5) والله عزيز حكيم

(1) إنه عزيز حكيم

(1) إنه هو العزيز الحكيم

(1) وإن الله لهو العزيز الحكيم

(1) فاعلموا أن الله عزيز حكيم

(1) واعلم أن الله عزيز حكيم

(2) لا إله إلا هو العزيز الحكيم

(1) إن الله كان عزيزا حكيما

(4) وكان الله عزيزا حكيما

(4) إن الله عزيز حكيم

(12) وهو العزيز الحكيم

(1) إنه أنا الله العزيز الحكيم

(1) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

(1) كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم

العزيز العليم

(1) وهو العزيز العليم

(1) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم

(3) ذلك تقدير العزيز العليم

(1) خلقهن **العزيز العليم**

الغفور الرحيم

(12) إن الله غفور رحيم

(1) إن الله لغفور رحيم

(13) والله غفور رحيم

(2) وهو الغفور الرحيم

(3) إنه هو الغفور الرحيم

(3) إن الله كان غفورا رحيما

(1) إنه كان غفورا رحيما

(8) فإن الله غفور رحيم

(1) وأن الله غفور رحيم

(1) فأنه غفور رحيم

(1) فإن ربك غفور رحيم

(1) فإنك غفور رحيم

(1) إن ربى لغفور رحيم

(1) إن ربى غفور رحيم

(9) وكان الله غفورا رحيما

(1) فإنى غفور رحيم

(1) يجد الله غفورا رحيما

(1) ألا إن الله هو الغفور الرحيم

(1) فا علموا أن الله غفور رحيم

(1) نزلا من غفور رحيم

(1) نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم

(3) إن ربك من بعدها لغفور رحيم

(1) فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم

(1) إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم

(1) إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم

الرحيم الغفور

(1) وهو الرحيم الغفور

الغفور الحليم

(2) والله غفور حليم

(1) وا علموا أن الله غفور حليم

(1) إن الله غفور حليم

الحليم الغفور

(2) إنه كان حليما غفورا

الحكيم الخبير

(3) وهو الحكيم الخبير

(1) من لدن حكيم خبير

العليم الخبير

(1) إن الله كان عليما خبيرا

(2) إن الله عليم خبير

(1) قال نبأنى العليم الخبير

الخبير البصير

(2) إنه كان بعباده خبيرا بصيرا

(1) إنه بعباده خبير بصير

(1) وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا

اللطيف الخبير

(2) وهو اللطيف الخبير

(2) إن الله لطيف خبير

(1) إن الله كان لطيفا خبيرا

الحي القيوم

(2) الله لا إله إلا هو الحى القيوم

(1) وعنت الوجوه للحى القيوم

العلي العظيم

(2) وهو العلى العظيم

الغني الحليم

(1) والله غنى حليم

الغني الحميد

(1) والله غنى حميد

(1) والله هو الغنى الحميد

(1) وكان الله غنيا حميدا

(1) فإن الله لغنى حميد

(1) إن الله هو الغنى الحميد

(1) وإن الله لهو الغنى الحميد

(2) فإن الله هو الغنى الحميد

الغني الكريم

(1) فإن ربى غنى كريم

العليم الحليم

(1) والله عليم حليم

(1) وكان الله عليما حليما

العلي الكبير

(1) إن الله كان عليا كبيرا

(2) وأن الله هو العلى الكبير

(1) قالو الحق وهو العلى الكبير

(1) فالحكم لله العلى الكبير

العفو الغفور

(1) إن الله كان عفوا غفورا

(1) وكان الله عفوا غفورا

(1) وإن الله لعفو غفور

الواسع الحكيم

(1) وكان الله واسعا حكيما

الشاكر العليم

(1) فإن الله شاكر عليم

(1) وكان الله شاكرا عليما

الرؤوف الرحيم

(1) إنه بهم رؤوف رحيم

(1) إن ربكم لرؤوف رحيم

(1) فإن ربكم لرؤوف رحيم

(2) إن الله بالناس لرؤوف رحيم

(1) وإن الله بكم لرؤوف رحيم

(1) وأن الله رؤوف رحيم

(1) ربنا إنك رؤوف رحيم

القريب المجيب

(1) إن ربى قريب مجيب

القوي العزيز

(1) إن ربك هو القوى العزيز

(2) إن الله قوى عزيز

(2) إن الله لقوى عزيز

(1) وكان الله قويا عزيزا

(1) وهو القوى العزيز

الواحد القهار

(1) وهو الواحد القهار

(1) وما من إله إلا الله الواحد القهار

(1) هو الله الواحد القهار

(1) وبرزوا لله الواحد القهار

(1) لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

(1) أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار

الرحيم الودود

(1) إن ربى رحيم ودود

العزيز الحميد

(2) إلى صراط العزيز الحميد

(1) إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد

العزيز الرحيم

(1) وهو العزيز الرحيم

(1) إنه هو العزيز الرحيم
(1) تنزيل العزيز الرحيم
(8) وإن ربك لهو العزيز الرحيم
(1) وتوكل على العزيز الرحيم
(1) ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم
العزيز الغفار
(1) ألا هو العزيز الغفار
(1) وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار
(1) رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار
الخلاق العليم
(1) إن ربك هو الخلاق العليم
(1) بلى وهو الخلاق العليم
العليم القدير
(1) إن الله عليم قدير
(1) وهو العليم القدير
(1) إنه كان عليما قديرا
العليم الحليم
(1) وإن الله لعليم حليم
الولي النصير

(1) وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

المولى النصير

(1) فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير

(1) واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير

الفتاح العليم

(1) وهو الفتاح العليم

السميع القريب

(1) إنه سميع قريب

العزيز الغفور

(1) إن الله عزيز غفور

(1) وهو العزيز الغفور

الغفور الشكور

(1) إنه غفور شكور

(1) إن ربنا لغفور شكور

(1) إن الله غفور شكور

العزيز الوهاب

(1) أم عندهم خزاإن رحمة ربك العزيز الوهاب

الحكيم الحميد

(1) تنزيل من حكيم حميد

الولي الحميد

(1) وهو الولى الحميد

العلي الحكيم

(1) إنه عليّ حكيم

(1) وإنه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم

البر الرحيم

(1) إنه هو البر الرحيم

العزيز المقتدر

(1) فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر

المليك المقتدر

(1) في مقعد صدق عند مليك مقتدر

الشكور الحليم

(1) والله شكور حليم

الغفور الودود

(1) وهو الغفور الودود

مجموعة من الأسماء

هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم

مجموعة من الأسماء

هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ

اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

مجموعة من الأسماء

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ

❖ دلالات تراكيب الأسماء الحسنى:

أغلب الجمل التي تخبر عن الله، هي جمل اسمية، ويندر أن نقف على جملة فعلية، «ذلك أن الجملة الاسمية كما هو مقرر في كتب اللغة تفيد الثبوت والاستمرار، فحين أن الجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد»[1]، وقد امتازت هذه الجملة عن غيرها بمميزات: «التلاؤم والاتساق بين كلماتها الذي يظهر في تآلف الحروف وتعاطف الحركات والسكنات والمدود، الدلالة بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل، دون اختصار مخلّ أو ضعف في الدلالة، ثم إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس، بحيث يجد القارئ إقناع العقل وإمتاع العاطفة»[2]، ولما كانت الأسماء الحسنى جزءا من هذه الجملة القرآنية، فإنها تمتاز بنفس المميزات السالفة الذكر، وسيتم بسط بعض هذه الميزات ودورها –أي الأسماء– في تحقيق معان مختلفة.

- الفصل بين المبتدأ أو الاسم والخبر بضمير الفصل، فائدته القصر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[3]، «وفيها طريق قصر لوجود ضمير الفصل، أي: لا رزاق، ولا ذا قوة، ولا متين إلا الله وهو قصر إضافي»[4]. وقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾[5]، والضمير «أنت» ضمير فصل، وتوسيطه من صيغ القصر فالمعنى قصر العلم والحكمة على الله قصر قلب لردهم اعتقادهم أنفسهم أنهم على جانب من علم وحكمة حين راجعوا بقولهم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

---

1 لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط3: 1423هـ، ص15

2 الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب/دار العلوم الانسانية – دمشق، ط2: 1418هـ، ص168

3 سورة الذاريات (51 : 58)

4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج27 ص29

5 سورة البقرة (02 : 30)

ٱلدِّمَآءَ﴾[1]، أو تنزيلهم منزلة من يعتقد ذلك على الاحتمالين المتقدمين، أو هو قصر حقيقي ادعائي مراد منه قصر كمال العلم والحكمة عليه تعالى[2].

- وقد تكون فائدته المبالغة في الوصف وبيان أنه لا يشاركه في هذا الوصف غيره سبحانه، وأكثر ضمائر الفصل توظيفا، ضمير الغائب المفرد «هو» ثم ضميري المتكلم «أنا» و«نحن»، جاء في روح المعاني: «وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل ما لا يخفى من المبالغة»[3]،

يقول فاضل السامرائي: «ثم إن الإتيان بضمير الفصل (هم) بين المبتدأ والخبر وتعريف (الخاسرون) بأل، إنما يفيدان القصر والتأكيد، أي أن هؤلاء لا غيرهم هم الخاسرون حقاً. وهم أولى مَنْ يُسمَّون خاسرين. فإنه لم يقل: (فأولئك خاسرون)، أو من الخاسرين. ولو قال لأفاد أن خسارتهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم بل قال: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ ١٢١﴾[4] للدلالة على أنهم هم الخاسرون دون غيرهم وهم المتصفون بالخسارة إلى الحد الأقصى»[5]، ففي قوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩﴾[6] دلالة على القصر والتأكيد، أي لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا إلا هو سبحانه وتعالى، ولا يمكن لغيره أن يكون كذلك، حيث لم يقل «أني غفور رحيم» لأن ذلك قد يفيد أن مغفرته لا تستغرق جميع خلقه أو قد يشاركه فيها غيره،

1 سورة البقرة (02 : 32)

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج25 ص21

3 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1415هـ، ج14 ص312

4 سورة البقرة (02 : 121)

5 لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح السامرائي، ص183-184

6 سورة الحجر (15 : 49)

نفس القاعدة نجدها في غيرها من الآيات التي تشتمل على ضمائر الفصل، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1] أو قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2].

- الفصل بين المبتدأ والخبر بالجار والمجرور: يكثر الفصل بين المبتدأ والخبر بالجار في ختام العديد من الآيات، وإنما جاز الفصل بالجار والمجرور لتعلقهما بالخبر الذي تأخر، كالفصل بـ «بكل شيء» بين المبتدأ «الله» والخبر «عليم» في ﴿والله بكل شيء عليم﴾، وقد يعود هذا الفصل لسبب معنوي كتركيز الاهتمام إلى ما يدل عليه الجار والمجرور، «بكل شيء» «بما تعلمون» «بهم» «بكم»...وحصر معنى الاسم وتخصيصه بمدلول الجار والمجرور، وقد يكون السبب لفظيا وهو تجانس الفواصل، يقول فاضل السامرائي: «ومما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[3]، فقد أخر الجار والمجرور (به) عن الفعل (آمنا) وقدم الجار والمجرور (عليه) على الفعل (توكلنا)، ذلك أن "الإيمان لمَّا لم يكن منحصراً في الإيمان بالله؛ بل لا بد معه من رُسُله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وغيره مما يتوقَّفُ صحةُ الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرُّدِه بالقدرة والعلم القديمين الباقيين قدّم الجارّ والمجرور فيه ليؤذنَ باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره، لأن غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه»[4].
- قد تأتي الأسماء في سياق استفهام إنكاري كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾[5]، فـ«الهمزة» للاستفهام الإنكاري، «ربّك» رب مجرور لفظا

1 سورة المائدة (05 : 76)
2 سورة الحج (22 : 64)
3 سورة الملك (67 : 29)
4 لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح السامرائي، ص87-88
5 سورة فصلت (41 : 53)

مرفوع محلا فاعل يكف، «شهيد» خبر أنّ، والجملة الاسمية بدل من ربك. والاستفهام إنكاريّ إنكارا لعدم الاكتفاء بالقسم بالله[1].

- الغالب في الأسماء أنها ترد في نهاية الفاصلة، لكن القليل منها ما يرد في بداية الآية أو وسطها، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[2] أو قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾[3].

- ترد بعض الآيات المتضمنة لأسماء الله مؤكدة بحرف التوكيد «إن» وقد يضاف إليه التوكيد بلام التوكيد، من أجل دفع كل شك أو تردد لما تتضمنه معاني أسمائه وآثارها على العباد في العاجل أو الآجل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾[4]. وقد تؤكد الجملة بأكثر من مؤكد كقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[5]، «فالجملة «إنه كان توابا» تذييل للكلام السابق كله وتعليل لما يقتضي التعليل فيه من الأمر باستغفار ربه باعتباره الصريح، وقد اشتملت الجملة على أربع مؤكدات هي: إن، وكان، وصيغة المبالغة في التواب، وتنوين التعظيم فيه، واستعمل التواب بدل الغفار تلطفا مع النبي ﷺ بأن أمره بالاستغفار ليس مقتضيا إثبات ذنب له، بل بمعنى وفقه للتوبة، إيماء إلى أن أمره بالاستغفار إرشاد إلى مقام التأدب مع الله تعالى»[6].

---

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج01 ص416

2 سورة الأنعام (06 : 18)

3 سورة الشورى (42: 09)

4 سورة آل عمران (03 : 62)

5 سورة النصر (110 : 3)

6 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج30 ص397-398

- تعريف الخبر للدلالة على عظم الوصف، أو تخصيصه بالموصوف (المبتدأ)، جاء في روح المعاني في موضعين مختلفين: « فيلزم التخصيص من تعريف الخبر... ويستفاد عظم الخسران من تعريف الخبر بلام الجنس من قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾»[1]، وقد ينطبق هذا على تعريف الخبر في أسماء الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[2]، «التواب الرحيم» خبر المبتدأ، وقد جاء معرفا، قال شهاب الدين الألوسي (ت1270 هـ) : «ألم يعلموا أنه سبحانه المختص المتأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة»[3].

«فالمقصود من تعريف المسند إفادة ما يسمى في المنطق بحمل المواطأة، وهو حمل (هو هو) ولذلك يخير المتكلم في جعل أحد الجزأين مسند إليه، وجعل الآخر مسندا، لأن كليهما معروف عند المخاطب، وإنما الشأن أن يجعل أقواهما معرفة عند المخاطب هو المسند إليه، ليكون الحمل أجدى إفادة، وقد جعل المخبر عنه الرب، والخبر اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[4]»[5].

- تعريف الجزأين في الجملة الاسمية: يدل تعريف الجزأين على القصر، أي قصر المسند على المسند إليه أو قصر الصفة على الموصوف، ففي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[6]، حيث عرف المبتدأ «هو» والخبر «القاهر» للدلالة على ألا قاهر إلا هو، لأن قهر الله تعالى هو القهر الحقيقي الذي لا

1 تفسير روح المعاني، شهاب الدين محمود الألوسي، ج5 ص9، 25
2 سورة التوبة (09 : 104)
3 تفسير روح المعاني، الألوسي، ج6 ص16
4 سورة الأعراف (07 : 54)
5 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج8 ص159-160
6 سورة الأنعام (06 : 18)

يجد المقهور منه ملاذا، لأنه قهر بأسباب لا يستطيع أحد خلق ما يدافعها، ومما يشاهد منها دوما النوم وكذلك الموت، سبحان من قهر العباد بالموت[1].

- إظهار ما يتوقع إضماره، حيث قال الله تعالى: ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ في سياق سبق فيه ذكر لفظ الجلالة، والظاهر أن يقال: (وكفى به حسيبا) «وإظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[2] حيث تقدم ذكره لقصد أن تكون هذه الجملة جارية مجرى المثل والحكمة»[3].
- تنكير الخبر للدلالة على العموم والتعظيم، تنكير يتعلق باسم منفرد كالقدير في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[4]، قدير اسم من أسماء الله، ورد في نهاية الآية، خبرا للمبتدأ «هو»، وقد فصل بينه وبين المبتدأ بالجار والمجرور «على كل شيء»، ولفظ العموم «كل»، وكلمة «شيء» التي تشمل كل موجود، وهي مقومات تعبر عن دلالة هذا الاسم على عموم قدرة الله على كل شيء، يضاف إلى ذلك وروده بصيغة التنكير في سياق الشرط للدلالة على العموم، ومثله قوله تعالى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[5] «وعدل عن إضافة بلدة إلى ضميرهم لتكون الجملة خفيفة على اللسان فتكون بمنزلة المثل، وتنكير رب للتعظيم والعدول عن إضافة رب لضمير المخاطبين لقصد تشريفهم بهذا الاختصاص، ولتكون الجملة على وزان التي قبلها طلبا للتخفيف ولتحصل المزاوجة بين الفقرتين»[6].

---

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج7 ص164-465

2 سورة الأحزاب (33 : 39)

3 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج22 ص43

4 سورة الأنعام (06 : 17)

5 سورة سبأ (34 : 15)

6 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج22 ص168

وقد يرد الاسمان نكرتين كالتواب الرحيم في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ٦٤﴾[1]، تنكير أفاد عموم توبة الله على عباده ورحمته بهم مهما عظمت ذنوبهم.

- دلالة الاسم على الوعيد والتهديد: ففي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾[2]، تصوير لحال الكفار وتهديد لهم، «فيه تمثيل لحال انتظار العذاب إياهم وهم في غفلة عنه بحال من أحاط به العدو من ورائه وهو لا يعلم حتى إذا رام الفرار والإفلات وجد العدو محيطا به، وليس المراد هنا إحاطة علمه تعالى بتكذيبهم إذ ليس له كبير جدوى. وقد قوبل جزاء إحاطة التكذيب بهم بإحاطة العذاب بهم جزاء وفاقا، فقوله خبر مستعمل في الوعيد والتهديد»[3]. وفي قوله: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابًا﴾[4]، فالمقصود من الكلام ليس الإعلام بقدرة الله تعالى فإنها معلومة، ولكن المقصود التهديد بتذكيرهم بأن القادر من شأنه أن يخاف بأسه فالخبر مستعمل في التعريض مجازا مرسلا مركبا، أو كناية تركيبية، وتعريف المسند والمسند إليه أفاد القصر، فأفاد اختصاصه تعالى بالقدرة على بعث العذاب عليهم وأن غيره لا يقدر على ذلك فلا ينبغي لهم أن يخشوا الأصنام، ولو أرادوا الخير لأنفسهم لخافوا الله تعالى وأفردوه بالعبادة لمرضاته، فالقصر المستفاد إضافي[5].
- نيابة الوصف بـ«ذو» عن الاسم: تقترن أسماء الله الحسنى بغيرها في كثير من المواقف، وقد نجد بعض الأسماء قد تقترن بوصف له نفس معنى الاسم الذي يكثر

1 سورة النساء (04 : 64)

2 سورة البروج (85 : 20)

3 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج25 ص22

4 سورة الأنعام (06 : 65)

5 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج7 ص283-284

اقترانه به، فالغفور يكثر اقترانه بالرحيم حيث تكرر ورودهما أكثر من 49 مرة، وفي المقابل نجده يقترن مع الوصف «ذو الرحمة»، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾[1]، «خص اسم الغفور بالذكر من سائر أسماء الله تعالى تعريضا بالترغيب في الاستغفار، ووصف ذو الرحمة يساوي وصف (الرحيم) لأن (ذو) تقتضي رسوخ النسبة بين موصوفها وما تضاف إليه، وإنما عدل عن وصف (الرحيم) إلى ذو الرحمة للتنبيه على أنه خبر لا نعت تنبيها بطريقة تغيير الأسلوب، فإن اسم (الرحيم) صار شبيها بالأسماء الجامدة، لأنه صيغ بصيغة الصفة المشبهة فبعد عن ملاحظة الاشتقاق فيه واقترب من صنف الصفة الذاتية»[2]، كما يكثر اقتران «العزيز» بالوصف «ذو انتقام»، لأن انتقام الله من المفسد من مقتضيات اسم العزيز، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[3]، «العزيز الذي لا يحتاج إلى ناصر، ولذلك وصف بأنه ذو انتقام، أي لأن من صفاته الحكمة، وهي تقتضي الانتقام من المفسد لتكون نتائج الأعمال على وفقها»[4]. وقد يرد هذا الوصف في سياق الاستفهام التقريري، كقوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِى ٱنتِقَامٖ﴾[5]، «الهمزة» للاستفهام التقريريّ «عزيز» مجرور لفظا منصوب محلّا خبر ليس. «الاستفهام تقريري لأن العلم بعزة الله متقرر في النفوس لاعتراف الكل بإلهيته والإلهية تقتضي العزة، ولأن العلم بأنه منتقم متقرر من مشاهدة آثار أخذه لبعض الأمم مثل عاد وثمود»[6].

1 سورة الكهف (18 :58)
2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج15 ص357
3 سورة إبراهيم (14 : 47)
4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج7 ص51
5 سورة الزمر (39 : 37)
6 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج24 ص15

- دلالة الاسم عن التنزيه بطريق غير مباشر، فعندما يريد الله سبحانه وتعالى أن ينزه نفسه عن اتخاذ الولد، فالظاهر أن يصف نفسه بأنه الأحد أو الصمد، لكن القرآن يذكر اسما آخر من أجل تقرير معنى آخر، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ ﴾[1]، نزه الله نفسه بقوله: «سبحانه» ثم أضاف إليه وصف «الغني»، «بيانا لوجه التنزيه، أي هو الغني عن اتخاذ الولد، لأن الإلهية تقتضي الغنى المطلق عن كل احتياج إلى مكمل نقص في الذات أو الأفعال[2].
- دلالة سياق أسماء الله مع غيرها على المقابلة، حيث ترد عبارتان متقابلتان في المعنى، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ﴾[3]، «والتعريف باللام في الغني وفي الفقراء تعريف الجنس، وهو فيهما مؤذن بكمال الجنس في المخبر عنه، ولما وقعا خبرين وهما معرفتان أفادا الحصر، أي قصر الصفة على الموصوف، أي قصر جنس الغني على الله وقصر جنس الفقراء على المخاطبين بـ أنتم فإن كمال الغنى لله لا محالة لعمومه ودوامه، وإن كان يثبت بعض جنس الغنى لغيره. وأما كمال الفقر للناس فبالنسبة إلى غنى الله تعالى وإن كانوا قد يغنون في بعض الأحوال لكن ذلك غنى قليل وغير دائم»[4].
- دلالة تركيب أسماء الله على الثبوت والاستمرار في جميع الأزمنة، وهذا ما يدل عليه التعبير الشائع في القرآن الذي يتضمن «إنَّ الله كان....» أو «إنه كان...»، قال الله تعالى: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ ﴾[5]، «عُلل الدعوة إلى الاستغفار بأن الله موصوف بالغفران صفة ثابتة تعهد الله بها لعباده المستغفرين، فأفاد

1 سورة يونس (10 : 68)

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج11 ص230

3 سورة محمَّد (47 : 38)

4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج26 ص138

5 سورة نوح (71 : 10)

التعليل بحرف «إن» وأفاد ثبوت الصفة لله بذكر فعل «كان» وأفاد كمال غفرانه بصيغة المبالغة بقوله غفارا»[1]. وفي قوله: ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما﴾، «وقد دل الإخبار عن رحمته بالمؤمنين بإقحام فعل كان وخبرها لما تقتضيه كان من ثبوت ذلك الخبر له تعالى وتحققه وأنه شأن من شؤونه المعروف بها»[2].

- إضافة الموصوف إلى الصفة، قال الله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾[3]، «الحميد» مضاف إليه، إضافة صراط إلى اسم «الله» لبيان أيّ صراط هو، ويجوز أن يكون الحميد صفة لـ «صراط»، أي المحمود سالكه. فإضافة صراط إليه من إضافة الموصوف إلى الصفة، والصراط المحمود هو صراط دين الله[4]. وبني الفعل أيضاً للمفعول إشارة إلى سهولة الهداية لهم وللأتقياء منهم، ولذلك لم يذكر العزة، واكتفى بذكر الحمد[5].
- صفة واحدة لموصوفين: قال الله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾[6]، «العظيم صالح صالح لأن يجعل وصفا لـ «ربك»، وهو عظيم بمعنى ثبوت جميع الكمال له، وصالح لأن يكون وصفا لاسم، ليمنه ولعظمة المسمى به»[7].
- حقيقة النداء التنبيه وليس طلب الإقبال، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾[8]، «النداء للتنبيه تنبيها يشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسماعه فليس النداء مستعملا في حقيقته إذ ليس مرادا به طلب إقبال ولا هو موجه

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج29 ص197
2 المرجع السابق، ج22 ص50
3 سورة الحج (22 : 24)
4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج17 ص235
5 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ، ج5 ص145
6 سورة الواقعة (56 : 74)
7 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج27 ص329
8 سورة الانفطار (82 : 6)

لشخص معين، والتعريف في الإنسان تعريف الجنس، أي ليس المراد إنسانا معينا، والاستفهام بـ«ما» مجاز في الإنكار والتعجيب من الإشراك، وإيثار تعريف الله بوصف «ربك» دون ذكر اسم الجلالة لما في معنى الرب من الملك والإنشاء والرفق، ففيه تذكير للإنسان بموجبات استحقاق الرب طاعة مربوبه فهو تعريض بالتوبيخ. وكذلك إجراء وصف الكريم دون غيره من صفات الله للتذكير بنعمته على الناس ولطفه بهم فإن الكريم حقيق بالشكر والطاعة»[1].

- دلالة اسم التفضيل على التفضيل المطلق إذا لم يذكر معه مفضل عليه، قال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾[2]، «أجري على لفظ ربك صفة الأعلى وما بعدها من الصلات الدالة على تصرفات قدرته، فهو مستحق للتنزيه لصفات ذاته ولصفات إنعامه على الناس، فلفظ الأعلى اسم يفيد الزيادة في صفة العلو، أي الارتفاع، والارتفاع معدود في عرف الناس من الكمال فلا ينسب العلو بدون تقييد إلا إلى شيء غير مذموم في العرف، ولذلك إذا لم يذكر مع وصف الأعلى مفضل عليه أفاد التفضيل المطلق»[3].

□

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج30 ص173-175

2 سورة الأعلى (87 : 01)

3 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج30 ص272-274

الفصل الثاني

جمالية كلمات الأسماء الحسنى

- خصائص كلمات الأسماء الحسنى
- الترادف في كلمات الأسماء الحسنى
- الفاصلة القرآنية والأسماء الحسنى

الفصل الثاني: جمالية كلمات الأسماء الحسنى

المبحث الأول: كلمات الأسماء الحسنى

- الكلمة القرآنية وجماليتها
- كلمات الأسماء الحسنى وجماليتها
- جمالية الصوت في الأسماء الحسنى
- جمالية الحركات والمدود في الأسماء الحسنى
- التحول في الوحدات الصرفية للأسماء الحسنى

المبحث الثاني: الترادف وكلمات الأسماء الحسنى

- الكلمات بين التقارب والتباين
- أسماء الله الحسنى بين الترادف والتباين
- نفي الترادف عن الأسماء الحسنى

المبحث الثالث: الفاصلة القرآنية والأسماء الحسنى

- الفاصلة في القرآن الكريم
- الأسماء الحسنى في الفاصلة القرآنية
- «الرحمن الرحيم» في الفاصلة القرآنية

المبحث الأول

خصائص كلمات الأسماء الحسنى

❖ الكلمة القرآنية وجماليتها:

ينظر إلى الكلمة من زاويتين: نظرة في حال إفرادها، ونظرة أخرى في حال نظمها مع غيرها، ولا بد من تحديد مفهوم الكلمة بذاتها من حيث وضعها عند أهل اللغة، ومفهومها في إطار موقعها في الجملة من حيث محلها الإعرابي، ومفهومها حين تأخذ مكانا خاصا في الكلام، من حيث المعنى المستفاد منها.

ففي التعريف اللغوي للكلمة، يشير ابن فارس (ت395 هـ) إلى أن الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدلّ على نُطق مُفهِم، والآخر على جراح، فالأول الكلام. تقول: كلمته أُكلّمه تكليما، وهو كليمي إذا كلّمك أو كلّمته. ثم يتَّسعون فيُسمّون اللفظة الواحدة المُفهمة كلمة، والقصّة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة. ويجمعون الكلمة كلمات وكَلِما، قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1]...[2]

وربط ابن منظور (ت711 هـ) بين القرآن والكلمات أو الكلام، فقال: القرآن كلام الله وكلِمُ الله وكلماته وكلمته، وكلام الله لا يُحدّ ولا يُعدّ، وفي الحديث: «أعوذ بكلمات الله التامّاتِ»[3]؛ قيل: هي القرآن. وتُطلق كلمة على العبارة، ففي الحديث: «اسْتَحْلَلْتم فُرُوجَهن بكَلِمَة الله»[4] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ﴾[5]، والكلمة:

1 سورة النساء (4: 46)

2 ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (كلم)

3 صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ج4 ص2080 (حديث: 2708)

4 السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 1424 هـ – 2003 م، ج7 ص234 (حديث: 13823)

5 سورة البقرة (2: 229)

اللفظة، وجمعها كلِمٌ، والكلم لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات، أمّا الكلام فهو اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخُطبة بأسرها. يقال: قال الشاعر في كلمته أي في قصيدته[1].

ومصطلح الكلمة يطلق عند اللغويين والأدباء والبلاغيين على اللفظ المفرد تارة، وعلى الجملة تارة أخرى، وقد يقال للقصيدة كلمة، كما يقال للكتاب كلمة.

إن الدراسة الجمالية تقوم على الكلمة المفردة والمركبة من جهة أحوالها البلاغية والدلالية معا، وما تتركه من أثر في المتلقي، مما يجعلها تحتاج إلى علم النحو ومعانيه، لما يقدمه من عظيم الفائدة لعلم البلاغة؛ بل إن معاني النحو؛ هي البناء الأساسي لمعاني البلاغة، ولذلك فإن تخير كلمة في سياق ما والبحث عن رفيقتها التي تنسجم معها تحدده معاني النحو، «ذاك لأنَّا قد علمنا علمَ ضرورةٍ أنّا لو بقينا الدهرَ الأطولَ نصعِّدُ ونصوِّب ونبحثُ وننقب ؛ نبتغي كلمةً قد اتصلتْ بصاحبةٍ لها، ولفظَةً قد انتظمت مع أختها، من غير أن نتوخّى فيما بينهما معنًى من معاني النحو، طلبنا مُمتنعاً، وثَنينا مطايا الفكر ظُلَّعاً. فإن كان هاهُنا من يشكُّ في ذلك، ويزعمُ أنه قد علمَ لاتصالِ الكلم بعضِها ببعض، وانتظام الألفاظ بعضِها مع بعض معانيَ غيرَ معاني النحو فإنَّا نقول : هاتِ فبيِّنْ لنا تلك المعاني»[2].

فالكلمة بما تحمله من خصائص بنائية تؤدي وظائف صوتية ونحوية وصرفية ومن ثم تعبيرية وفنية واتصالية، ولهذا عرفها بعض العلماء بقوله: الكلمة هي مجموعة من الوحدات الصوتية المؤلفة بطريقة معينة لكي ترمز للأشياء الحسية والأفكار المجردة[3].

الكلمة لا يمكن أن تفهم إلا في إطار موقعها العام في الكلام، والوظيفة التي تؤديها،

1 ينظر: لسان العرب، ابن منظور (مادة كلم)

2 دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص309

3 في جمالية الكلمة، د. حسين جمعة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م، ص14

فقد تفهم المعاني، وتتحد المفردات، ثم يقع التباين في مدى الفصاحة والبيان والإفهام والتأثير، وهنا نكتشف عظمة الدور الذي يؤديه اختيار الكلمة وموقعها، وتبرز الفصاحة[1]. ولهذا اهتم العلماء بالنظم، واعتبروه مظهراً من مظاهر الفصاحة، وقدرته على تصوير المعنى والغرض بدقة وإحكام[2].

هذا التوافق بين اللفظ والمعنى يؤدي إلى إقرار فكرة الإعجاز القرآني، ولا خلاف بين العلماء في أن هذا الإعجاز يتمثل في أسلوب القرآن، ودقة ألفاظه، وذلك التوافق والانسجام بين اللفظ والمعنى المراد، بحيث يصور اللفظ المعاني أدق تصوير، وتبرز عظمة القرآن في روعة ألفاظه وجمالها، وذلك التناسق العجيب بين اللفظ والمعنى، والتكامل والترابط بين الألفاظ، بحيث تكون اللفظة اللغوية معبرة أدق تعبير عن المعنى المراد، ولو وقع أي إبدال أو تغيير في الألفاظ المترادفة لاختلت المعاني واضطرب الأسلوب[3].

إن الكلمة القرآنية عالم متفرد، وهي شخصية متميزة ذات حضور باهر، إنها –كما يقول الراغب الأصفهاني (ت502 هـ)-: «لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها من الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة»[4].

1 المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، ص239

2 الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، ص64

3 ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، ص80

4 المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داودي، دار العلم الدار الشامية، دمشق، 1412هـ، ص55

ولذلك لا يمكن أن يختلط اللفظ القرآني بكلام البشر أو ألفاظهم وإذا استبدل قارئ بلفظة من لفظة أخرى فإن الأذن المرهفة المميزة سرعان ما تحس أن خللاً ما قد اعترى الكلام، وأن نشوزاً طرأ عليه يشبه نشوز النغمة في لحن منسجم متدفق.

إن كل كلمة في كتاب الله تعالى متمكنة في موضعها، ولا يمكن أن تنوب منابها كلمة أخرى، لأن كل كلمة أخرى هي من اختيار البشر، وهذه من اختيار العزيز الحكيم.

إن اللفظ القرآني –كما يقول الخطابي (ت388 هـ)–: «إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، وذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني بحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك»[1].

روي أن قارئاً قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٠٩﴾[2] فقال: "غفور رحيم" فسمعه أعرابي فأنكره، ولم يكن هذا الأعرابي قد قرأ القرآن، وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه[3].

لقد أدرك الأعرابي –بحسه اللغوي السليم المرهف– أن البلاغة الرفيعة تقتضي أن يكون اللفظ القرآني كما ورد، وعندما أخطأ القارئ فغيره أحدث في الكلام خللاً فطنت إليه الأذن المدربة.

ويعتمد الكثير من اللغويين مصطلح «المفردة» بدل «الكلمة»، حيث يعتبرونه أدق في التعبير عن الوحدة المعجمية التي تتشكل منها الجملة، ولا يقع على مصطلح

1 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني، وعبد القاهر الجرجاني، ص29

2 سورة البقرة (2: 109)

3 ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1 ص280

«المفردة» الالتباس الذي نجده في «الكلمة» لأن هذه الأخيرة تطلق على اللفظة الواحدة وعلى العبارة كذلك.

والمراد بها ذلك العنصر الذي يسهم في تشكيل الجملة القرآنية، بل هو أساسها ومنه تركيبها، والمفردة لا ترادف مصطلح الكلمة، لأن الكلمة قد تعني أحيانا كل العمل الأدبي، أما المفردة فتعني الاسم، وتعني الفعل حين يرتبط الاسم بعامل زمني معيّن.

فالمفردة هي اللفظة التي يتألف منها الكلام، وفي القرآن تكتسي صورة تجعلها تتجاوز كونها مجرد أصوات معجمية، حيث تتسع دلالتها السطحية الضيقة، وتحمل دلالات أخرى يفرضها التنوع في استعمالها.

ويدل المعجم على أن المفردة تلتقي مع الفرد والإفراد والمفرد والفرديّة والجوهرة الفريدة والانفراد، وتدل على العدد واحد، وهذا كله نقيض التثنية والجمع[1]، يقول تعالى على لسان النبي زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[2]. «لا تذرني فرداً» أي من غير ولد يرث ما آتيتني من الحكمة، وعلى اختلاف أصناف الورثة بين حافظ لما ورث ومضيع، «وأنت خير الوارثين» أي والحال أنك كذلك لأنك أغناهم عن الإرث وأحسنهم تصرفاً، وكثيراً ما تمنح إرث بعض عبيدك عبيداً آخرين، فأنت الحقيق بأن تفعل في إرثي من العلم والحكمة ما أحبه، فتهبني ولداً تمن عليه بذلك[3]. كلمة "الوارثين" أغنت عن ذكر كثير من دوافع سؤال زكريا عليه السلام وسر اختياره لهذا الاسم.

ويمكن القول إن المفردة هي الجزء الأوّلي في بناء النظم والوحدة المكوّنة له، فلا يغني أحدهما عن الآخر، وهي ليست كائنا معجميا، إذ يتبين لقارئ القرآن أنها تمتاز بدلالة جديدة يضفيها الموضوع على حياد المعجم[4].

---

1 ينظر: جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي – دمشق، ط2: 1419 هـ، ص20

2 سورة الأنبياء (21 : 89)

3 نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، ج12 ص468-469

4 ينظر: جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص20

والمراد بجمالية الكلمة أو المفردة ذلك الانسجام والتناسق التي تحدثه الكلمة في سياق، وفي القرآن تبدو الكلمة أشد تمكنا وتؤدي قمة الانسجام والتناسق في موضعها من السياق لأن النظم القرآني شديد الترابط والتماسك والانسجام فلا اختلاف فيه ولا تنافر، وذلك لأن النظم المنسجم من أعظم وجوه الإعجاز القرآني، كيف لا وقد قال قائله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1]، «والاختلاف يظهر أنه أريد به اختلاف بعضه مع بعض، أي اضطرابه، ولأنه من عند الله فلا اختلاف فيه أصلا»[2].

وقد بين سبحانه أن انتفاء الاختلاف والاضطراب عائد إلى إحكامه: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾[3]، « والإحكام: إتقان الصنع، مشتق من الحكمة بكسر الحاء وسكون الكاف. وهي إتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الأخلال التي تعرض لنوعها، أي جعلت آياته كاملة في نوع الكلام بحيث سلمت من مخالفة الواقع ومن أخلال المعنى واللفظ»[4]. ومن معاني الإحكام أيضا: «الإحكام في النظم والرصف والتأليف»[5]. وفي موضع آخر: « والإحكام الإتقان، ولا شك في أن ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبها، ومتى اختل أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال»[6]، فالكلمة تستلهم جماليتها من ذاتها بالنظر إلى تركيبة أصواتها، وصيغتها الصرفية، ثم بالنظر إلى علاقتها بغيرها وانسجامها مع ما قبلها وما بعدها، «وهذا الجمال ينشأ من علاقة المفردة بالموضوع أي

1 سورة النساء (04 : 82)
2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج5 ص138
3 سورة هود (11 : 01)
4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج11 ص314
5 الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2: 1384هـ، ج4 ص10
6 الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، ج4 ص11

علاقة الدال بالمدلول، وتفردها بالموضوع واستيعابها له، واتسامها بالغاية القصوى في التأثير من خلال صيغتها، وظلالها الخاصة في القرآن، وإيجازها للمعاني الكثيرة، ورفعتها في مخاطبة الإنسان، وهكذا نجد أن جمال المفردة القرآنية تصويري وصوتي وفكري معنوي»[1].

1 جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص20

❖ كلمات الأسماء الحسنى وجماليتها:

أسماء الله الحسنى كلمات كغيرها من كلمات القرآن، ينطبق عليها ما ينطبق على الكلمات القرآنية من حسن الاختيار وحسن الدلالة، فهي متمكنة في موضعها، لا يمكن أن ينوب عن اسم ما اسم آخر، حتى وإن كانت هذه الأسماء متعددة أو متقاربة في أصل الدلالة، كالرحمن أو الرحيم اللذين هما من أصل اشتقاقي واحد لكن بينهما فروق معنوية، وكذلك الرحمن والودود بينهما تقارب معنوي، ولكن كذلك لا يمكن لأحدهما أن يعوض الآخر.

أسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف في نفس الوقت، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[1]، في هذه الآية ذكر لاتصافه بجميع صفات الكمال، تلك المعاني الحسنة التي دلت عليها أسماؤه.

قَال الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت1376 هـ): «هذا بيان لعظيم جلاله، وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى أي كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضا، لم تكن حسنى.

وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص، أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه، دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها»[2].

يقول ابن القيم (ت751 هـ) رحمه الله: «ويتفرع على أن الأسماء التي أثبتها الله تعالى لنفسه كلها حسنى إذ أنه لا يوجد في أسمائه اسم جامد لا يدل على صفة أبدا، لأن

---

1 سورة طه (20: 8)

2 الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ-2003م، ج3 ص962-963

الاسم الجامد ليس فيه معنى فضلا عن أن يكون معنى حسنا، مثال الجامد: أسد، كذلك أيضا، ربما نسمي بعض الناس خالدا مع أن هذا الاسم ليس متضمنا لصفة، ربما نسمي شخصا عبد الله وهو من أفجر عباد الله، فهو ليس عبدا لله، ربما تسمي شخصا محمدا وهو مذمم ليس عنده خصلة حميدة، لكنّ أسماء الله متضمنة للمعنى.

ولهذا قيل إن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، فكل اسم علم باعتبار دلالته على الذات وهو أيضا صفة باعتبار دلالته على المعنى، وأما الصفات كلها عُلْيا، ولهذا لا يوصف الله تعالى بصفة فيها ذم إطلاقا، كل صفات الله منزهة عن الذم والقدح، كلها عُلْيا عُلُوا بيِّنا، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾[1].»[2] ويضيف الإمام الزمخشري (ت538 هـ) عند تفسيره قوله تعالى: «﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[3]. ﴿وَلله الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ التي هي أحسن الأسماء لأنها تدلّ على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك، ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، فسموه بتلك الأسماء، ﴿وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسَمَائِهِ﴾، واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحقّ والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك كأن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا سخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[4]».[5]

ويذكر صاحب التفسير الكبير الإمام فخر الدين الرازي (ت606 هـ) معنى جيدا في

1 سورة النحل: (16: 60)

2 شرح أسماء الله الحسنى، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية تح: أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا القاهرة، 2006م، ص38

3 سورة الأعراف (07: 180)

4 سورة الإسراء: (17: 110)

5 الكشاف، الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي، ج2 ص169-167

تفسير هذه الآية فيقول: «الأسْمَاء ألفاظ دالة على المعاني فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها ولا معنى للحسن في حق الله تعالى إلا ذكر صفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين عدم افتقاره إلى غيره وثبوت افتقار غيره إليه»[1].

بعد عرض تعاريف هؤلاء الأئمة يمكن أن نخلص إلى تعريف جامع يجمع بين كل ما ورد فيها، وهو قول ابن تيمية (ت728 هـ) فيها: «الأسماء الحسنى المعروفة: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[2].

ولذلك لما استنكر العرب تسمية الله باسمه الرحمن ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ﴾[3] رد عليهم سبحانه وتعالى بأنه لا فرق بين اسمه الله واسمه الرحمن، فتوالت الآيات التي تثبت أن اسمه الرحمن علم وصفة قائمة بالله سبحانه وتعالى، ثم إنَّ هذا الاسم وإن تضمن صفة الرحمة لأنها صيغة مبالغة (فعلان) للفعل (رَحِمَ) فإنه أيضا يتضمن صفة العظمة والجلال، قال ابن العربي (ت453 هـ): إنما جهلوا الصفة دون الموصوف ولذلك لم يقولوا «ومن الرحمن» وذكر أنهم غلطوا في تفسير الرحمن حيث جعلوه بمعنى المتصف بالرحمة، قال: وإنما معناه الملك العظيم العادل لدليل: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَـٰنِۚ﴾[4] إذ الملك يستدعي العظمة والقدرة والرحمة لخلقه لا أنه يتوقف عليها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَـٰنِ﴾[5] وإنما يصلح السجود لمن له العظمة والقدرة و﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَـٰنِ﴾[6]

---

1 التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله مُحَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي—بيروت، ط3: 1420هـ، ج15 ص54-55

2 العقيدة الأصفهانية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تح: إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ، ج1 ص19

3 سورة الفرقان (25 : 60)

4 سورة الفرقان (25 : 26)

5 سورة الفرقان (25 : 60)

بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[1] ولا يعاذ إلا بالعظيم القادر على الحفظ والذب ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾[2] أي: وما ينبغي للعظيم القادر على كل شيء المستغني عن معاونة الولد وغيره، أن يتخذ ولدا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾[3] ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾[4] ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ﴾[5]، ولا يحتاج الناس إلى حافظ يحفظهم من ذي الرحمة الواسعة ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾[6]، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[7] ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾[8] ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[9]. وأما «رحيم» فهو من صفات الذات كقولهم: كريم[10].

عرض الزركشي (ت794 هـ) أقوال جماعة من العلماء في التفريق بين الرحمن والرحيم وحقيقة العلاقة بينهما هل تقتصر على مجرد الترادف أو أن أحدهما أبلغ من الآخر: «قال قطرب (ت206 هـ): المعنى فيهما واحد وإنما جمع بينهما في الآية للتوكيد، قال: وليس قول من زعم أن رحيما أبلغ من رحمن بجيد، إذ لا فرق بينهما في المبالغة، ولو قيل: فعلان أشد مبالغة كان أولى ولهذا خص بالله فلا يوصف به غيره، ولذلك قال بعض التابعين: الرحمن اسم ممنوع، وأراد به منع الخلق أن يتسموا به، ولا وجه لهذا

1 سورة مريم (19 : 18)
2 سورة مريم (19 : 92)
3 سورة النبأ (78 : 37)
4 سورة طه (20 : 108)
5 سورة الأنبياء (21 : 42)
6 سورة مريم (19 : 93)
7 سورة مريم (19 : 45)
8 سورة الأنبياء (21 : 112)
9 سورة ق (50 : 33)
10 ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1: 1376هـ، ج2 ص504

الكلام إلا التوكيد وإتباع الأول ما هو في معنى الثاني. قال ابن عباس (ت68 هـ) : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. وقال ابن الأنباري (ت328 هـ) في الزاهر: الرحيم أبلغ من الرحمن.

ورجحه ابن عساكر (ت571 هـ) بوجوه منها أن الرحمن جاء متقدما على الرحيم ولو كان أبلغ لكان متأخرا عنه لأنهم في كلامهم إنما يخرجون من الأدنى إلى الأعلى فيقولون فقيه عالم وشجاع باسل وجواد فياض، ولا يعكسون هذا لفساد المعنى لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني داخلا تحته فلم يكن لذكره معنى، وهذا قدر ذكره الزمخشري (ت538 هـ) وأجاب عنه بأنه من باب الإرداف وأنه أردف الرحمن الذي يتناول جلائل النعم وأصولها بالرحيم ليكون كالتتمة والرديف ليتناول ما رَقَّ منها ولطف[1]. وبهذا يتأكد أن أسماء الله كغيرها من كلمات القرآن، ينطبق عليها حسن الاختيار وحسن الدلالة، متمكنة في موضعها، لا يمكن لاسم أن ينوب عن غيره.

وتكتسي الكلمة القرآنية جمالية تبلغ حد الإعجاز بفضل خصائصها التي تميزها عن غيرها من الكلمات، وقد لخص صاحب كتاب «الواضح في علوم القرآن» هذه الميزات فيما يلي:

1. جمال توقيعها في السمع: فليس في القرآن لفظ ينبو عن السمع، أو يتنافر مع ما قبله أو ما بعده، فالكلمة القرآنية في الذروة من الفصاحة، وهي تحمل المعنى في طياتها.
2. اتساقها مع المعنى، وكأن القارئ يشم منها رائحة المعنى المطلوب، أو يلحظ فيها إشراقا يصور المعنى أمام العين.
3. اتساع دلالتها لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات عادة، بحيث يعبر بكلمة واحدة عن معنى لا يستطاع التعبير عنه إلا ببضع كلمات أو جمل[2].

---

1 ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2 ص503

2 ينظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، ص166

وظهور هذه الميزات على أسماء الله لا يحتاج إلى بيان، بل إنها هي التي تزيد ذلك تأكيدا ووضوحا، من ذلك الاسم «الرحمن» الذي افتتحت به سورة تحمل نفس الاسم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[1] وهي سورة اقتصرت على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، ومن مقتضى اسمه الرحمن انبثت جميع النعم، ولذا ذكر في هذه السورة أمهات النعم في الدارين[2] لتتناسب مع مدلول هذا الاسم، وفيه أيضا براعة استهلال لافتتاح السورة بهذا الاسم العظيم وتشويق لجميع السامعين إلى الخبر الذي يخبر به عنه إذ كان المشركون لا يألفون هذا الاسم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[3]، فهم إذا سمعوا هذه الفاتحة ترقبوا ما سيرد من الخبر عنه، والمؤمنون إذا طرق أسماعهم هذا الاسم استشرفوا لما سيرد من الخبر المناسب لوصفه هذا مما هم متشوقون إليه من آثار رحمته[4]. أما من الناحية الصوتية فقد أحدث هذا الاسم انسجاما صوتيا وتناغما موسيقيا، خاصة إذا تأملنا نهايته ونهاية بقية الكلمات التي أتت في نهاية الفواصل «القرآن»، «الإنسان»، «البيان» «يسجدان»، فإن جميعها قد اختتمت بنفس المقطع «ان».

1 سورة الرحمن (55: 01-04)

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج7 ص373

3 سورة الفرقان (25: 60)

4 تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ج27 ص230

❖ جمالية الصوت في الأسماء الحسنى:

اشتهر العرب بشدة تأثرهم بما يسمعون، حيث كان للكلمة قيمتها، وتأثيرها على حياة العرب وعلاقتهم بغيرهم، حيث كان مجرد الاستماع إلى كلمة ما سببا للحرب أو الصلح، والتضحية بالنفس والنفيس، كل ذلك ساعدهم على إدراك القيمة المعنوية والفنية للكلمة، فضلا عن القيمة الموسيقية للكلمة القرآنية وذلك بسبب معايشتهم لفني الشعر والخطابة، واهتمامهم البالغ بالكلمة، وقد قال الزرقاني (ت1367 هـ): «هذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي، هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام، سواء أكان مرسلا أم مسجوعا، حتى خيّل إلى هؤلاء العرب أنّ القرآن شعر»[1].

ونحو ذلك ما ذكره الرافعي (ت1356 هـ) إذ يقول: «رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحانا لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم»[2].

فما كان عليهم–وقد أصرّوا على الإشراك– إلا الهرب من سماعه على ملأ من القوم، واستراق السمع ليلا، مما يؤكد عدم موضوعيتهم في كرههم للقرآن، وقد قال عنهم عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾[3]، فقد طغت المكانة العشائرية، ولكنها لم تمسح في نفوسهم تذوقا سمعيا فطريّا.

نجد في رحاب الآيات الكريمة تسمية الكتاب العظيم بالقرآن، فقد ورد هذا الاسم سبعين مرة، وهذا أضعاف ذكر أيّ اسم غيره كالفرقان والكتاب، مما أحصاه العلماء،

---

1 مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، ج2 ص310

2 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص148

3 سورة فصلت (41 : 26)

وكانت الكلمة الأولى من الوحي «اقرأ» في الآية: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[1] واشتقّت كلمة «القرآن» من القراءة، فهي تتطلب السمع، وحضّ القرآن على استعمال حاستي السمع والبصر، وهما وسيلتا تذوّق الجمال مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦﴾[2] وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾[3]، وليس ما استنبطه علماء التجويد إلا أصلا في قراءة العربية[4].

والتجويد هو الإتيان بالقراءة مجوّدة الألفاظ بالغة حدّ النهاية في إجادة النطق[5]، وقد كانت قواعد التجويد بالغة الأهمية، لأنها تبرز جمالا سمعيا غير معهود، كما أن مراعاة قوانين التجويد مراعاة للعربية التي هي المادة الصوتية لهذا الكتاب العظيم، وهي لغة تستبعد بطبيعتها الوعورة والثّقل، فقد اختار الناطق بها كلّ سهل مستساغ، وكان القرآن اختيارا آخر، ولهذا كانت آياته إعجازا لهم، لأنه يفوقهم في هذا المجال بمراعاة دقائق فنية موسيقية، وهي ما يدعى بالموسيقى الداخلية[6].

بالإضافة إلى التجويد، يحتاج قارئ القرآن إلى تزيين الصوت عند الأداء مصداقا لقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَـٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[7]، ويؤكّد لنا فعل الترتيل بالمفعول المطلق، للتأكيد على أنها قراءة تتجاوز مجرد القراءة العادية، ويبرز هذا الأداء

1 سورة العلق (96 : 01)
2 سورة الإسراء (17 : 36)
3 سورة السجدة (32 : 9)
4 ينظر: جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص77
5 المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمّد فاروق النبهان، ص211
6 جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص78
7 سورة الفرقان (25 : 32)

إيقاعا موسيقيا رائعا في حجم الآيات وبخاصة في قصارى السور، فكأنها أحجام متساوية في كل شيء بما يحقق جمال الأداء والإعجاز الصوتي للقرآن الكريم.

وقد اعتبر النقاد اللغة العربية لغة فنية لأنها «في جملتها فن منظوم منسّق الأوزان والأصوات فحروف الأبجدية المعروفة، قد استوفت المخارج الصوتية كلّها «فليس هناك مخرج صوتي واحد ناقص في الحروف العربية»، وهي أوفر عددا في أصوات المخارج من غيرها من لغات العالم «التي لا تلتبس ولا تتكرّر بمجرد الضغط عليها»[1].

قسمت حروف الأبجدية، حسب مخارجها الصوتية، وأعطيت صفات للتمييز فيما بينها، حسب الأصوات المنبعثة منها.

وروعي في ترتيب حروفها حسب المخارج الصوتية، التناسب الموسيقي الفني، فيما بين الحروف المتقاربة فهي حروف متناسبة في مخرجها، وجرسها وشكلها ونسقها، مثل الباء والتاء والثاء ومثل الحاء والخاء، والدال والذال، وهكذا في بقية الحروف كما يرى العقاد[2].

بالإضافة إلى هذا التقسيم الصوتي للحروف الأبجدية، هناك تقسيم صوتي آخر، يراعي صفات الحروف الصوتية، وما تصدره من إيقاعات موسيقية مختلفة، فهناك حروف الاستعلاء، وحروف الصفير، والتفشّي، والإصمات، أو حروف الإطباق أو الاستفال أو الهمس.

هذه الروابط الفنية أو الخصائص للحروف، ميزة اللغة العربية، التي اختارها الله لغة لكتابه العزيز، قبل أن تؤلّف من مجموعها الكلمات الحاملة للمعاني، وقبل أن تنظم الكلمات ضمن روابط السياق الأخرى[3].

1 وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر-حلب، ط1، 1422هـ، ص380

2 ينظر: المرجع السابق، ص381

3 ينظر: المرجع السابق، ص381

واختلف العلماء في سر تحقيق الانسجام والتناسق بين الحروف، فمنهم من أرجعه إلى التباعد أو التقارب بين المخارج، ومنهم من أرجعه إلى سهولة حركة اللسان، أما ابن الأثير (ت637 هـ) فيرى أن حاسة السمع هي المقياس لبيان جمال اللفظة إذ نرى كلمات متقاربة في مخارجها، ولكنها حسنة في الآذان، كالجيم والياء والشين، فهي حروف متقاربة المخارج، فيسمّيها علماء الأصوات «الشجرية»، وإذا تألفت في الكلمة كان وقعها حسنا ومحمودا مثل لفظة «جيشان»، وكذلك نرى كلمات متباعدة في مخارجها، لكن وقعها قبيح، من ذلك أنه يقال: «ملع»، إذا عدا، فالميم من الشفة، والعين من حروف الحلق، واللام من وسط اللسان، وكل ذلك متباعد، ومع هذا، فإن هذه اللفظة مكروهة الاستعمال، ينبو عنها الذوق السليم، لكن العجيب هو أنه إذا قلب ترتيب حروف هذه اللفظة صارت علم، وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد على حسنها، ولو كانت مخارج الحروف معتبرًا في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة في «ملع» و«علم»[1].

فالتلاؤم لا يرجع فقط إلى مخارج الحروف، وإنما يرجع إلى صفاتها أيضا، كما يرى ذلك مصطفى صادق الرافعي (ت1356 هـ) في العصر الحديث[2]، يقول: «لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه، مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة، والرخاوة، والتفخيم، والترقيق، والتفشي، والتكرير»[3].

وتعتمد المفردات العربية في تركيبها الفني على «الوزن»، فهو قوام التفرقة بين أقسام الكلام في اللغة العربية، فالفرق بين الكلمة ومشتقاتها هو فرق بين أفعال وأسماء وصفات، وأفراد وجموع، وهو كلّه قائم على الفرق بين وزن ووزن، وقياس صوتي، وقياس

1 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمّد، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة، ج1 ص174

2 ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ص381

3 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، محمّد صادق الرافعي، ص148-149

مثله، إنه يتوقف على اختلاف الحركات والنبرات أي على اختلاف النغمة الموسيقية في الأداء، كما يقول العقاد[1].

وهذه السمة الفنية في العربية، بلغت حدّا معجزا في القرآن الكريم، من حيث، جودة مفرداته، وجمال تصويره وعذوبة إيقاعه، ودقّة معانيه، ومن أجَلِّ البراهين على ذلك كلمات أبى الله إلاّ أن يتسمى بها، وألاّ يدعوه عباده إلاّ بألفاظها، وهي دلائل على الإعجاز الموسيقي في القرآن خاصة خواتم الآيات وفواصلها، وختم الآية باسم من أسماء الله الحسنى أو اسمين له قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيره، ليس فقط رعاية للتناسق الصوتي، بل رعاية للمعنى أيضاً، وكثيرا ما يكون ذلك مرتبطا بسياق السورة ومقصدها وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز.

إذا تأملنا مثلا الاسمين «الرحيم» و«الغفور»، وجدناهما يحققان الانسجام والتناسق بين حروفهما، مرجع ذلك إلى مخارجهما، فالرحيم مشكل من حروف مخارجها متجانسة ليست بالمتقاربة ولا المتباعدة، وكذلك الصفات مزج بين الجهر والهمس أو التوسط، وتأثير المد المتوسط (بالياء او الواو) في كل منهما، ثم الإدغام الذي يحدث بينهما حين يحافظان على الترتيب «غفور رحيم» فتدغم النون الساكنة من راء «غفور» في راء «رحيم» حتى يبدوان وكأنهما اسما واحد لا ينفك أحدهما عن الآخر، وذلك بخلاف الترتيب الآخر «رحيم غفور» حيث تظهر النون الساكنة بجوار الغين، فيكون حكمها الإظهار بدل الإدغام، مما يجعل الاسمين متباينين معنى وصوتا.

وتأثير ذلك على المعنى يظهر من خلال حفاظهما على الترتيب «غفور رحيم» في كل الآيات التي وردا فيها، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[2] إلا في قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ

---

1 وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ص385

2 سورة الحجرات (49 : 14)

مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾[1]، وقد علم أن الغالب تقدم الغفور على الرحيم، أما تقديم الرحيم على الغفور ففيه معنى عجيب يظهر لمن تأمل سياق أوصافه العلى وأسمائه الحسنى في أول السورة إلى قوله ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ وتأويل ذلك أنه لما كان من جملة أحوال ما في الأرض أعمال الناس وأحوالهم من عقائد وسير، ومما يعرج في السماء العمل الصالح والكَلم الطيّب أتبع ذلك بقوله: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ أي الواسع الرحمة والواسع المغفرة. وهذا إجمال قصد منه حث الناس على طلب أسباب الرحمة والمغفرة المرغوب فيهما، فإن من رغب في تحصيل شيء بحث عن وسائل تحصيله وسعى إليها، وفيه تعريض بالمشركين أن يتوبوا عن الشرك فيغفر لهم ما قدموه[2]، وكذلك فإن المقام هنا مقام تفضل وإنعام، وإحسان وإكرام قدمت الرحمة على المغفرة، لأن المغفرة لا تكون إلا عن ذنب وتقصير ولم يذكر في الآية تصريح بذلك، يقول برهان الدين البقاعي (ت885 هـ): «ولما كان الحاصل من هذا المتقدم –الحمْدُ لله الّذي له ما في السّماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة– أنه ربُّ كل شيء، وكان الرب لا تنتظم ربوبيته إلا بالرفق والإصلاح، وكان ربما ظن جاهل أنه لا يعلم أعمال الخلائق لأنه لو علمها ما أقر عليها، أعلم أن رحمته سبقت غضبه، ولذلك قدم صفة الرحمة، ولأنه في سياق الحمد، فناسب تقديم الوصف الناظر إلى التكميل على الوصف النافي للنقص فقال: (وهو) أي والحال أنه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للأبدان، (الرحيم) أي المنعم بما ترضاه الإلهية من إنزال الكتب وإرسال الرسل لإقامة الأديان (الغفور) أي المحاء للذنوب»[3]، فتقدَّمت الرحمة في آية سبأ، لأنها منشأ المغفرة، وأما تقديم الغفور في كل موضع في القرآن فيه إشارة إلى وقوع المعاصي وكفران النعم.

1 سورة سبأ (34 : 02)

2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج22ص138

3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص151

وكذلك في كل القرآن الكريم حيث اجتمع هذان الاسمان الكريمان تقدم ذكر للإنسان بأي صورة من الصور، أما هنا فلم يتقدم ذكر الإنسان، بل تأخر، حيث قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[1] ثم قال بعد ذلك في الآية الثالثة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ﴾[2] فتأخر ذكر أصناف البشر ولذلك تأخرت المغفرة، ذلك أن جميع الخلائق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تحيا وتعيش، وبرحمته تتراحم، وأما المغفرة فتخص المكلفين فالرحمة أعمّ.

---

1 سورة سبأ (34 : 02)

2 سورة سبأ (34 : 03)

❖ جمالية الحركات والمدود في الأسماء الحسنى:

تمتاز الكلمة القرآنية بجمال صوتها من خلال خفة حركاتها، يقول ابن الأثير (ت637 هـ): «ومن أوصاف الكلمة أن تكون مبنيّة من حركات خفيفة، ليخفّ النطق بها، وهذا الوصف يترتب على ما قبله من تأليف الكلمة، لهذا إذا توالت حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تستثقل، وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة فإنه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استثقلت... واعلم أنّه قد توالت حركة الضّم في بعض الألفاظ، ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقل»[1].

ويرى يحيى العلويّ (ت745هـ) في كتابه الطّراز: «أنّ الأولوية لسكون الوسط في الكلمات، وكأنّما كانت تستهويه كثرة المقاطع، أو ما يدعى في علم العروض بالأوتاد، وإذا انتفى وجود سكون الوسط فلا بأس بتوالي حركات الفتح، وإلا فالكلمة ثقيلة مستهجنة، فهو يقول: «فإذا حصل سكون الوسط كان أعدل وأرقّ، وإن توالي ثلاث فتحات فهو أخفّ من الضّم في وسطه، فلهذا كان فرسا أخفّ من عضد، والمعيار في ذلك عرضه على ما قلنا من تحكيم الذوق، ولهذا قد تتوالى ضمّتان، وهو غير ثقيل»[2].

ويتحدث الرافعي (ت1356هـ) عن تلاؤم الصوت والحركة حيث يرجعه إلى قدسية القرآن وقد اكتسبت من العذوبة الشيء العظيم: «حتى إنّ الحركة ربّما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثّقل أيًّا كان، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذبَ شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة»[3].

1 المثل السائر، ابن الأثير، ج1 ص206

2 الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ، المكتبة العنصرية–بيروت، ط1، 1423هـ، ج1 ص60

3 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص156-157

ولهذا فإن طبيعة الحروف لها تأثير في جعل الضمة ثقيلة أو خفيفة، فقوّتها وبساطتها تتبعان الحرف نفسه، كما يقول د. كمال بشر: «فالفتحة مثلا قد تكون مفخّمة، وقد تكون مرقّقة، وقد تكون بين التفخيم والترقيق، فهي مفخّمة مع حروف الإطباق، وهي الصّاد والضّاد والظّاء، وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والعين والغين والحاء، ولكنها مرقّقة في المواقع الصوتية الأخرى، وهذا الشيء نفسه يطبّق على الكسرة والضمة»[1].

ولذلك فإن تحقيق الانسجام سمة حافظ عليها القرآن، والدليل على هذا سهولة نطق مفرداته، وكثيرا ما نتلمّس خشونة حروف إلى جانب ليونة حروف، وقد ارتبط هذا بتصوير المعاني والمواقف، فالتركيب الداخلي لمفردات وصف أهل الجنة مثلا يختلف عن تركيب مفردات وصف أهل النار.

وإذا تأملنا أسماء الله وجدناها جميعا تمتاز بجمال صوتها وخفتها، لأنها كلها مبنية على الحركات الخفيفة التي تطيب للسمع، وتخف في النّطق، فهي تتألف من توالي الحركات الخفيفة الفتحة ثم الكسرة (السميع، العليم، الكريم، العزيز...)، أو توالي فتحتين (الفتاح، الرزاق، التواب، الغفار، الجبار...)، كما نجد كثيرا من الأسماء يتوسطها السكون دفعا لتوالي أكثر من حركتين (الرحمن، الرحيم...).

أما إذا تضمن الاسم الحركة الثقيلة فإنها في الغالب تشكل مع السكون مقطعا فتكون متبوعة بحرف المد أو بسكون حقيقي (الغفور، الشكور، الودود، الرؤوف، العفوّ، المقتدر)، وبالإضافة إلى جمال الحركات وخفتها في أسماء الله سبحانه وتعالى ينشأ جمال آخر من ملاءمة الحركة للحرف، وهذه طبيعة الإيقاع القرآني، لذلك تختم أغلب آيات القرآن بأسمائه لتكون بمثابة خاتمة رائعة من النغم الموسيقي حتى إذا تلاها القراء كانت

1 دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص90-91

أعذبَ شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾[1] ولا يقتصر هذا الجمال الصوتي على خواتم الآيات بل إننا نجد آيات بأكملها لم تتضمن إلا أسماء الله الحسنى في قالب منسجم معنويا وصوتيا ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾[2].

إلى جانب الاهتمام بجمال الحركات، اهتم علماء اللغة أيضا بجمال المدود في الكلمات القرآنية لإدراك الدقائق الفنية في بنية الكلمات، كالمدود والحركات والانسجام بين الشّدة والرخاوة، وقد كان ذلك مقدمة لاكتشاف جمال الإيقاع الموسيقي لمفردات القرآن وكيف أن للمدود أثر في فصاحة المفردات وجمالية صوتها، «صحيحٌ أنّ مُقَوِّماتِ الإيقاع ليست محصورةً في إقامة الإعراب على وجهه، لكنّه من أهمِّها، إلى جانب إتقان أحكام التجويد، خاصّة ما يتعلق بالغنة، والمدّ، وأنواع المدود وقدر حركاتها، ومعرفة الأحكام الخاصَّةِ لبعض الحروف، مع تحقيق الحروف بأدائها من مخارجها وعلى صفاتها»[3].

ويعتبر علم التجويد والذي يعني القراءة الصحيحة العادلة للقرآن الكريم المساعد لإدراك الدقائق الفنية الموسيقية للمدود في الكلمات القرآنية، فإن التجويد يقول بوجود أنواع للمدود، فهنالك مدّ بحركتين، ومد بأربع حركات، ومدّ بستّ حركات...

1 سورة آل عمران (03 : 06)

2 سورة الحشر (59 : 22-24)

3 عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أ. د. سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص42

الأصل في هذا الباب ما رواه البخاري بسنده عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضى الله عنه عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمد مدّا[1]. ورواه النسائي عن قتادة بلفظ سألت أنسا كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ قال كان يمدّ صوته مدّا[2].

وأخرج سعيد بن منصور والطّبرانيّ وابن مرْدوَيْه عَن مُوسَى بن يزِيد الكِنْديّ قال: كان ابن مسعود ﷺ يقرئ رجلا فَقَرَأَ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾[3] مُرْسلَة فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها النبي ﷺ، فقال وكيف أقرأكها؟ قال: أَقْرَأَنيهَا ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ فَمدَّهَا[4].

والمدّ في اللغة: مطلق الزيادة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾[5] أي يزدكم، ومدّ الحرف يمدّه مدّاً: طوَّله[6] وفي الاصطلاح: إطالة الصوت بحرف من حروف المدّ الثلاثة عند ملاقاة همزة أو سكون[7].

حروف المدّ: حروف المدّ الثلاثة يجمعها لفظ «أوي» وهي الألف الساكنة المفتوح ما قبلها نحو «قال»، والواو الساكنة المضموم ما قبلها نحو «يقول»، والياء الساكنة المكسور ما قبلها نحو «قيل» ويجمع الكل بشروطها المذكورة الكلمات: «نوحيها»، «أوتينا»، «أوذينا». وتسمى هذه الحروف: حروف المدّ واللّين، لخروجها بامتداد ولين من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها[8].

---

1 صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري،، كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القراءة، ج6 ص195 (ح 5045)

2 السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب، ط2، 1406هـ، كتاب الافتتاح، باب مد الصوت بالقراءة، ج2 ص179 (ح1014)

3 سورة التوبة (09 : 60)

4 الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر-بيروت، ج4 ص221

5 سورة نوح (71 : 12)

6 لسان العر ب، ابن منظور، (مدد)، ج3 ص396

7 الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1423هـ، ص390

8 ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ص390

والمدود أصلية وفرعية، ولها أنواع متعددة وألقاب كثيرة وهي ترجع من حيث تعددها وتفاضلها طولاً وقصراً إلى الهمز والسكون، وهما السببان الأساسان في الزيادة في المد[1]. وليس هذا موضع بيان أنواع المدود، والمهم هو المد الأصلي والمد الفرعي، فالأصلي هو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به، ولا يتوقف على سبب من همز أو سكون، بل يكفي فيه وجود أحد حروف المد الثلاثة، وسمي طبيعيا لأنه صاحب الطبيعة السليمة لا يزيد فيه ولا ينقص عن مقداره، ومقداره ألف، والألف حركتان، والحركة مقدار قبض الأصبع أو بسطه[2]. مثل: «قال، يقول، قيل». أما المد الفرعي فيقوم على سبب من الأسباب وهو أن يتوقف على سكون مثل: رحيم، عليم، حكيم، إذا وقعت في نهاية الآية فإننا سنقف على سكون ومن ثَمَّ يتحقق لنا المد الفرعي القائم على سكون، ويطلق عليه علماء التجويد المد العارض للسكون هو أن يأتي بعد حرف المدّ أو اللين سكون عارض وقفا لا وصلا. أي: أن الحرف الذي بعد حرف المدّ أو اللين متحرك في الأصل، ولكن السكون عرض له لأجل الوقف، لما تقرر في القواعد من أنه لا يوقف على متحرك مثل: «الرحيم» «العليم» «غفّار» «شكور» في حالة الوقف، وسمي عارضا لعروض المدّ بعروض السكون، أي أنه طارئ بسبب سكون الوقف، ولو تحرك الحرف الذي بعد حرف المدّ أو اللين بسبب وصل الكلمة بما بعدها لما وجد المدّ[3].

وقد تنبه اللغويون والإعجازيون إلى هذه الخصيصة اللغوية المتعلقة بالإيقاعية، فقال السيوطي (ت911 هـ) في شأن ذلك: «كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن مع التطريب بذلك، كما قال سيبويه (ت180 هـ):

---

1 مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة للنشر – الرياض، ص119، ط1: 1429هـ، ص119

2 تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، علي بن محمَّد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي، تح: محمَّد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ص108

3 ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ص395

«إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع»[1].

وهذه المدود أو (الفونيمات) أكثر ما تلاحظ في الفواصل القرآنية، كما أقر بذلك السيوطي، فهي بذلك تتجسد في نهاية الدفقات الصوتية للجمل، محدثة عند الوقف من الإيقاعية الأخاذة.

وهي إما مدود مطلقة يوقف عليها بصوتها، وإما ملحقة بحرف (صائت) تسبقه. وقد تتكرر هذه (الفونيمات) في كل فاصلة فتضاعف حركة التكرار من قيمتها الإيقاعية بما لا يخفى جماله على القارئ أو السامع، وما دام القرآن العظيم في تجسيده لهذه المدود يساير طبيعة العرب في ترنمهم وإنشادهم[2] ف «إن ما نلمسه في القرآن من تلون وتنوع في آخر حروف الفواصل يحدث هو أيضاً تنوعاً في الإيقاع، يتم في وحدة من التناسق، ويعبر عن الصورة الفنية لإيقاع القرآن»[3].

إن هذه الخاصية الفنية تدعونا إلى تأمل أسماء الله الحسنى وتركيبها واحتوائها على المدود بمختلف أنواعه حيث تشكل إيقاعا جميلا يعدّ أصالة واكتشافا جديدا في الجمال الموسيقي لمفردات القرآن، خاصة إذا علمنا أن موقع أغلبية الأسماء الحسنى في الآيات هو نهاية الفواصل.

فعندما نتأمل المدّ في سورة الرحمن فإننا نكتشف ارتياح الشّفاه مع الفتحة، يقول سيد قطب: «وزنة الإعلان تتجلّى في بناء السّورة كلّه، وفي إيقاع فواصلها... تتجلّى في إطلاق الصّوت إلى أعلى، وامتداد التّصويت إلى بعيد... الرحمن كلمة واحدة مبتدأ مفرد، الرحمن كلمة واحدة في معناها وفي رنّتها الإعلان»[4].

---

1 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3 ص359

2 قال سيبويه: "أما إذا ترنموا ـ أي العرب ـ فإنهم يلحقون الألف والياء والواو، وما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت"؛ ينظر: الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت. ط1، ج 4 ص204

3 الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1980م، ص 262

4 في ظلال القرآن، سيّد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط17: 1412هـ، ج2 ص108

وبما أن للمدّ دلائله الخاصة بكل سورة، ففي كلمة «الرحمن» يدلّ على معنى الإعلان، ومعنى الصعود بالبشر إلى الملكوت، كما نجد هذا متجلّيا في المآذن التي تصعد بتضرّعات المؤمنين إلى السماء، فدلائل المدّ مختلفة، ولهذا فإن المدّ في سورة العاديات يوحي بالتأمّل «أما القسم الثاني من السورة، فهو أطول نفسا، وأكثر مدودا، وكأنه يشير بمدوده الطويلة إلى التأمل الطويل، والهدوء النفسي، وهذا يظهر بجلاء لدى المغايرة في الفاصلة مما يعني انتهاء تصوير المقسم به، فنصل إلى المدود في «كنود» و«شديد» و«قبور» و«خبير» و«شهيد»، بعد أن كانت الفاصلة بالتنوين والسكون «ضبحا»، «نقعا»، «جمعا»»[1].

وفي كلمة «رؤوف» قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[2] يبدو أنّ توالي انضمام الشفتين، مرة عند نطق حرف المدّ الواو، وأخرى عند نطق الفاء، دلّ على جمال اللفظ، فالفاء حرف شفوي تنكمش الشّفاه عند لفظه، وقد تكرّر هذا الانكماش في مدّ الواو وفي الفاء، ولعلّ هذا يبرز جمال الذّوق أو الرّقّة، وكذلك الأمر في كلمة «غفور» مع فارق في استمرار انكماش الشفتين عند لفظ الفاء متبوعة بحرف المد الواو.

ولا ينبغي أن يبسط الجمال الموسيقى بمعزل عن دلالة السياق، وكذلك لا يصح أن يربط بين طبيعة الصوت والمعنى ربطا قسريّا، مما يكون منشؤه الإسقاط الشخصي، ذلك أن النغم يساعد على جلاء الفكرة في الآيات، ويساعد على التصوير الفني، وعلى هذا النهج، يسير سيد قطب في تحليل النصوص القرآنية في كتبه، مستخدما مصطلح الجرس والإيقاع في الحديث عن الجانب الصوتي في المدود والحركات، وفي الألفاظ عموما، وهو يربط الإيقاع الموسيقي للألفاظ بالمعنى المراد، والحالة النفسية، والجوّ العام للسياق، وهذا

1 جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص219

2 سورة آل عمران (03 : 30)

منهج سليم، لأن الإيقاع الموسيقي في القرآن لم يقصد لذاته، لمجرد التنغيم والإطراب بهذه النبرات الصوتية المنغّمة بل هو وسيلة لتصوير المعاني الدينية[1].

وتساعد المدود على تمويج الصوت أثناء القراءة[2]، وهو ما يطلق عليه الترجيع وهو سبب من أسباب تحسين التلاوة والتأني بها، ومنه حديث عبد الله بن مغفل المزني ﵁ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح فرجّع فيها. قيل لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: آآآ– ثلاث مرات»[3].

وإذا تتبعنا سورة الفتح وخاصة في فواصلها نجدها تختتم في كثير من الحالات بأسماء الله الحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾[4]، ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٤﴾[5] وهذا ما يعني أن أسماء الله الحسنى وردت على صيغ تسمح بتلك القراءة الجميلة المبنية على المد بالياء (عزيزا، حكيما، رحيما...) أو بالواو (غفورا).

1 ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ص393

2 معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم – دمشق، ط1: 1422هـ، ص91

3 صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه (ح 5047)

4 سورة الفتح (48 : 07)

5 سورة الفتح (48 : 14)

❖ التحول في الوحدات الصرفية للأسماء الحسنى:

إنّ لكُلّ لغةٍ من اللغات الإنسانية وسائلها الخاصّة في توليد الألفاظ وتنمية الثروة اللفظية فيها، وتتحدّد هذه الوسائل وفق النظم الصّرفيّة لكُلّ لغة، فمعلوم أنّ كُلّ لغة تمتاز عن غيرها بميّزات خاصّة تؤثِّر فيها، وفي تكوين أنظمتها المختلفة، وفي تحديد العلاقات بين عناصرها، وتؤثّر –أيضاً– في الوسائل التي تتخّذها اللغة لإنتاج الجديد من مفرداتها. وتملك العربّية ثروةً لغويةً واسعةً بما تشعّب عن أصولها من أبنية وصيغ تشتمل على أقسام الكلم وما تفرّع عنها، ولا يرتاب باحث محقق في شدّة تعويلها على البناء والتركيب الذّي عاد عليها بالغنى والثّراء[1].

ولا يقتصر التّحوّل عن الأصل على مظهرٍ واحدٍ يطرد في كُلّ الأبنية المعدول عنها، بل تتعدّد تلك المظاهر وتتنوّع، وهذا أمر يكسب العربية مرونة واسعةً، ويكفل لها اختيارات كثيرةً تعملُ بواسطتها على إغناء رصيدها من الأبنية والمفردات، كما أنّ طريقة التّحوّل عن أصل الكلمة ترتبط أحياناً بسبب التّحوّل، وقد رصد الصّرفيون مظاهر التّحوّل عن الأصل، وفصّلوا القولَ فيها، وفسّروا التغييرات التّي تحدث في بنية الكلمة لتنقلها من الأصل المجرّد إلى الأصل المستعمل.

إنّ التحويل في الصيغ هو موضوع صرفيّ يبحث في الأصول والفروع والدّلالة والأصوات والقراءات القرآنية، والضرائر الشعرّية، وعلم النّحو، والفصائل النحّوية، وما قالته العرب في كلامها باستخدام صيغةٍ بدلَ صيغةٍ أخرى[2].

لقد اتخّذ التحويل في الصيغ الصّرفية مظاهر كثيرة، منها التحّويل في صيغة (فاعل) إلى الصيغ الأخرى، والتحّويل في صيغة (مفعول)، وصيغة (فعيل)، و(فعول)، و(أفعل) وكذا هي الحال في الأفعال...

1 ينظر: دراسات في فقه اللغة، الصالح صبحي، ط1، دار العلم للملايين، 1960م، ص324

2 ظاهرة التحويل في الصيغ الصّرفية، د. محمود سليمان ياقوت، الإسكندرية، 1986م، ص9 وما بعدها

فالوحدة الصّرفية عنصر حيوي يستمّد حيويته من السّياق، فيؤثّر فيه ويتأثّر به شأنه في ذلك شأن الكائن الحيّ الذّي لا يكتسب حياته إلاّ بالتفاعل مع أبناء جنسه، وهو الفضاء الذّي يساعد على كشف أسرار الصناعة اللفظيّة في اللغة.

وبالنسبة للأسماء الحسنى فقد تنوعت الصيغ الصرفية التي وردت بها حيث جاء معظمها على صيغ دالة على الفاعل، فمنها ما ورد على صيغة اسم الفاعل وهو ما يدل على التجدد والحدوث كالخالق والقاهر والرازق والشاكر والمالك والقادر والوارث، ومنها ما ورد على صيغة الصفة المشبهة وهي ما يدل على الثبات والدوام كما في وزن فعلان كالرحمن، ووزن فُعُّول كالقدوس، ووزن فَعَل كالأحد الصمد الحكم، ووزن فَعْل كالبر والحق والحي والربّ وكذلك على وزن فَعُّول كالقيوم، ومنها ما ورد على صيغ المبالغة وهي ما يدل على التأكيد والمبالغة في الشيء، كالأسماء التي وردت على وزن فعَّال مثل التوّاب الغفّار الفتّاح الجبّار الوهّاب القهّار الخلاّق الرزّاق، وعلى وزن فعيل كالسميع البصير العليم الخبير الحسيب النصير الحفيظ الرقيب اللطيف القريب العلي العظيم الغني الحكيم العزيز الرحيم القدير الحليم الكريم الحميد المجيد الوكيل الشهيد المليك الكبير القوي المتين، وعلى وزن فَعُول كالرؤوف الودود الشكور العفو الغفور، وعلى وزن فَعِل كالملك، ومنها ما جاء على اسم التفضيل وهو ما يدل على وجود الصفة مع قصد المقارنة كالأول والآخر والأكرم والأعلى[1].

أسماء الله الحسنى تأتي كما سبق على صيغ مختلفة منها صيغة اسم فاعل أو صيغة الصفة المشبهة أو صيغة المبالغة، ومن أبرز صيغ أسماء الله الحسنى ما يلي:

أولا. اسم فاعل: وردت أسماء الله بصيغة اسم الفاعل على الأوزان التالية:

1. فاعل، مثل: الخالق، البارئ، الظاهر، الباطن

أو على وزن المضارع بعد قلب حرف المضارعة ميما وكسر ما قبل الآخر.

1 ينظر: أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، د. محمود عبد الرازق الرضواني، ص111

1. **مُفْعِل**، مثل: المُؤْمِن

2. **مُتَفَاعِل**، مثل: المُتَعَالِي

3. **مُتَفَعِّل**، مثل: المُتَكبِّر

4. **مُفْتَعِل**، مثل: الْمُقْتَدِرُ

5. **مُفَيْعل،** مثل: المُهَيْمِن

ثانيا. صيغة المبالغة: وردت أسماء الله الحسنى على وزن صيغ المبالغة التي هي من الأفعال الثلاثية على الأوزان التالية:

1. **فَعَّال**، مثل: التواب، الغفار

2. **فَعُول**، مثل: الشكور والغفور

3. **فَعِيل**، مثل: الرحيم، العليم، العزيز، الحكيم

4. **فعلان**، مثل: الرحمن

وردت لصيغ المبالغة أوزان أخرى –اعتبرها الصرفيون القدماء غير قياسية– إلا أنها وردت بها أسماء الله الحسنى وهي:

4. **فيعول**، مثل: القَيُّوم

5. **فُعّول**، مثل: القُدُّوس

ويرى النحاة أن اسم الفاعل: هو الجاري مجرى الفعل في اللفظ والمعنى[1]، ويعمل عمل الفعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال[2].

---

1 الكتاب، سيبويه، ج1 ص164

2 مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تح: د. مازن المبارك، محمّد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6: 1985م، ج1 ص663

وليس القصد بقولهم: اسم الفاعل: اسم الصيغة، بل المراد اسم ما فعل الشيء.

اسم الفاعل اسم مشتق يدل على شيئين:

1. معنى مجرد عارض ليس بدائم ويسميه العلماء: الحدث.

2. فاعل هذا المعنى المجرد ويسميه العلماء: الذات.

وصيغة فاعل تحتمل في دلالتها على الحدث: القلة والكثرة، فإذا أريد الدلالة على كثرة الحدث (كمّاً أو كيفًا) حُوّلت فاعل إلى إحدى صيغ المبالغة، ومعنى هذا أنه عند صياغتنا اسم الفاعل فإننا نقصد شيئين:

المعنى المجرد وصاحبه، دون اهتمام ببيان درجة المعنى قوة أو ضعفاً وكثرة أو قلة.

وأما عند استخدامنا صيغة المبالغة فإننا نقصد إلى الأمرين معاً مزيداً عليهما بيان الدرجة كثرةً وقوةً.

ودلالة اسم الفاعل العارضة قد تكون في حق غير الله تعالى لصحة قيام الأفراد لنفس الحدث لكن في حق الله تعالى فإن دلالة الدوام ثابتة فقولنا (الخالق) مثلاً فالخلق من العدم لا يكون إلا من الله، أما غيره فيجوز أن يقال له: خالق على اعتبار إعادة تشكيله أو اعتماده على غيره، فيتخصص الخلق بصفته أو بصاحبه.

أما صيغة فعّال وفعول: فهما من صيغ المبالغة لاسم الفاعل وهذا يعني أن أصلهما اسم الفاعل لكن بولغ فيه. والمبالغة أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده وهي ضربان:

أ. مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حد الاستحالة ومنه: ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾[1].

---

1 سورة النور (24 : 35)

ب. ومبالغة بالصيغة: وصيغة المبالغة هي: فعلان كالرحمن، وفعيل كالرحيم، وفعَّال كالقهّار، وفعول كغفور، وفَعِل كحذر[1].

وصيغ المبالغة تشتق من الفعل الثلاثي المتعدي فقط لتدل على معنى اسم الفاعل مع المبالغة في المعنى وتأكيده وتقويته.

ومعنى المبالغة: تكرير أصل الفعل وتوكيده[2].

وكلام العلماء يفيد أن صيغة **فاعل** لا مبالغة فيها حتى إذا أردنا المبالغة تُحوَّل صيغة فاعل إلى فعّال أو فعول أو مفعال... الخ

وقد اجتمعت صيغة اسم الفاعل مع صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[3]، فجمع الله بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور، نفياً للمبالغة في الشكر وإثباتاً لها في الكفر، لأن شكر الله تعالى لا يُؤدَّى فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فقلَّ شكره لكثرة النعم عليه، وكثُر كفره وإن قلَّ مع الإحسان إليه[4].

أشار البيهقي (ت458 هـ) في سياق شرحه لمعاني الاسمين الغفور والغفَّار إلى معنى المبالغة في دلالة الصيغتين حيث يقول: «الغفار هو المبالغ في الستر فلا يشهر الذنب في الدنيا، ولا في الآخرة[5]. والغفور هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده ويزيد عفوه على مؤاخذته»[6].

---

1 إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ص273-274

2 شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شرح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص94

3 سورة الإنسان (76 : 03)

4 ينظر: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6 ص164

5 الأسماء والصفات، أبو بكر البيهقي، ج1ص103

6 المرجع السابق، ج1ص105

قال الزجاجي (ت340 هـ): «وغفور من أبنية المبالغة؛ لأنه يفعل ذلك بعباده مرة بعد أخرى إلى ما لا يحصى، وليست من أوصاف المبالغة في الذات، وإنما هي أوصاف المبالغة في الفعل، لأنه لا يقع المستر إلا بمستور ويغطى»[1].

وتظهر دلالة صيغ المبالغة ومقارنتها بدلالة اسم الفاعل عند شرحه لمعنى قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[2]، أي هو الذي يستر على المذنب ولا يؤاخذه به فيشهره ويفضحه عندئذ يظهر لنا أن صيغ المبالغة (فعول، فعَّال) تدل على الكثرة والمبالغة في الحدث لا تتوفر في صيغة فاعل.

مع هذا، فإننا نجد من يرى أن المبالغة وعدمها إنما تكون عند استعمال هذه الصيغ في حق الإنسان، فيقال صابر وصبور، وآكل وأكول، وأكَّال، فالمبالغة وزيادة المعنى في (فعول وفعَّال) واضحة، لكن عند استعمال هذه الصيغ في حق الله تعالى، فالأمر يختلف ولذلك قال الزركشيُّ (ت794 هـ): «إن المبالغة هنا إنما هي بالنسبة إلى تكثير التعلُّق، لا بالنسبة إلى تكثير الوصف»[3]، فاسمه (الغفار) مثلاً يعني الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى وكلما تكررت ذنوبهم تكررت مغفرته.

لكن إذا كان (فعول وفعّال) موضوعين للمبالغة فما وجه تكرارهما؟

يقول الزجاج (ت311 هـ): «وإنما جاز تكرارهما، وإن كانا بمعنى واحد وأنت لا تكاد تقول في الكلام: فلان تروك للفواحش، تراك لها، وصروف عن القبائح صراف عنها إلا لمعنيين: أحدهما: أن اختلاف الموضوعين يحسن من ذاك ما لا يحسن مع المجاورة، ألا تراهم أجمعوا على أن الإبطاء مع بعد الموضع، ليس هو مثله مع قرب الموضع.

والوجه الآخر: أن هذا يحسن في صفات الله تعالى وإن كان لا يحسن في أسامي المخلوقين وصفاتهم، لأنهم لم يبلغوا قط في صفة من الصفات المنتهى، والله تعالى

1 الجامع لأسماء الله الحسنى، ابن قيم الجوزية، القرطبي، ابن كثير، العلامة السعدي، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1: 1423هـ- 2002م، ص212

2 سورة غافر (40: 03)

3 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2 ص508

المتناهي في هذه الصفات التي يمدح بها، فيحسن فيه من ذلك ما لا يحسن في غيره»[1].
فالفروق بين الصيغ إذاً إنما هي من حيث تعلقها بالمذنبين وبالذنوب، وليست من حيث تعلقها بالله تعالى، وفرق بين الأمرين كبير.
ومن كل ما سبق فإن أسماء الله تعالى وإن كانت قد جاءت على صيغ تعارف عليها أهل اللغة أنها للمبالغة مثل: (فعّال وفعول) إلا أن أسماء الله تعالى وصفاته لا مبالغة فيها.
لكن ما السر في وضعها على هذه الصيغ؟

لعل السبب في ذلك أن العرب –وقد نزل القرآن بلغتهم– لَمّا ترسخ في عقولهم أن هذه الصيغ بلغت المنتهى في الدلالة، وأريد ترسيخ معنى أن صفات الله تعالى بالغة هذا الحد، وضعت هذه الصفات على تلك الصيغ لترتسم في قلوب المسلمين مدى ما وصلت إليه هذه الصفات، وأنها لا زيادة عليها.

تتحول الصيغ الصرفية للأسماء لتدل على معنى صيغة أخرى، ولتحويل الصيغ الصّرفيّة أغراض دلاليّة وجمالية تتمثّل في تقوية المعنى باستخدام صيغ تدلّ على التكثير، أو المبالغة أو القوّة بدلاً من صيغ أُخرى، قال الزركشي (ت708 هـ): «واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأن الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة».[2] ويتمثّل ذلك جليّاً في أسلوب المبالغة بصيغتي (فعول)، و(فاعل)، أو النسب بصيغة (فاعل)، كما أنّ له أغراضاً صوتية تتمثّل في تحقيق الهمزة وتخفيفها، وسنقتصر في هذا البحث على دراسة التحوّل في الصيغ من الجانب الصرّفي وما له علاقة بالجانب الدّلالي الجمالي والصوتي...
نجد في العربيّة أبنية كثيرة تُصاغ على هيئة مخصوصة للدلالة على معنى عام كليّ، كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، وغيرها من المشتقات، فهذه

1 تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الزجاج، ص46
2 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3ص34

كلّها لها أبنية محدّدة وصيغ ثابتة تُصاغُ عليها، إلاّ أنّنا نجد أحياناً بعض الكلمات تخرج عن قواعد صوغ الأبنية المعروفة في العربيّة، لأنهّا لا يُراد منها الدّلالة العامّة الموضوعة لها تلك الأبنية، وإنمّا يُقصد بها معانٍ مخصوصة ودلالات تنحصر في أمور معينّة تعارفوا عليها.

أولا. التّحوّل في صيغة الصفة المشبهة «فعيل»:

تشتق صيغة (فعيل) من مصادر الأفعال الثلاثية اللاّزمة المضمومة العين غالباً، للدّلالة على الصفة المشبّهة باسم الفاعل، لتدّل على الثبوت والدوام[1]، لكنّها قد تَرِدُ بمعنى (فاعل)، و(مَفْعول)، و(مُفعِل)، وذلك إذا قُصِدَ بـ(فاعل)، و(مفعول)، و(مُفعِل) الدّلالة على الثبوت والدّوام، وكذلك هو الحال في صيغة (فعيل)، فتُحوّلُ إلى صيغ أخرى، إذا قُصِدَ بها الحدوث لا الثبات.

1. تحوّل «فاعل» إلى «فعيل»:

صيغة «فاعل» من الصّفات الجارية الدّالّة على الحدوث والتّجدّد، فإذا أريد بها الدلالة على الثبوت حولت إلى صيغة «فعيل»[2]، فمن يريد الدّلالة على ثبوت الوصف ودوامه نصّاً فعليه أن يجيء بالصفة المشبهّة، ومن يُريد الدّلالة نصّاً على حدوثه وتقيّده بزمنٍ معيّن دون باقي الأزمنة، فعليه أن يجيء باسم الفاعل، وأنّه لابُدّ مع الإرادة من قرينة تبيّن نوع الدّلالة، أهي الثبوت والدّوام أم الحدوث؟[3]

1 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدّين عبد الله بن عقيل المصرّي، ج2، ص141

2 النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط15، ج3 ص242

3 ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ج3 ص307-308

وإن كانا بمعنىً واحدٍ، إلاّ أنّ العرب تستخدم (فاعلاً) في وجه و(فعيلاً) في وجه آخر للفرق بينهما[1]، فإذا أرادوا الحدوث استخدموا (فاعلاً)، وإذا أرادوا الثبات استخدموا (فعيلاً)، وهو قياس غير مقيد بسماع[2].

وفي أسماء الله الحسنى قد يأتي "فعيل" ويصحّ حمله على "فاعل"، من ذلك اسمه السميع فهو فعيل في معنى فاعل وقد تقدم في مثله القول والله تعالى سامع وسميع[3]، وكذلك العلي فعيل في معنى فاعل[4]، وأيضا الحفيظ فعيل في معنى فاعل، فالله حافظ وحفيظ كما قال الله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[5].[6]

2. تحوّل «مفعول» إلى «فعيل»:

قد يأتي (فعيل) بمعنى (مَفْعُول) وهو سماعي غير قياسي[7]، وإذا كان (فعيل)، بمعنى (مفعول)، استوى فيه المذّكر والمؤنث، فلا تلحقه هاء التأنيث، ويلتزم التذكير في الحالتين للتفريق بين ما له الفعل، وما الفعل وقع عليه، وكان ما هو (فاعل) أولى بثبوت الهاء فيه، لأنّه مبني على الفعل، والّذي هو (مفعول) أولى بالتذكير، لأنّه معدول عن بناء الفعل[8].

وقد علّل ابن خالوية (ت370 هـ) العدول عن صيغة (مفعول) إلى (فعيل)، تعليلاً صوتياً، لأن "الياء" أخفّ من "الواو"، فيقال: كفّ خضيب، ورجل جريح، وصريع،

1 تصحيح الفصيح، ابن درستويه، تح: عبد الله الجبوري، بغداد، 1975م، ج1 ص272-273.

2 ينظر: دراسات في العربيّة وتاريخها، محمّد الخضر حسين، ص61

3 تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، ص42

4 المرجع السابق، ص48

5 سورة يوسف (12: 64)

6 تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، ص48

7 شرح الكافية الشافية، محمّد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي الإسلامي مكة المكرمة، ط1، ج4 ص 1853

8 ينظر: المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1: 1417هـ-1996م ج05 ص104

والأصل: مخضوبة، ومدهونة، ومجروح، ومصروع، كلّ ذلك أصله "الواو"[1]، لأنّه (مفعول)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾[2] وكقوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾[3] فقال "رجيم" ولم يقل (مرجوم)، لأنّ الرجيم أبلغُ من المرجوم، لأن الصفة تلازمه في مثل هذه الصفة فضلاً عمّا فيها من خفّة.

ومن الباحثين مَنْ يرى أَنْ التّحوّل في هذه الصيغ إنّما هو لغرض دلاليّ، جماليّ، وذلك إذا أُريدَ به المبالغة في الوصف، لأنّ "فعيلاً" أبلغ من "مفعول" "فجريح" لا يُقال إلاّ لِمَنْ كان جرحه بليغاً، أما ما كان غير ذلك فيقال له مجروح، ثم إن فعيلاً يدلّ على ثبوت الصّفة في صاحبها، ولهذا كان الوصف بها أثبتَ من (مفعول)، وأقوى منه وأبلغ[4]. وهناك وهناك مَنْ يرى أن سبب هذا التحوّل صوتي يتمثّل في كون "الياء" أخفّ من "الواو" لما في الأخير من ضمّ للشفتين، وضغط على الهواء ليخرج الصّوت[5]، أمّا "الياء" فلا شيء من ذلك فيه، وهذا الرأي وإنْ كان مقبولاً، إلا أنّه ليس السبب الرئيس في هذا الضرب من التحويل، مع أنّه لا يصلح في جميع ما ذكر، ولكنّ المعنى يبقى له الأثر الكبير في التحوّل لما في صيغة "فعيل"، من دلالة على الثبوت والدوام، فإذا أُريد الثبوت جيء به على صيغة فعيل، ثم إنّ "فعيلاً" لا تقال إلا لمن اتصف بها، في حين أن صيغة مفعول

1 إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، منشورات دار الحكمة، حلبوني، دمشق، ص8

2 سورة آل عمران (03 : 36)

3 سورة الحجر (15 : 34)

4 معاني الأبنية في العربيّة، د. فاضل صالح السّامرائي، بيروت، 1981م، ص61-62

5 إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالوية، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، ص8

تقال له ولغيره، لدلالتها على الحال والاستقبال وغيره، فالذبيحة تختلف عن المذبوح، لأنّها تعني ما أعدّ للذبح، أما المذبوح، فهو ما ذُبِحَ فعلاً[1].

إنَّ النواة "فعيل" بمقياس علم الصرف يمكن أن تتوالد لتشكلّ "فاعل"، و"مفعول"، ولذلك فقد يأتي "فعيل" ويصحّ حمله على "فاعل" و"مفعول" في الوقت نفسه، إذْ يصحّ حمله عليهما معاً، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾[2] "فحفيظ" يصحّ أن يكون محفوظاً من الشياطين ومن أيّ تغيير وتحريف فيه ويصح أن يكون حافظاً لما أُودع فيه.

والحميد من أسمائه فعيل من الحمد وهو بمعنى محمود قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[3] وأكثر ما يأتي فعيل في أسمائه تعالى بمعنى فاعل كسميع وبصير وعليم وقدير وعلي وحكيم وحليم وهو كثير وكذلك فعول كغفور وشكور وصبور[4]. وقد يأتي فعيل بمعنى مفعل في مثل حكيم، أو بمعنى فاعل في رحيم بمعنى راحم.

ومثله كقوله تعالى: ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[5] "فحسير" يصحّ أن يكون يكون "حاسراً" و"محسوراً" ولكن آثر القرآن الكريم استخدام صيغة "فعيل" بدلاً منهما لما فيها من دلالةٍ على الثبوت والدوام والمبالغة في الوصف[6].

3. تحوّل «مُفْعِل» إلى «فعيل»:

تستخدم العربُ "فعيلاً" بمعنى "مُفْعلٍ"، إذا أرادوا الثبوت في الصفة، ومثله قول الشاعر عمرو بن معد يكرب (ت21 هـ):

---

1 معاني الأبنية في العربيّة، د. فاضل صالح السّامرائي، ص61-62

2 سورة ق (50 : 04)

3 سورة لقمان (31 : 12)

4 ينظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على مُحَمَّد خير الأنام، ابن قيم الجوزية، ج1 ص315

5 سوة الملك (67 : 04)

6 ظاهرة التحّويل في الصيغ الصّرفية، د. محمود سليمان ياقوت، الاسكندرية، 1986م، ص64

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدّاعي السّميعُ *** يُؤرّقُني وأَصْحَابي هُجُوع[1]

أي: الدّاعي المُسْمِعُ، أمّا قولهم: "أنا النَذِيُر العُرْيَانُ.."[2] فالنذير، بمعنى المُنْذِرُ، كالسميع، بمعنى "المُسْمِعُ" وقد جاء على صيغة "مُفعِل" في قول الشاعر:

أَنا المُنْذِرُ العُرْيَانُ يُنْبِذُ قَوْمَهُ *** إذا الصِّدقُ لا ينْبِذ لك الثّوب كاذبُ[3]

ولكنّهم في المثل لمّا أرادوا ثبوت الصّفة فيه جاؤوا بها على "فعيل" بدلاً من"مُفْعِل". وفي أسماء الله الحسنى بديع بمعنى مبدع، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4] أي: مُبْدِعُ السّماوات والأرض، فبديع "فعيل" لفظاً، ومعناه "مُفْعِل"، ولأنّها أشهر في الوصف وأمكن في تثبيته، فالحكيم هو المحكم لخلق الأشياء صرف عن مفعل إلى فعيل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[5]. فاسمه الحكيم فيه تحوّل من مفعل إلى فعيل فهو المحكم لخلق الأشياء وتهيئة الرسل وإرسالهم، صرف عن مفعل إلى فعيل.

ثانيا. التحول في صيغة «اسم الفاعل»:

تشتق صيغة فاعل من الفعل للدلالة على التجدد والحدوث، لكنها قد ترد بمعنى (مفعول)، (مفعل)، (أفعل)، (مفتعل)، (فعّال)، وذلك إذا أريد بهذه الصيغ الدلالة على الحدوث والتجدد.

1. تحوّل «مفعول» إلى «فاعل»:

1 الديوان، عمرو بن معد يكرب هاشم الطعان، بغداد، 1970م، ص136

2 مجمع الأمثال، أحمد بن محمّد أبو الفضل الميداني، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1955م، ج1 ص48

3 لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، "نذر" ج5 ص202

4 سورة البقرة (02 : 117)، سورة الأنعام (06 : 101)

5 سورة البقرة (02 : 129)

قد يأتي "فاعل" ويُراد به "مفعول" إذا أُريد المبالغة في الوصف كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[1] أي لا أحد مَعْصُومٌ من أمر الله، وكقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[2] فدافق، معناه: مدفوق، أي: مصبوب، فحوِّل "مفعول" إلى "فاعل" لأنّه أبلغ وأمكن في الوصف من "المفعول" فالدافق أَبلغُ "من المدفوق" فقد جعله كأنّه الفاعل، لأنّ العرب إذا أرادوا المبالغة في وصف الشيء جاؤوا بـ (فاعل) بدل مفعول ومنه قول الحطيئة[3] (ت45 هـ) في هجاء الزّبرقان بن بدر:

دَعِ المَكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبغيتِها *** واقْعُدْ فإنّك أَنْت الطّاعم الكاسي[4]

أي: المطعوم المكسّو، والراضية بمعنى المرضيّة، في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾[5] فراضية، نعت للعيشة، "فاعلة" ها هنا بمعنى "مفعولة"[6] ومعناه، في عيشةٍ مَرْضيةٍ، لأنّ أهلها يَرضَوْن بالعيش في دار الخلود، فالقوم راضُون العيش، مَرْضي.

وإنمّا يُعْدَل عن المفعول إلى الفاعل لغرض المبالغة في الوصف، فهم يقولون: سرّ كاتمٌ، وليل نائم، وعيشةٌ راضية، إذا أرادوا المبالغة في الكتمان، والسكون والرّضا، وقد علّل الفراء (ت207هـ) تحوّل (مفعول) إلى (فاعل) تعليلاً لهجيّاً بقوله: «إنّ أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يجعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب:

1 سورة هود (11 : 43)

2 سورة طارق (86 : 5-6)

3 جرول بن أوس بن مالك العبسيّ، أبو ملكية: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاء عنيفا، لم يكد يسلم من لسان أحد. وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذا تموت عيالي جوعا! له ديوان شعر.

4 ديوان الحطيئة، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 2005م، ص86

5 سورة القارعة (101 : 6-7)

6 الكشاف، الزمخشري، ج1 ص91، ج4 ص790-791

هذا سرٌّ كاتِمٌ، وهمٌّ ناصبٌ، وليل نائمٌ، وعيشة راضية»[1]، أي: مرضيّة، فأقيم الفاعل مقام المفعول، تقول العرب: سرٌّ كاتِم أي مكتوم. ومكان عامرٌ أي معمور. وفي القرآن: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[2] أي لا مَعصوم. وقال تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أي مدفوق. وقال: ﴿في عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي مَرضيَّة. وقال الله سبحانه: ﴿حَرَماً آمِناً﴾ أي مأمونا[3].

2. تحوّل «مُفْعِل» إلى «فاعل»:

وقد يكون التحوّل بين صيغ اسم الفاعل نفسها، فقد تستخدم صيغة (فاعل)، بدل صيغة "مُفْعِل"، وكلاهما اسم فاعل، إلاّ أنّ "فاعلاً" من الفعل الثلاثي، و"مُفْعِلاً" من غير الثلاثي، إنمّا عُدِلَ من (مُفْعِل) إلى (فاعل)، فتستخدم العرب الوحدة الصّرفية (فاعل) بدل صيغة (مُفْعِل)، لأنّها أشهر في الوصف وأمكن في تثبيته، كقول النابغة الذّبياني (ت605 م):

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيْمة ناصِبٍ *** وَلَيْلٍ أقاسيه بطِيء الكواكبِ[4]

فجعل "ناصباً" بمعنى "مُنْصِب"، لأنّه أبلغ في وصف الليل، ولو شاء لقال: "مُنْصِب" من غير أن يختلّ الوزن، لكنّه آثر "فاعلاً" على "مُفْعِل" لما فيه من وضوح الدّلالة على الوصف[5].

3. تحوّل «فاعل» إلى «أَفْعَل»:

---

1 معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمّد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1، ج3 ص255

2 سورة هود (11: 43)

3 ينظر: فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تح: عبد الرزاق المهدي، ص229

4 ديوان النّابغة الذّبياني، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ، ص13

5 تهذيب اللغة، أبو منصور محمّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تح: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1: 2001م، ج12 ص147

تتحوّل (فاعل) إلى (أفعل) إذا أُرِيدَ بها تأكيداً لمعنىً وتكثيره، كقوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ﴾[1]، أي: عَالمٌ بكم... وقد تأتي "أفعل" بمعنى (فعيل) كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾[2] أي: هَينٌ عليه، (فعيل). ومثله قول الفرزدق (ت110 هـ):

إنّ الّذي سمّك السّماء بَنَى لنا *** بَيْتاً دَعائمُه أَعزُّ وَأَطْوَلُ[3]

أي: عزيزة طويلة، فلمّا أراد الشاعر أن يبالغ في عزّ دعائم بيته وطولها، جاء بها على "أَفْعل" بدلاً من "فعيل"، وكذلك قولهم: "إنمّا المَرْءُ بأَصغَرَيْهِ"[4]. أي: صغيريه، قلبه ولسانه، ولكنّه لمّا أُرِيدَ المبالغة في صغر القلب واللسان بالنسبة لأعضاء الجسم الأخرى. جِيءَ به على "أَفْعل" لأنه أمكنُ في المبالغة والتكثير من (فعيل).

4. تحوّل «فَعيل» إلى «فَعِلٍ»، ومفعول إلى «مُفْتَعِل»:

وقد تتحوّل (فَعيل) إلى "فَعِلٍ" كقوله تعالى: ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ٨﴾[5]، وكقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾[6] عند إمعان النظر في في الآيتين الكريمتين السّابقتين نجد أنّ اللفظتين "عَسِر" و"مُسْتطِر" حسنتان لا ثقل بهما، ولا ينبو السّمع عَنهما[7]. ويتّضح ما توحي به الحركات من خفّةٍ في استخدام القرآن الكريم للفظة (عَسِرَ)، مكان (عسير)، واستعمال لفظة (مُسْتطِر) مكان لفظة (مسطور) فلو قيل: (عَسير)، و(مسطور) لنتج فيهما مدّان لا يريدهما سياق القرآن الكريم في صورة فواصل

1 سورة الإسراء (17 : 54)

2 سورة الروم (30 : 27)

3 ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة والنشر، 1404هـ، ج2 ص155

4 الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلاّم، دار المأمون للتراث، ط1: 1400هـ، ص98

5 سورة القمر (54 : 8)

6 سورة القمر (54 : 53)

7 ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ج1 ص192

تتمتّع بخفّة الحركات وتواليها، فالقرآن الكريم هو الكلام البليغ المعجزة بلاغته، ولبلاغته فنون منها اختيار كلمات، وتحوّل وحداتٍ تحدث أصواتها وقعاً يفيد البيان أو التأكيد.

5. تحول «فاعل» إلى «مفُتعِلٍ»:

قد تتحوّل الوحدة الصّرفية (فاعل) إلى (مفُتعِلٍ)، وذلك كقوله تعالى: ﴿...فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ۝٤٢﴾[1] يرى الزمخشري (ت538هـ) أنّ "اقْتَدَرَ " أقوى من "قَدَرَ" و"مُقْتَدِر" ها هنا أبلغُ وأمكنُ من (قادرٍ)، وإنمّا عُدل إليه للدلالة على بسطة القدرة، فإنّ "المُقتدِرَ" و"قادراً" اسم فاعل من "اقتدر" و"قَدَرَ"، ولا شكّ أنّ "افتعل" أبلغ وأمكن من "فَعَلَ"[2].

ذكر ابن الأثير (ت629 هـ) أن اللفظ إذا نُقِلَ من وزنٍ إلى وزنٍ آخر أكثر منه، تضمّن معنىً أكثر ممّا تضمّنه أوّلاً، لأن إبانةً الألفاظ لإبانة المعنى، كما أنّ في (مُقْتَدِرٍ) زيادةً ليس في "قادر"، ومن ثّم عُدِلَ من "قَدَرَ" إلى "اقْتَدَرَ" لدّلالة الأمر على التفخيم وشدّة الأخذ أَوْ على بسطة القدرة.

وذكر الزركشي (ت794هـ) ولا شكّ أنّ لفظ "مُقْتَدِر" معنىً أنه قادر متمكنّ القدرة لا يردّه شيء على اقتضاء قدرته، ويسمّى هذا: "قوّة اللفظ لقوّة المعنى.."[3] وعليه قول أبي نواس (ت338 هـ):

فَعَفوتَ عنّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ *** حلّت له نِقمٌ فألغاها[4]

أي: عفو قادر متمكّن القدرة لا يردّه شيء عن إمضاء قدرته.

6. تحوّل «فاعل» إلى «فَعّال»:

---

1 سورة القمر (54 : 42)

2 الكشاف، الزمخشري ج2 ص725- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ج2 ص197

3 ينظر: البرهان في علوم القرآن الكريم، بدر الدين الزركشي، تح: مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، ج3 ص34

4 ديوان أبي نواس، دار صادر بيروت، 1972م، ص684

قد تتحوّل الوحدة الصّرفية (فاعل) إلى(فعّال) كقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾[1]، أي الذي يتكرر له دائماً محو الذنب عيناً وأثراً[2]، فقد أراد الله عزّ وجلّ العدول من (غافرٍ) إلى "غفّارٍ"، لأنّ "غفّاراً" أبلغ وأمكنُ من "غافرٍ"، فتبيّن أَنّ السياق ومتطلبات المقام تقتضي تحوّل الوحدة الصّرفية لتحقيق أغراضٍ بلاغية ودلالية وأسلوبيّة تناسب نسق الآية الكريمة وبداعة سَبْكها، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾[3]، إن المتصفح للمعاجم العربيّة كُلها لن يجد ألفاظاً أنسب من الألفاظ: "حلاّف، وهمّاز، ومشّاء، ومنّاع" التي اختارها السّياق القرآني الكريم لمشهد الإنسان الحلاّف الهمّاز، النمّام، المنّاع للخير بكل وجوهه، فلو قيل: حالف، هامز، ماشٍ، مانعٍ.. لخرجت عن دلالة الكثرة والمبالغة ومستوى بلاغة التعبير والإيحاء ولخفّ الجرسُ، ولضاعَ الأثر المنشود، ولتوارت الصّورة المطلوبة التي رسمتها ألفاظ الوحدات الصّرفية، واستقلت برسمها. ومعنى ذلك أن اختيار اللفظة مُهّم في التناسق الرّفيع، فيرسم جرسها في النفس إيقاعاً عميقاً يوحي بجوّ الفكرة.

1 سورة نوح (71 : 10)

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، ج17 ص77

3 سورة القلم (68 : 10-12)

المبحث الثاني

الترادف وكلمات الأسماء الحسنى

❖ الكلمات القرآنية بين التقارب والتباين:

إن ثراء اللغة العربية من الناحية المعجمية، وكثرة المفردات التي تعبر عن معان متقاربة، حتى صار ما يسمى بأسر الألفاظ اللغوية من أفعال وأسماء وتراكيب، وتشتمل الأسرة الواحدة على المفردات التي تتقارب معانيها وتتباين موادها اللغوية.

إن مسألة وجود الترادف بين الألفاظ من أصول مسائل فقه اللغة، وقد كتب فيما يتعلق بها من جهة اللغة ومن جهة تطبيقاتها على ألفاظ القرآن جمع من العلماء والباحثين، وهي من المباحث التي حظيت بدراسة وافرة من قِبل علماء اللغة والأصول[1]. حيث اختلفت آراؤهم بين إثبات الترادف أو إنكاره، فمنهم من يثبت وجود الترادف في القرآن الكريم، ومنهم من ينفي وجوده، وتؤكد بنت الشاطئ (ت1419 هـ) أن في المسألة مسلكين متغايرين:

- منها ما يذهب إلى وجود الترادف فيجمع للمعنى أو الشيء الواحد ألفاظاً ذات عدد، دون إشارة إلى كونها لغات فيه.
- وهناك من كتب اللغة ما يميز دلالة خاصة لكل لفظ من الألفاظ التي تطلق على الشيء الواحد أو تتوارد على معنى من المعاني[2].

1 ينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، د. مُساعِدُ بن سُلَيْمَان بن نَاصِر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي، ط2: 1428هـ، ص117

2 الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف، ط3، ص211

وتقرر القاعدة الأصولية أن الترادف خلاف الأصل، فإذا دار اللفظ بين كونه مترادفا أو متباينا، فحمله على المتباين أولى[1]، لأن التباين هو الأصل إذ يفترض أن لكل معنى لفظا يقابله[2]، أو كما قال الآمدي (ت631 هـ): «أن الأصل عند تعدد الأسماء تعدد المسميات واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى الآخر»[3]. واشترط ابن القيم (ت751 هـ) لهذا أن يكون الواضع واحدا، إذ قال في قاعدته الدقيقة: «ما من اسمين لمسمًى واحد إلا وبينهما فرق في صفة أو نسبة أو إضافة، سواء علمت لنا أو لم تعلم»[4]، هذا القول يؤكده الدرس الدلالي الحديث من خلال هذا التعليل: «... وما دامت الكلمات مختلفة صوتيا، فلا بد أن تكون معانيها مختلفة كذلك...»[5].

والألفاظ المترادفة هي الألفاظ الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، وأنَّ كل لفظ يفيد ما أفاده الآخر، كالإنسان والبشر، ورغم هذا التوافق في الدلالة، فإن بين المترادفات تباين يظهر من خلال الاختلاف في الصفات، كما في الإنسان والبشر فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان، أو الأنس، والثاني باعتبار أنه بادي البشرة[6].

والترادف هو: «تعدد الألفاظ للمعنى الواحد»[7]، أو بعبارة أخرى: «ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك»، وقيل: «هو الاتحاد في المفهوم»، أو هو «توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد»[8]. وإذا كان قليلا في الفصيح من الكلام فهو في القرآن نادر، يقول ابن تيمية (ت728 هـ): «فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في القرآن فإما نادر، وإما معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحدٍ يؤدي جميع معناه، بل

1 البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، ط1: 1414هـ، ج2 ص360

2 المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ج1ص319

3 الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن الآمدي، تح: عبد الرزاق عفيفي، ج1ص23

4 روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ، ص54

5 المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ، ج2 ص18

6 ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج1 ص316

7 الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، ص210

8 التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص56، 199

يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن»[1]، من ذلك: العمل والفعل، ففي الأول امتداد زمني، وفي الثاني سرعة، قال تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: ثابروا على عملها، وقال: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ أي: استبقوا إليه بالمسارعة.

وكذلك: القعود والجلوس، فالأول فيه طول مكث، والثاني فيه قصر، قال تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ وقال: ﴿تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾، وبين «التمام» و«الكمال»، فرق بينهما بأن التمام زوال نقصان الأصل، والكمال زوال نقصان العوارض بعد تمام الأصل، وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[2] وقال: ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ﴾[3]، لأن العدد قد تم، ووصفه بالكمال لنفي احتمال النقص النقص في صفاتها. وقيل: التمام لما حصل فيه نقص قبل التمام، والكمال لا يشعر بذلك، وقال العسكري: الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف؛ ولهذا يقال: القافية تمام البيت، ولا يقال: كماله، ويقولون: البيت بكماله أي: باجتماعه»[4].

وقد اجتمعت اللفظتين في الآية ﴿اليَومَ أَكۡمَلۡتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾، والعطف يقتضي المغايرة[5]، وقد أنكر المبرّد عطف المترادفات، ومنع عطف الشيء على مثله، إذ لا فائدة فيه، وأول ما سبق باختلاف المعنيين ولعله ممن ينكر الترادف أصلا في اللغة، كالعسكري وغيره[6].

---

1 مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، ج13 ص341

2 سورة المائدة (05 : 03)

3 سورة البقرة (02 : 196)

4 الأصلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط4: 1417هـ، 387-388

5 البرهان في علو م القرآن، بدر الدين الزركشي، ج4 ص84 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي، ج9 ص148

6 ينظر: البرهان في علو م القرآن، بدر الدين الزركشي، ج2 ص476

إذ القاعدة أن الشيء لا يعطف على نفسه، لأن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل لأنك إذا قلت: «قام زيد وعمرو»، فهي بمعنى: قام زيد وقام عمرو والثاني غير الأول[1]، وقد عدَّ ابن تيمية (ت728 هـ) تعليل عطف المترادفات باختلاف اللفظ فقط غلطا، وأن مثل هذا لا يجيء في القرآن الكريم ولا في الكلام الفصيح وقال: وغاية ما يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ[2].

ومن الأسباب التي قادت الباحثين إلى القول بعدم الترادف أو إقرار التباين، اختلاف الألفاظ الدالة على ذات واحدة، فإن من الألفاظ ما يدل على ذات واحدة باعتبار تباين صفاتها، أي : أن يتفق اللفظان في الدلالة على معنى ويمتاز أحدهما بزيادة، كأسماء الرب تعالى، وأسماء كلامه، وأسماء نبيه وأسماء اليوم الآخر، فهذا مترادف بالنسبة إلى الذات، متباين بالنسبة إلى الصفات، فالرب والرحمن والعزيز والقدير والملك تدل على ذات واحدة باعتبار صفات متعددة... وكذلك القرآن والفرقان والكتاب والهدى، فهذه الألفاظ ليست مترادفة لاختصاص بعضها بمزيد معنى، ويقال بترادفها لاعتبار اتحادها في الدلالة على الذات، والإنصاف أنها قسم آخر قد سمي «الألفاظ المتكافئة» إذ تتفق في الدلالة على الذات وتختلف في الدلالة على الصفات[3].

والحاصل أنّ مَن جعلها مترادفة نظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن منع ترادفها نظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى، فهي تشبه المترادفة في الذات، والمتباينة في الصفات.

لكن القول بوجود الترادف في غير ذلك من كلمات اللغة العربية إنما هو على سبيل التسامح، أما ما يؤكده العلماء أنه لابد من وجود فروق لغوية –ولو طفيفة– بين كل لفظين، وإن كان مسماهما واحداً، حيث قالوا: «يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة

1 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1 ص58

2 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج7 ص177

3 ينظر: المصدر السابق، ج6 ص62-63

نحو: السيف والمهنّد والحسام، والذي نقوله في هذا إن الاسم واحدٌ وهو السيف وما بعده من الألقاب صفاتٌ، معناها غير معنى الأخرى، وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلاّ ومعناه غير معنى الآخر»[1].

يقول ابن الأثير (ت637 هـ) عند حديثه عن إمكانية تعويض لفظ بلفظ آخر برادفه: «وليس كل الألفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض»[2]. ولهذا فلو اعتمد في إثبات الترادف على طريقة قابلية الكلمات المترادفة للتبادل فيما بينها في السياقات اللغوية كلها، لتبين أن الترادف التام أو الكامل نادر جدا. والصحيح قيام كل من المترادفين مقام الآخر، إذا كانا من لغة واحدة، فحيث لا يصح ذلك يكون دليلا على عدم الترادف[3]، فالكلمتان اللتان تعتبرهما مترادفتين لا يوجد بينهما في الواقع إلّا منطقة مشتركة من المعنى ثم يستقل كلٌّ منهما بإقليمه الخاص خارج منطقة التداخل[4].

لذلك اشترط بعضهم قابلية التبادل فيما بين المترادفات في أي سياق، وهذا وإن كان نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، فمعظم المترادفات لا يمكن استعمالها في السياق الواحد أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينها، وفي الأخير سوف يتأكد لنا أن هذه الألفاظ لا يمكن التبادل بينها إلا في حدود ضيقة فقط، لأن الاستبدال عند الباقلاني (ت403 هـ) يؤدي إلى تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام أو ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، معللا ذلك بأن في الكلام ألفاظ متقاربة في المعاني، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كـ «العلم والمعرفة» و«الحمد والشكر»... لأن لكل

---

1 المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج1 ص317

2 المثل السائر، ابن الأثير، ج2ص277

3 الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، تح: حسن موسى الشاعر، دار البشير-عمان، ط1، 1410هـ، ص81-82

4 ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط5: 1427هـ، ص329

لفظة منها خصيصة تتميز بها من صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها[1].

1 بيان إعجاز القرآن (ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو سليمان حمد بن محمّد بن إبراهيم الخطابي، محمّد خلف الله، د. محمّد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3: 1976هـ، ص16

❖ أسماء الله الحسنى بين الترادف والتباين:

لقد تضمن القرآن ذكر الأسماء والصفات الإلهية التي أراد من عباده أن يعرفوها ويدعوه بها، ووجود الكثير من الأسماء الحسنى التي تتقارب معانيها مثل "الرحمن، الرحيم"، "الرحمن، الرؤوف"، "العفو، الغفور"، يدعو إلى التساؤلات: هل هذه الأسماء مترادفة؟ وهل يصح أن يحل اسم ما محل اسم آخر يقاربه في المعنى؟ ولماذا يختار السياق اسما دون اسم آخر؟ لذلك كان لزاما أن نتطرق لهذه الجزئية ونحاول دراسة ما ينطبق على أسماء الله بين إثبات الترادف أو نفيه.

يستدل الله سبحانه بأسمائه على توحيده ونفي الشرك عنه، ولو كانت أسماء لا معنى لها، لم تدل على ذلك، كقول هارون لعبدة العجل: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾[1]، وقوله سبحانه في القصة: ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾[2]. وقوله سبحانه في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3] فسبح، نزه نفسه عن شرك المشركين به عقب تمدحه بأسمائه الحسنى المقتضية لتوحيده واستحالة إثبات الشريك له.

---

1 سورة طه (20 : بعض الآية 90)

2 سورة طه (20 : 98)

3 سورة الحشر (59 : 22-23)

وأيضا فإن الله تعالى يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف والجار والمجرور وغيرهما ولو كانت أعلاما محضة لم يصح فيها ذلك كقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1] وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ مُّقۡتَدِرًا﴾[4]، ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴾[5] ونظائره كثيرة.

وأيضا فإنه سبحانه يجعل أسماءه دليلا على ما ينكره الجاحدون من صفات كماله كقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[6].

قال أبو هلال العسكري (ت395 هـ): « كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه»[7].

اختلف النظار من أهل العلم في الأسماء الحسنى هل هي متباينة نظرا إلى تباين معانيها، وأن كل اسم يدل على غير ما يدل عليه الآخر أم هي مترادفة لأنها تدل على ذات واحدة، فمدلولها لا تعدد فيه وهذا شأن المترادفات والنزاع لفظي في ذلك.

والتحقيق أن يقال هي مترادفة بالنظر إلى الذات، متباينة بالنظر إلى الصفات، وكل اسم منها يدل على الذات الموصوفة بتلك الصفة بالمطابقة وعلى أحدهما وحده بالتضمن وعلى الصفة الأخرى بالالتزام[8]. يقول ابن تيمية (ت728 هـ): «والإنصاف أنها –أي الأسماء المترادفة– متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات فهي

1 سورة الحجرات (49 : بعض الآية 16)
2 سورة الأحزاب (33 : 43)
3 سورة آل عمران (03 : بعض الآية 189)
4 سورة الكهف (18 : بعض الآية 45)
5 سورة الشورى (42 : بعض الآية 27)
6 سورة الملك (67: 14)
7 الفروق اللغوية، الإمام الأديب اللغوي أبو هلال العسكري، تح: مُحَمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص22
8 ينظر: جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، ج1 ص176-177

قسم آخر قد تسمى المتكافئة، وأسماء الله الحسنى وأسماء رسوله وكتابه من هذا النوع فإنك إذا قلت: أن الله عزيز حكيم، غفور رحيم، عليم قدير، فكلها دالة على الموصوف بهذه الصفات سبحانه وتعالى، كل اسم يدل على صفة تخصه، فهذا يدل على العزة، وهذا يدل على الحكمة، وهذا يدل على المغفرة، وهذا يدل على الرحمة، وهذا يدل على العلم، وهذا يدل على القدرة»[1]. ويؤكد أبوحامد الغزالي (ت505 هـ) هذا من خلال حديثه عن الأسامي المتقاربة المعنى وهل يجوز أن تكون مترادفة لا تدل إلا على معنى واحد، أو لا بد أن تختلف مفهوماتها: «الخائضون في شرح هذه الأسامي لم يتعرضوا لهذا الأمر، ولم يبعدوا أن يكون اسمان لا يدلان إلا على معنى واحد كالكبير والعظيم، والقادر والمقتدر، والخالق والبارئ والمصور، وهذا مما أستبعده غاية الاستبعاد مهما كان الاسمان من جملة التسعة والتسعين ؛ لأن الاسم لا يراد لحروفه بل لمعانيه، والأسامي المترادفة لا تختلف إلا حروفها، وإنما فضيلة هذه الأسامي لما تحتها من المعاني فإذا خلت عن المعنى لم يبق إلا الألفاظ، والمعنى إذا دل عليه بألْف اسم لم يكن له فضل على المعنى الذي يدل عليه باسم واحد، فيبعد أن يكمل هذا العدد المحصور بتكرير الألفاظ على معنى واحد بل الأشبه أن يكون تحت كل لفظ خصوص معنى فإذا رأينا لفظين متقاربين فلا بد فيه من أحد أمرين:

أحدهما. أن تتبين أن أحدهما خارج عن التسعة والتسعين. **والثاني** أن نتكلف إظهار مزية لأحد اللفظين على الآخر ببيان اشتماله على دلالة لا يدل عليها الآخر، مثاله: الغافر والغفور والغفار فهذه ثلاثة أسام فالغافر يدل على أصل المغفرة فقط، والغفور يدل على كثرة المغفرة بالإضافة إلى كثرة الذنوب حتى إن من لا يغفر إلا نوعا واحدا من الذنوب قد لا يقال له غفور، والغفار يشير إلى كثرة على سبيل التكرار أي يغفر الذنوب

1 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج20ص424

مرة بعد أخرى حتى إن من يغفر جميع الذنوب ولكن أول مرة ولا يغفر العائد إلى الذنب مرة بعد أخرى لم يستحق اسم الغفار.

وكذلك الغني والملك، فإن الغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء، والملك أيضا هو الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء، فيكون الملك مفيدا معنى الغنى وزيادة، وكذلك العليم والخبير فإن العليم يدل على العلم فقط والخبير يدل على علمه بالأمور الباطنة، وهذا القدر من التفاوت يخرج الأسامي عن أن تكون مترادفة، فإن عجزنا في بعض هذه الأسامي المتقاربة عن هذين المسلكين فينبغي أن نعتقد تفاوتا بين معنى اللفظين وإن عجزنا عن التنصيص على خصوص ما به الافتراق كالعظيم والكبير مثلا فإنه يصعب علينا أن نذكر وجه الفرق بين معنييهما في حق الله تعالى ولكنا لا نشك في أصل الافتراق[1].

ثم إن من مظاهر إعجاز القرآن الكريم أن الكلمة فيه تقع موقعها اللائق بها، فلا يمكن استبدالها بكلمة أخرى، وإلا أدى ذلك إلى اضطراب في الكلام، وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن القرآن في أعلى طبقات البلاغة، وعمود البلاغة كما يقول الزركشي (ت794 ه): « هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا بُدّل مكانه غيره جاء منه: إما تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك، ولأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها»[2]، وهذا يقودنا إلى نفي الترادف عن أسماء الله الحسنى.

---

1 ينظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ص40-41

2 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2ص104-105

والحديث عن اختيار الكلمة القرآنية ملاحظ بوضوح في كلام العلماء حيث يرون أن القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة، فالأمير الخفاجي (ت466 هـ) يجعل اختيار الكلمة نفسها دعامة من دعامات الفصاحة[1]. ويقول القاضي ابن عطية (ت546 هـ): «إن كتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، ونحن يتبيّن لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهه في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذوق، وجودة القريحة»[2].

1 سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص84

2 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ج1ص52

❖ نفي الترادف عن الأسماء الحسنى:

لكل لفظ في اللغة العربية معنى خاص به يميّزه عن غيره من الألفاظ، فهناك فروق بين الكلمات، هذه الفروق هي التي جعلت لكل كلمة موقعها الذي لا يناسبه غيرها، وهذا ما يؤدي إلى نفي الترادف، وقد تحدث عن هذا العلماء قديماً وحديثاً، وبينوا أن غياب تلك الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة أدى إلى عدها مترادفة، لكن كتّاب العربية في العصور الزاهرة يحرصون على دقة التعبير ووضع الألفاظ في مواضعها تأسيا بالقرآن الكريم: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1] ولا يَكون مُبِينا إلا باختيار اللفظ المناسب الذي لا يحمل أي لبس مع غيره من الألفاظ، وإذا تم نفي الترادف في اللغة العربية فإن نفيه في القرآن آكد كما أشار إلى ذلك ابن تيمية (ت728 هـ) في مجموع الفتاوى: « فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في القرآن فإما نادر، وإما معدوم»[2]، والمقصود هو أنه لا يمكن أن يكون معنى الكلمة هو عين معنى الأخرى بدون زيادة، قد يرد أن معنى الكلمة هو عين معنى الأخرى تقريراً أو إيضاحاً، لكن هذا لا يمنع أن يكون لها في نفسها معنى تستقل به، وعلى هذا، فلا يقال مثلاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[3] إن (عفو) و(غفور) بمعنى واحد، وجاء اسم (الغفور) لتوكيد (العفو) دون زيادة معنى، فلا بد من زيادة فائدة. قال أبو السعود (ت982 هـ) تعقيبا على هذه الآية في سياق الحديث عن رخصة التيمم: «تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن مَن عادته المستمرة أن يعفو عن الخاطئين ويغفر

1 سورة الشعراء (26 : 193-195)

2 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج13ص341

3 سورة النساء (04: بعض الآية 43)

للمذنبين لا بد أن يكون ميسرا لا معسرا، وقيل هو كناية عنهما فإن الترفيه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران»[1].

إن المدقق بعمق في أسماء الله الحسنى ودلالتها على معاني الكمال يجد أنه لا يوجد اسمان يتطابقان دلاليا سواء جاء الاختلاف من المعنى المعجمي للاسم حيث يختلف الاسمان في الجذر ويتقارب معناهما فيُظن ترادفهما، أو جاء الاختلاف من المعنى الصرفي حين يتفق الاسمان في الجذر فيُظن تكرارهما[2].

فمن النوع الأول –الاختلاف في المعنى المعجمي– التمييز الدلالي بين اسم الله الحميد واسمه الشكور، فكلاهما اسمان لله عز وجل مختلفان في الجذر متقاربان في المعنى لكن لا يتطابقان، وقد جمع النبي ﷺ بين الحمد والشكر في موضع واحد بأداة العطف، والأصل في العطف اقتضاء المغايرة كما ورد عند أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمِدَ اللهَ وَشَكَرَ، وَإِنَّ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَمِدَ اللهِ وَصَبَرَ »[3]، قال أبو هلال العسكري (ت395 هـ): «يعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ»[4].

وقد ذكر في الفرق بينهما: أن الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم ولا يصح إلا على النعمة، أما الحمد فهو الذكر الجميل على جهة التعظيم ويصح على النعمة وغير النعمة[5].

1 تفسير أبي السعود، ج2ص181

2 أسما الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، د. محمود عبد الرازق الرضواني، ص108-109

3 مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3: 1985م، ج1ص543

4 الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص22

5 ينظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص301

فإذا اتفقت في الدلالة على معنى مشترك، فإن ما يفرق بينها هو إما اختلاف الصيغة أو اختلاف أصل الاشتقاق، فـ«الرحمن، الودود، الرؤوف»، أسماء تتفق في الدلالة على الرفق والرحمة، لكنها تختلف في الصيغة، فالرحمن صيغة مبالغة على وزن «فعلان» مشتقة من «رحم»، والودود صيغة مبالغة على وزن «فعول» مشتقة من ودّ، والرؤوف صيغة مبالغة على وزن «فعول» مشتقة من الفعل «رأف».

هذا الاختلاف، جعل كل اسم ينفرد بدلالة ليست في غيره، ففي الرؤوف إشارة إلى شدة الرفق، قال أبو حامد الغزالي (ت505 هـ): «ذو الرأفة والرأفة شدة الرحمة فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة فيه»[1]. وإذا تعلق وده ورحمته بجميع خلقه، بغض النظر عن طبيعة المرحوم، وإنعامه عليهم على سبيل الابتداء اختير اسم الودود، «فهو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم، وإنعامه على سبيل الابتداء من نتائج الود»[2]، أما الرحمن فهو اسم يدل على الرحمة التي تعم جميع خلقه وتشمل جميع حوائجهم، فهو «اسم مشتق من الرحمة، والرحمة تامة وعامة، فالتامة إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم عناية بهم والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق ورحمة الله عز وجل تامة وعامة»[3].

وأما النوع الثاني وهو مجيء الاختلاف من المعنى الصرفي، فإنما يتلمس حين يتفق الاسمان في الجذر ويختلفان في الوزن؛ فينفي احتمال الترادف بينهما أو ثبات المعنى للاسم ذاته اختلاف معنى الصيغة في كل اسم، واشتقاقه من فعلين يختلفان في التجرد والزيادة.

1 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد مُحَّد بن مُحَّد الغزالي الطوسي، ص140

2 المصدر السابق، ص122

3 المصدر السابق، ص62

مثل ما نتج عن اختلاف الوزن عن طريق اشتقاق الاسم من فعلين مزيدين يختلفان في نوع الزيادة مما جعل كلا منهما يكتسب معناه الصرفي من معنى فعله المزيد، كالقادر والقدير والمقتدر من فعل وافتعل، قدر واقتدر، فالمقتدر سبحانه هو الذي يقدِّر الأشياء بعلمه وينفذها بقدرته، فهو يجمع دلالة اسم الله القادر والقدير معا، واسم الله القادر هو الذي يقدر المقادير في علمه، وعلمه المرتبة الأولى من قضائه وقدره، والله سبحانه وتعالى قدر كل شيء قبل تصنيعه وتكوينه، ونظم أمور الخلق قبل إيجاده وإمداده، فالقادر يدل على التقدير في المرتبة الأولى، والقدير يدل على القدرة وتنفيذ المقدر في المرتبة الرابعة من مراتب القدر، فالقدير هو الذي يخلق وفق سابق التقدير، والقدر بدايته في التقدير ونهايته في القدرة وتحقيق المقدر، أما المقتدر فيجمع وسطية الدلالة مع المبالغة وهذا ما دل عليه معناه في اللغة، حيث جمع في دلالته بين اسم الله القادر والقدير معا فهو أبلغ منهما في الدلالة والوصف[1].

ومثلها الأسماء: «الغافر، الغفار، الغفور» تدل على ذات الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن نعتبر أن أحد هذه الأسماء أدل على الذات من الآخر.

واختلاف هذه الأسماء في الصيغة يزيد من درجة التباين بينها، فصيغة اسم فاعل «غافر» تدل على من قام بالفعل، وهو معنى مجرد، وتختلف عن صيغة المبالغة في الدلالة على القلة، أما إذا أريد الدلالة على الكثرة جيء بصيغة المبالغة «غفور وغفار»، يضاف إلى ذلك أن صيغتي «فعول وفعّال» من صيغ المبالغة لاسم الفاعل وهذا يعني أن أصلهما اسم الفاعل لكن بولغ فيه.

وكذلك ورد من أسماء الله تعالى ما هو مأخوذ من فِعْل على وزن تفاعل وله نظير من الجذر الثلاثي المجرد وهو العلي والأعلى والمتعال، فالعلي الذي يتصف بعلو الفوقية،

1 ينظر: أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، محمود عبد الرازق الرضواني، ص393

والأعلى الذي يتصف بعلو الشأن، أما المتعال فهو الذي يتصف بعلو الشأن على سبيل المبالغة والإطلاق.

وأيضا ورد من أسماء الله ما هو مأخوذ من فِعْلٍ على وزن تفعَّل وله نظير من الفعل الثلاثي المجرد وهما الكبير والمتكبر، ذكر البيهقي أن التاء في المتكبر هي تاء التفرد والتخصيص بالكبر لا تاء التعاطي والتكلف[1].

ومن التنوع الدلالي لأسماء الله الحسنى أيضا الفرق بين معاني الصيغ داخل المشتق الواحد، حيث يثير تعدد الصيغ في كل من الصفة المشبهة وصيغ المبالغة سؤالا هاما وهو: هل معانيها كلها واحدة أو هناك فروق بينها؟

إن الحديث عن نفي الترادف يستلزم في حال اتحاد المعنى المعجمي عدم الاتحاد في المعنى الصرفي أو معنى الصيغة، ويؤكد هذا الاتجاه تنوع الاستعمال القرآني وعدم استخدامه وزنا معينا من أوزان النوع الواحد تبعا للمعنى المراد إبرازه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، مع قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ٦٦﴾[3]، فماذا يمكن أن يلحظ من فروق بين أوزان الصفة المشبهة؟ أو بين أوزان صيغ المبالغة؟

على الرغم من دقة الإجابة عن هذا السؤال إلا أنه يمكن تلمس هذه الفروق فبالنسبة للصفة المشبهة فالملحظ الأساسي عنها أن اختلاف أوزانها يعكس تفاوتا في درجة دلالتها على الثبوت والدوام من ناحية، كما يعكس اختلاف الدلالة الصرفية لأفعالها من ناحية أخرى، فوزن فعلان على سبيل المثال يفيد ثبوت الصفة ولكن بشكل أقل، ولكن لا يبلغ في تجدده ووقوعه مبلغ اسم الفاعل، لأن زواله بطيء مثل شبعان وظمآن وغضبان

1 ينظر: الأسماء والصفات، أبوبكر البيهقي، ج1ص132
2 سورة البقرة (02: 173)
3 سورة ص (38: 66)

وريان، ولكنه يعوض هذا بدلالته على معنى الامتلاء أو ضده، وهذا بخلاف وزن فعيل الذي يفيد ثبوت الصفة بقدر كبير من الدوام والاستمرار نحو طويل وقصير ودميم وعقيم، أو على وجه قريب من ذلك نحو نحيف وسمين، أما وزن فَعِل فيرتبط عادة بالصفات الداخلية تبعا لفعله، مثل فرح وطرب وقلق.

وأما بالنسبة لصيغ المبالغة فعلى الرغم من دلالتها جميعا على كثرة المعنى كمًّا وكيْفا من ناحية واشتقاقها من الأفعال المتعدية عادة من ناحية أخرى؛ فإنه يفرق بينها لغويا بعدة أشياء، منها اختلافها في درجة القوة تبعا لاختلاف أبنيتها على حد قولهم: «إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى»، فوزن فعَّال مثلا أو فَعُّول أو فُعُّول أدل على المبالغة من فَعُول أو فعيل وهما أدل على المبالغة من فعِل، ومنها تميز وزن فعَّال بارتباطه بمعنى التكرار والوقوع وقتا بعد وقت، ومنها تميز وزن فعيل بكثرة استخدامه للمبالغة في الصفات الدالة على الثبوت، فعليم يدل على أنه لكثرة علمه وتبحره فيه أصبح له طبيعة ثابتة وسجية ملازمة[1]، قال أبو هلال العسكري (ت395 هـ): « إذا كان الرجل قويا على الفعل قيل فَعول مثل صبور وشكور، وإذا فعل الفعل وقتا بعد وقت قيل فعّال مثل علاّم وصبّار، وإذا كان عادة له قيل مفعال مثل معوان ومعطاء.. ومن لا يتحقق المعاني يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط، وليس الأمر كذلك، بل هي مع إفادتها المبالغة تفيد المعاني التي ذكرناها»[2].

وما يؤكد التباين بين هذه الأسماء، ورودها في سياقات مختلفة حيث لا يمكن لاسم أن ينوب عن غيره حتى وإن اتفقا في أصل الدلالة، ولهذا كان للسياق الأثر البالغ في تحديد الفوارق المعنوية بين الأسماء التي تبدو مترادفة، هذا ما قرره عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ): «أنَّ الألفاظ لا تتفاضَل من حيث هي ألفاظ مجرَّدة، ولا من حيث هي كلِم

1 ينظر: أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، د. محمود عبد الرازق الرضواني، ص110-111

2 الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص26

مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلُّق له بصريح اللفظ»[1].

□

1 دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3: 1413هـ، ص46

المبحث الثالث

الفاصلة القرآنية والأسماء الحسنى

❖ الفاصلة في القرآن الكريم:

من أساليب القرآن وتراكيبه، فواصله (رؤوس الآيات) والفواصل: جمع فاصلة، والفاصلة في القرآن: هي آخر كلمة في الآية كقافية الشعر وقرينة السجع[1]، أي هي بمثابة السجعة في النثر، وبمنزلة القافية في النظم، وسميت فاصلة لأنها فصلت بين الآيتين، الآية التي هي رأسها، والآية التي بعدها.

الفاصلة (لغة): لمادة «فَصَلَ» في اللغة العربية أصل واحد تلتقي عليه الاستخدامات المختلفة لهذه المادة، وهو: البَون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد: موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل، مثل ذلك: الحاجز بين الشيئين، والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصّل النظم، وعقد مفصّل، أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، ومثله: الفصل القضاء بين الحق والباطل، ومنها: التفصيل: التبيين، ومنها: الفصل واحد الفُصول: أي القِطع. والفاصلة في علامات الترقيم العلامة التي تُوضع بين الجمل التي يتركب منها كلامٌ تامّ الفائدة[2].

الفاصلة (اصطلاحاً): استخدمت الفاصلة اصطلاحاً في عدد من علوم العربية: في النحو، وفي العروض، وفي علامات الترقيم، والفاصلة القرآنية يرتبط استخدامها بعلوم القرآن.

---

1 ينظر الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج3 ص332

2 ينظر مادة فصل: في لسان العرب، ومعجم مقاييس اللغة

والمقصود بها: فاصلة الآية تطلق على الجملة أو الكلمة الأخيرة منها، ولعلها مأخوذة من قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾[1]، وربما سميت بذلك؛ لأن بها يتم بيان المعنى، ويزداد وضوحه جلاء وقوة، وهذا لأن التفصيل فيه توضيح وجلاء وبيان، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ﴾[2].[3]

وهي سر من أسرار القرآن الكريم، وهي قرينة القافية في الشعر، واللازمة في السجع، مع الفارق حيث إن الفاصلة في القرآن لا تقصد لذاتها، وإنما تتبع المعاني، بينما نظائرها في كلام الناس تقصد لذاتها، ويتوقف عليها المعنى، وعلى ذلك فالفاصلة بلاغة، ونظائرها عجز ونقص[4].

قال الزركشيُّ (ت794 هـ): «من المواضع التي يُتأكّد فيها إيقاع المناسبة: مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بدّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أوّلا، وإلاّ خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصلُ القرآن العظيم لا تخرُج عن ذلك، لكن منْه ما يظهر، ومنْه ما يُستخرَج بالتّأمّل للّبيب»[5]. والفواصل: أواخر الآيِ[6].

قال القاضي أبوبكر (ت453 هـ): «إن الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني»[7]، إذن الفواصل هي أواخر كلمات الآي، كالقافية آخر كلمات البيت، وكالسجعة في الكلام المسجوع.

1 سورة فصلت (41 : 03)
2 سورة فصلت (41 : 44)
3 من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص64
4 ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ص235
5 البرهان في علوم القرآن، الزركشي ج1 ص78
6 المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، ص381
7 البرهان في علوم القرآن، الزركشي ج1 ص53

ونظام «الفواصل» القرآنية، يعتمد على «التنويع» فهي لا تأتي على نسق واحد، فمنها الطويلة، والمتوسطة، ومنها القصيرة، كما أن رويّها يختلف في السور القرآنية وحتى في السورة الواحدة غالبا، لتبتعد الفاصلة القرآنية عن مظنّة السجع المعتمد على النظام الموحّد في حركة حرفه الأخير[1].

وتنزل الفاصلة من آيتها، تكمل من معناها، ويتم بها النغم الموسيقى للآية، وتأتى الفاصلة في القرآن مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها، تعلقا تاما، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءا من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانه، وقد يشتد تمكن الفاصلة في مكانها، حتى لتوحي الآيات بها، قبل نطقها[2].

والفاصلة كلمة قرآنية، والكلمة القرآنية أساس الإعجاز البياني، ولا يظهر إعجاز الكلمة أو الفاصلة إلا عند اتصالها بباقي الكلمات في الآية، فإعجاز القرآن يظهر بنظم القرآن الكريم، لا بكلماته المفردة، وعليه فالفاصلة القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز بموقعها من الآية واتصالها بها، وباختيارها دون غيرها.

لم تأت الفاصلة القرآنية لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض، إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمله السياق، وتقتضيه الحكمة، ولا بأس أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع.

ولهذا كان النص القرآني قابلا للتلاوة، على طريقة الترتيل، وعلى طريقة الألحان والأوزان، ولم تكن قطعة من نثر فصحاء العرب أو غيرهم قابلة لذلك[3].

1 وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ص394

2 ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص65

3 مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمّد زرزور، دار القلم-دار الشاميه – دمشق- بيروت، ط2: 1419هـ، ص182

وقد ردّ سيد قطب (ت1385 هـ) هذه الظاهرة إلى أن القرآن الكريم جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا، «فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة، والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي، وضم ذلك إلى الخصائص التي ذكرناها، فنشأ النثر والنظم جميعا»[1].

لذلك تؤدي الفاصلة القرآنية وظيفتين: الوظيفة الرئيسة معنوية يحتملها السياق، ووظيفة أخرى لفظية تتصل بجمال الإيقاع، ولا يجوز أن نقول إن الفاصلة جاءت لتتفق مع رؤوس الآي الأخرى فقط دون الانتباه للغرض المعنوي، والغرض المعنوي للقرآن هو المعنى الذي تؤديه الفاصلة، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها[2].

ومن مزايا معاني الفواصل في القرآن الكريم شدة ارتباطها بما قبلها من الكلام، كأنهما معاً جملة واحدة، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها لتُتمِّم معناه، ولو حذفت لاختل معنى الكلام، واضطرب فهمه، أو بدّل بها غيرها لأدرك السامع الفطن أن كلاماً غريباً حلّ محلها، فأنكره، من ذلك أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾[3]، قرأها بفتح الكاف، فقال الأعرابي: لا يكون!! فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء، فقال: يكون[4].

وللفواصل وجهان كما تنقل ذلك د. عائشة بنت الشاطئ (ت1419 هـ) عن الرماني (ت384 هـ):

---

1 التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط16: 1423هـ، ص102-103

2 ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص239

3 سورة القمر (54 : 13-14)

4 البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج2ص327

أحدهما: فواصل في الحروف المتجانسة، كآيات: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾[1] وآيات: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾[2]. والآخر: فواصل في الحروف المتقاربة، كالميم والنون في مثل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[3] والدال والباء في مثل: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾[4]. فالعبرة عند الرماني بالمعنى، وإن لم يمتنع عنده أن يكون للجرس اللفظي وائتلاف الإيقاع حظه من التقدير[5].

ومن يقرأ كتاب الله عز وجل من أوله إلى آخره يجد أنه لم تخل سورة من سوره من الفواصل التي هي كالأسجاع حتى ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وسورة الكوثر وغيرها، وهذه الفواصل تجمع حسن النظم مع عذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وحسن الدلالة[6].

واتصال الفاصلة مع السياق قد يكون ظاهراً لا يحتاج إلى مزيد نظر، وقد يحتاج إلى تأمل وتفكّر ودراية بمعاني الكلمات الدقيقة، وهذه الدراية هي التي تبيّن تمكّن الفاصلة من موقعها وتنفي الترادف عن بعض الكلمات، فلا يُقال حينئذٍ: إن الآية لو خُتمت بـ(الرؤوف) بدلاً من (الرحيم) لا بأس، فالكلمتان تدلان على الرحمة.

---

1 سورة طه (20 : 01-03)

2 سورة الطور (52 : 01-04)

3 سورة الفاتحة (01 : 03-04)

4 سورة ق (50 : 01-02)

5 الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص240

6 ينظر: فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1: 1420هـ، ص59

❖ الأسماء الحسنى في الفاصلة القرآنية:

ترد الفاصلة في كثير من المواضع محققة انسجاما رائعا وسياق الآية، بل أن مضمون الآية هو الذي يحدد في كثير من الأحيان نوع الفاصلة ولفظها، وبقليل من التدبر يصل القارئ لكتاب الله إلى سر ختم آية ما بفاصلة من الفواصل، فالمتأمل للآيتين التاليتين: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[1]، يحتار في سبب ختم الآيتين بقوله: «أفلا تسمعون»، و«أفلا تبصرون»، لكن التأمل في سياق الآية يظهر أن هذا الختم كان في غاية الدقة والانسجام، « ولما كان الليل محل السكون ومجمع الحواس ، فهو امكن للسمع وأنفذ للفكر، قال : «أفلا تسمعون»، ولما كان الضياء مما ينفذ فيه البصر قال : «أفلا تبصرون»، وقد قيل: سلطان السمع في الليل، وسلطان البصر في النهار»[2].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام: تلك الفواصل المشتملة على وصف لله مركب من اسمين من أسمائه، أو صفتين من صفاته، مثل «غفور رحيم»، «عليم حكيم»، «عزيز حكيم» وهكذا، ومن أعظم وأبرز مظاهر الإبداع في هذا التركيب:

إثبات كمال الصفة لله بما يدفع توهم نقصانها أو طغيانها، فالعزيز– مثلا– وهو القوي الذي لا يغلبه غيره، قد تطغيه قوته، وأمان ذلك أن يكون القوى حكيما، فلا تدفعه

---

1 سورة القصص (28 : 71-72)

2 نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، ج5 ص514

قوته إلى ظلم أبدا، كما قال الله عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾[1].

الكثير من الآيات الكريمة خُتمت بأسماء الله الحسنى، حيث بلغت أكثر من خمسمائة آية، وهذه الأسماء الكريمة تلقي بظلالها على الآية التي ذكرت في ختامها، فتتصل اتصالاً وثيقاً معها، بحيث أنه لا يمكن استبدال الاسم باسم آخر، وإنْ كان يشترك معه في أصل المعنى، فمثلا (الغفور) لا يمكن استبداله بـ(الغفار) مع أن كليهما يدل على ستر الذنوب. قال الغزالي (ت505 هـ) في المقصد الأسنى: «هذه الأسامي، وإنْ كانت متقاربة المعاني فليست مترادفة، وعلى الجملة يبعد الترادف المحض في الأسماء الداخلة في التسعة والتسعين؛ لأن الأسامي لا تُراد لحروفها ومخارج أصواتها، بل لمفهوماتها ومعانيها، فهذا أصل لا بد من اعتقاده»[2]. ولا بدّ من البحث عن وجه الربط بين الاسم الكريم وبين ما سبقه، فالآية وحدة واحدة تترابط أجزاؤها وتنتظم انتظام الدرر في العقد.

فمنْ بلاغة القرآن: ختْمُ آيات الأحكام بما يُناسبها من أسماء الله، من ذلك ما ذكره الصنعاني (ت1242 هـ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[3] يدل قوله «سميع» على أن الطلاق يقع بقول يتعلق به السمع ولو كان يقع بمضي المدة لكفى قوله «عليم» لما عرف من بلاغة القرآن وأن فواصل الآيات تشير إلى ما دلت عليه الجملة السابقة[4].

---

1 سورة النساء (04 : 40)

2 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص42

3 سورة البقرة (02: 227)

4 سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، تح: محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4: 1379هـ، ج3ص185

ونقلَ السيوطيُّ عنْ أعرابيٍّ أنّه سمعَ قارئًا يقرأُ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[1] فاعلموا أنّ اللهَ غفورٌ رحيم، ولم يكنْ يقرأُ القرآنَ، فقالَ: إنْ كانَ هذا كلامَ الله فلا يقولُ كذا. الحكيم لا يَذْكُر الغفرانَ عندَ الزَّلَلِ لأنّه إغْراءٌ عليه[2]. فخَتْمُ الآيةِ بأحد أسماء الله الحسْنى مُشْعِرٌ بعلاقة بين هذا الاسم وبين مضمون الآية ينبغي للمفسِّر إظهارُه وبيانُ وجْهِه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] فإنْ قيل: لماذا ختمَ الآية بالقدرة من بعد قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ ؛ ولم يَخْتِمها بالرحمة ولا بالعقوبة كما هي العادة مع أغلب الآيات الأخرى؟

فالجواب: قال فخر الدين الرازي (ت606 هـ): وقد بيّن بقوله ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أنه كامل الملك والملكوت، وبين بقوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أنه كامل العلم والإحاطة، ثم بيّن بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أنه كامل القدرة مستول على كل الممكنات بالقهر والقدرة والتكوين والإعدام ولا كمال أعلى وأعظم من حصول الكمال في هذه الصفات والموصوف بهذه الكمالات يجب على كل عاقل أن يكون عبداً منقاداً له، خاضعاً لأوامره ونواهيه محترزاً عن سخطه

1 سورة البقرة (02: 209)

2 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3 ص271

3 سورة البقرة: 284

ونواهيه[1]. ويؤكد القرطبي (ت671 هـ) ذلك قائلا: تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب[2]. فالمحاسبة تكون بعد البعْث ؛ والبعْثُ يدلُّ على القدرة ؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[4]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾[5].

خَتَم الله الآية بقولـ: ﴿عَلِيماً حَكِيماً﴾ ؛ مع أنّ المتوقع أنْ يقول: تَوَّابًا رحيمًا، قال الطبري (ت310 هـ): ولم يزل الله جل ثناؤه عليما بالناس من عباده المنيبين إليه بالطاعة بعد إدبارهم عنه، المقبلين إليه بعد التولية وبغير ذلك من أمور خلقه، حكيم في توبته على من تاب منهم من معصيته وفي غير ذلك من تدبيره وتقديره ولا يدخل أفعاله خلل ولا يخلطه خطأ ولا زلل[6]. قال ابن عباس ﷺ: «علم ما في قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت»، وقيل في معنى الآية: «علم أنه إنما أتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأناب عن قريب»[7].

1 التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ج7ص111
2 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، ج3 ص66
3 سورة الأحقاف (46: 33)
4 سورة فصلت (41: 39)
5 سورة النساء (04: 17)
6 ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، ج4 ص302
7 تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، 1399هـ، ج1ص498

«الرحمن الرحيم» في الفاصلة القرآنية:

إن أنواع التراكيب التي يحدثها الاقتران بين الاسمين المزدوجين كثير في القرآن وختم الآيات بهذه الأسماء المزدوجة أكثر، ولا يمكن في هذا الموضع أن يتم التطرق إلى كل هذه الأنواع من التراكيب، ولذلك سيتم اختيار نموذج من هذه التراكيب ومحاولة بيان أسباب وأسرار هذه الفواصل المختومة باسمي الله «الرحمن الرحيم» كمثال وبيان وسبب اقترانهما في أواخر بعض الآيات.

يشترك اسما "الرحمن" و"الرحيم" في أصل المعنى وهو الدلالة على الإحسان والإنعام، إلا أن هناك فرقاً بين الاسمين؛ ذلك أنه لا ترادف بين الأسماء الحسنى[1]، وقد لاحظ ابن عباس رضي الله عنه هذا الفرق، حيث قال: «هما اسمان رفيقان، أحدهما أرفق من الآخر»[2]. وهذا ما وضحه الزمخشري (ت538 هـ) في الكشاف، قال: «في الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم، ولذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون: عن الزيادة في البناء لزيادة المعنى»[3]. ولا يطلق (الرحمن) إلا على الله تعالى، لا مطلقاً ولا مضافاً؛ إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، و(الرحيم) يُستعمل في غيره، وهو الذي كثُرت رحمته، وقيل: (الرحمن) عام، و(الرحيم) خاص، وقيل: (الرحمن) الذي الرحمة وصفه، و(الرحيم) الراحم لعباده، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾[4]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، ولم يجئ: رحمن بعباده، ولا رحمن بالمؤمنين، مع ما في

1 ينظر مبحث: الترادف في الأسماء الحسنى في المبحث السابق من نفس الفصل

2 الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج1 ص106

3 الكشاف، الزمخشري ، ج1 ص49-50

4 سورة الأحزاب (33: 43)

5 سورة التوبة (09 : 117)

اسم (الرحمن) الذي هو على زِنة فَعلان من السَّعة، ألا ترى أنهم يقولون: غضبان، للممتلئ غضباً، فبناء (فعلان) للسعة والشمول[1].

وعلى هذا يمكن القول إن «الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحومين، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم (ت751 هـ) حيث قال: « فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تُنافي اسميتُه وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم.

ولما كان هذا الاسم مختصا به تعالى حسن مجيئه مفردا غير تابع كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمة كاسم الله تعالى، فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجئ قط تابعا لغيره، بل متبوعا وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعا.

وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما وهو أن الرحمن دال على أن الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[3] ولم يجئ قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته»[4].

---

1 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، 1996م، ج1 ص33

2 سورة الأحزاب (33: 43)

3 سورة التوبة (09: 117)

4 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ج1 ص42

قال السهيلي[1] (ت581 هـ) عن اسم الرحمن: «وإن جرى مجرى الأعلام فهو وصف يراد به الثناء وكذلك الرحيم إلا أن الرحمن من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه، وفائدة الجمع بين الصفتين الرحمن والرحيم الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة وخاصة وعامة»[2].

وفيما يلي بعض الآيات التي اشتملت في فواصلها على هذين الاسمين مجتمعين:

1. ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3]

2. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[4]

3. ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5]

4. ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾[6]

5. ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[7]

6. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[8]

1. **الآيتان الأوليان:** من سورة الفاتحة وقد ختمت بـ «الرحمن الرحيم» تناسبا مع الفواصل الأخرى «رب العالمين»، «يوم الدين» «إياك نستعين»...

ذكرهما في البسملة تعليلا للابتداء باسمه عز وجل، وذكرهما في الآية الثالثة من الفاتحة تعليلا لاستحقاقه تعالى الحمد ؛ قاله الألوسي (ت1270 هـ). وقال الإمام فخر

1 حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. ولد في مالقة، وعمي وعمره 17 سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة)، من كتبه (الروض الأنف) في شرح السيرة النبوية لابن هشام، و(تفسير سورة يوسف) و(التعريف والأعلام في ما أبهم في القرآن من الاسماء والأعلام) و(الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين). و(نتائج الفكر)

2 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ج1 ص41

3 سورة الفاتحة (01: 01)

4 سورة الفاتحة (01: 03)

5 سورة البقرة (02: 163)

6 سورة النمل (27 : 30)

7 سورة فصلت (41 : 02)

8 سورة الحشر (59 : 22)

الدين الرازي (ت606 هـ) قدس سره في بيان حكمة التكرار: «التقدير كأنه قيل له: اذكر أني إله ورب مرة واحدة واذكر أني رحمن رحيم مرتين لتعلم أن العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الأمور»[1].

ويمكن أن نربط بينهما وبين ما جاء قبلهما، وهو لفظ الجلالة في البسملة، قال أبو السعود (ت982 هـ): فإن أريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين أو ما يفيض على الكل بعد الخروج إلى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وإن أريد ما يعم الكل في الأطوار كلها حسب ما في قوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فوجه الترتيب أن التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فإيرادهما في عقبها للإيذان بأنه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه، وبأنها واقعة على أحسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما أنه الأنسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والأوفق لمقاصده[2].

وفي سبب تقديم «الرحمن» على «الرحيم» مع كون القياس تأخيره رعاية لأسلوب الترقي إلى الأعلى، كما في قولهم: فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض، قال أبو السعود: لأنه باختصاصه به عز وجل (يعني اسم الرحمن) صار حقيقاً بأن يكون قريناً للاسم الجليل الخاص به تعالى؛ ولأن ما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها، وإفراد الوصفين الجليلين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة[3]. ويؤكد ابن كثير (ت774 هـ) على أن للمعنى أثره في تقديم الرحمن على الرحيم: والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك، فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم، لأن التسمية أولا إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ

1 روح المعاني، الألوسي، ج1 ص82

2 تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج1 ص15

3 المصدر السابق، ج1ص11

بالأخص فالأخص، فإن قيل: إذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا اكتفى به عن الرحيم، فقد روي عن عطاء الخراساني ما معناه: أنه لما تسمى غيره بالرحمن جيء بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى[1].

الآية الثالثة: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2]، تتناسب مع فواصل الآيات المجاورة قبلها وبعدها: «رب العرش العظيم» «من الكاذبين» «كتاب كريم» «مسلمين» «ماذا تأمرين»...

وما قيل في آيات الفاتحة، يقال في البسملة التي افتُتح بها كتاب سليمان عليه السلام إلى أهل سبأ: ويُضاف أنه عليه السلام بعد أن عرّفهم بصاحب الكتاب عرّفهم بالإله الذي دعاهم لعبادته لما وجب له لذاته، وما استحقه بصفاته؛ ليكون ذلك أجدر بقبول الكتاب[3].

الآية الرابعة: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]، تتناسب كذلك مع فواصل الآيات المجاورة لها: «أنا التواب الرحيم» «والناس أجمعين»...

ورد في تفسير السعدي (ت1376 هـ) ما يدل على سر ختم هذه الآية باسميه (الرحمن الرحيم) فقال: يخبر تعالى أنه إله واحد متوحد منفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فليس له شريك في ذاته، ولا كفو، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه لأنه (الرحمن الرحيم) المتصف بالرحمة العظيمة التي لا تماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء...فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة فمن الله وأن أحدا من المخلوقين لا

---

1 تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1: 1419هـ، ج1ص40

2 سورة النمل (27 : 30)

3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج5ص423

4 سورة البقرة (02: 163)

ينفع أحدا، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة[1]. وتكلم صاحب نظم الدرر عن وجه ارتباط هذه الفاصلة بالآية، فقال: فهذا تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته فلا يصح بوجه ولا يمكن في عقل أن يصلح للإلهية غيره أصلاً فلا يستحق العبادة إلا هو لأنه «الرحمن» أي العام الرحمة بالنعم الزائلة لأوليائه وأعدائه «الرحيم» أي المخصص بالنعم الباقية لأوليائه، فثبت بالتفرد بالألوهية أنه حائز بجميع العظمة وبيده مجامع الكبرياء والقهر، وبوصفي الرحمة أنه مفيض لجلائل النعم ودقائقها فكل ما سواه إما نعمة أو منعم عليه[2].

ويمكن إضافة وجه آخر في مناسبة الفاصلة للسياق، وهو مناسبة لفظية ومعنوية، فالرحمة هنا جاءت بعد ذكر التوحيد في مقابل اللعنة التي جاءت في الآية السابقة مقترنة بالكفر، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[3]، والرحمة ضد اللعنة التي هي لمن كفر ومات على الكفر، والرحمة لمن وحّد.

من هذه النظرة العميقة في معنى التوحيد، نجد أن صفة الرحمة جاءت مناسبة جداً لهذا المقام، بحيث إن أي صفة أخرى لن تسدّ مسدّها، فالرحمة تظهر في توحيد المعبود، وفي التشريعات التي شرّعها المعبود.

الآية الخامسة: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[4]، تتناسب مع فواصل الآيات المجاورة لها: «قوم يعلمون» «لا يسمعون» «وويل للمشركين» «رب العالمين»...

---

1 تفسير السعدي، ج1ص77

2 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص291

3 سورة البقرة (02 : 161)

4 سورة فصلت (41 : 02)

وجه ارتباط الفاصلة بالآية ظاهر، فذكر الرحمة مع تنزيل القرآن؛ لأنه نزل رحمة للناس يخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد نزل فيه من التشريعات ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

افتتح سبحانه هذه السورة بأن هذا القرآن رحمة لمن كان له علم وله قوة توجب له القيام فيما ينفعه، وكرر الوصف بالرحمة في صفة العموم وصفة الخصوص إشارة إلى أن أكثر الأمة مرحوم من «الرحمن» أي ؛ الذي له الرحمة العامة للكافر والمؤمن بإنزال الكتب وإرسال الرسل «الرحيم» أي الذي يخص رحمته بالمؤمنين بإلزامهم ما يرضيه عنهم[1].

وقال ابن عاشور (ت1393 هـ): « وإيثار الصفتين ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ على غيرهما من الصفات العلية للإيماء إلى أن هذا التنزيل رحمة من الله بعباده ليخرجهم من الظلمات إلى النور كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[2]...في ذلك إيماء إلى استحماق الذين أعرضوا عن الاهتداء بهذا القرآن بأنهم أعرضوا عن رحمة، وأن الذين اهتدوا به هم أهل المرحمة لقوله بعد ذلك: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[3].[4]

فأعظم غاية لتنزيل الكتب هي رحمة العباد، إلا أننا نجد في آيات أخرى اقتران التنزيل بأسماء غير «الرحمن الرحيم»، كقوله تعالى في الآية الأولى من سورة الزمر،

1 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص548

2 سورة الأنعام (06 : 157)

3 سورة فصلت (41 : 44)

4 تفسير التحرير والتنوير، محمّد الطاهر بن عاشور التونسي، ج25ص7

والجاثية، والأحقاف: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، وفي سورة يس: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾[1]، وغيرها من الأسماء، وسأحاول بيان ذلك في موضعه إن شاء الله.

الآية السادسة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]، تتناسب مع فواصل الآيات المجاورة لها: «لعلهم يتفكرون» «سبحان الله عما يشركون» «وهو العزيز الحكيم»...

ذكرُ الاسمين الجليلين بعد ذكر صفة العلم له ملحظ نفسي أشار إليه صاحب الظلال، وهو أن علمَ الله للظاهر والمستور يوقظ في النفس شعور المراقبة، فيعمل الإنسان كل ما يعمل بشعور المراقَب من الله، المراقِب لله، وبعد صفة العلم يذكر صفة الرحمة ليستقر في الضمير شعور الطمأنينة لرحمة الله والاسترواح، ويتعادل الخوف والرجاء، والفزع والطمأنينة، فالله في تصوّر المؤمن لا يطارد عباده ولكن يراقبهم، ولا يتركهم بلا عون وهم يصارعون الشرور والأهواء. هذا هو سر اختيار الاسمين الدالّين على الرحمة في هذه الآية الكريمة[3].

ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة، كقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤﴾[4] ثم قال في سورة النحل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٨﴾[5]، قال ابن الخطيب: «كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة؛ فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها؛ فحصل لك عند أخذها وصفان، وهما: كونك ظلوماً

---

1 سورة يس (36 : 05)

2 سورة الحشر (59 : 22)

3 ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج28 ص3532-3533

4 سورة إبراهيم (14 : 34)

5 سورة النحل (16 : 18)

كفاراً، ولي وصفان عند إعطائها وهما: كوني غفوراً رحيماً، فكأنه تعالى يقول: إن كنت ظلوماً فأنا غفورٌ، وإن كنت كفاراً فأنا رحيم، أعلم عجزك، وقصورك، فلا أقابل جفاك إلا بالوفاء»[1].

وقيل: إنما خص سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه، وسورة النحل بوصف المنعم، لأنه في سورة إبراهيم في مساق وصف الإنسان، وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثباتا لألوهيته[2].

وعكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف، كقوله تعالى في سورة النور: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٨﴾[3]، ثم قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَـٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٩﴾[4].

ومن الفواصل التي تبدو في ظاهرها مشكلة، قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١١٨﴾[5]، فإن قوله : «وإن تغفر لهم» يقتضي أن تكون الفاصلة: «الغفور الرحيم»، وكذا نقلت عن مصحف أبيّ وبها قرأ ابن شنبوذ، وذكر في حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو العزيز أي الغالب، والحكيم الذي يضع كل شيء في محله، وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها، وليس كذلك، فكان

1 اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1419هـ، ج11 ص392

2 فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، ص137

3 سورة النور (24 : 58)

4 سورة النور (24 : 59)

5 سورة المائدة (05 : 118)

الوصف بالحكيم احتراز حسن، أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته[1].

ومن خفي ذلك أيضا قوله في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[2]، وفي آل عمران: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾[3]، فإن المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة، وفي آية آل عمران الختم بالعلم، والجواب أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض، وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، وخلق السماوات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت، والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالما بما فعله جزئيا وكليا، مفصلا ومجملا، ناسب ختمها بصفة العلم، وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد على موالاة الكفار، وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب، ناسب ختمها بصفة القدرة.

ومن مظاهر التوافق اللفظي بين الفاصلة وبعض ألفاظ الآية، وهو قد تكون تلك اللفظة قد تقدمت في أول الآية، ويسمى هذا رد العجز على الصدر.

أن يتوافق آخر الفاصلة وآخر الكلمة من الصدر، نحو قوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾[4].

---

1 فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، ص139

2 سورة البقرة (02 : 29)

3 سورة آل عمران (03 : 29)

4 سورة النساء (04 : 166)

أو أن يتوافق آخر الفاصلة وأول الكلمة من الصدر، نحو قوله تعالى: ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾[1].[2]

□

1 سورة آل عمران (03 : 08)

2 فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، ص140-141

الفصل الثالث

جمالية تراكيب الأسماء الحسنى

- جملة الأسماء الحسنى ومظاهر إعجازها
- جمالية النظم بالأسماء الحسنى
- جمالية اللف والنشر في الأسماء الحسنى

الفصل الثالث: جمالية تراكيب الأسماء الحسنى

المبحث الأول: جملة الأسماء الحسنى ومظاهر إعجازها

- الجملة القرآنية ومظاهر إعجازها
- الأسماء الحسنى وأثر السياق
- التقديم والتأخير في الأسماء الحسنى

المبحث الثاني: جمالية النظم بالأسماء الحسنى

- إعجاز النظم القرآني
- الأسماء الحسنى جزء من النظم القرآني
- إيقاعية الأسماء الحسنى في النظم القرآني

المبحث الثالث: جمالية اللفّ والنشر في الأسماء الحسنى

- اللف والنشر في القرآن
- اللف والنشر بين أسماء الله الحسنى

المبحث الأول

جملة الأسماء الحسنى ومظاهر إعجازها

❖ الجملة القرآنية ومظاهر إعجازها:

إن دراسة الجملة القرآنية تتصل اتصالا مباشراً بدراسة المفردة القرآنية لأنها أساس الجملة، ومنها تركيبها، وإذا كان البلاغيون يجعلون البلاغة درجات، فإنهم مُقرّون دون جدل أن صياغة العبارة القرآنية في المستوى الأعلى من البلاغة الذي هو الإعجاز ذاته، قال الله تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[1] ذلك خير ما توصف به الجملة القرآنية، فهي بناء قد أحكمت لبناته، لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها، حتى صار من العسير بل من المستحيل، أن تغير في الجملة كلمة بكلمة، أو أن تستغني فيها عن لفظ، أو أن تزيد فيها شيئا، وكأنما لم يوجد لأداء تلك المعاني، غير هذه الألفاظ، وكأنما ضاقت اللغة، فلم تجد فيها، وهي بحر خضم، ما تؤدى به تلك المعاني غير ما اختاره القرآن لهذا الأداء[2].

ليس تقديم كلمة على أخرى في الجملة القرآنية صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا معدى عنه، وإلا اختل وانهار، من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾[3].

ذكر إسماعيل معطوفا على إبراهيم، فهو كأبيه يرفع القواعد من البيت، ولكن تأخره

---

1 سورة هود (07 : 01)

2 ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص85

3 سورة البقرة (02 : 127)

في الذكر، يوحي بأن دوره في رفع القواعد دور ثانوي، أما الدور الأساسي فقد قام به إبراهيم، «قيل كان إبراهيم يبنى، وإسماعيل يناوله الحجارة»[1] فنزلت الآية، وكأنما كانت ستنسى دور إسماعيل لثانويته، ثم ذكرته بعد أن انتهت من تكونها[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[3]، فإن فيها تقديم المفعول للاهتمام ؛ لأنه موضع عناية العابد ورجاء المستعين، وتقديم المفعول مع اشتغال فعله بضميره آكد في إفادة التقديم الحصر من تقديم المفعول على الفعل غير المشتغل بضميره، فإياي فارهبون آكد من نحو إياي ارهبوا كما أشار إليه صاحب «الكشاف» إذ قال: وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد[4].

تبدو الجملة القرآنية، وقد كونت من كلمات قد اختيرت اختيارا، ثم نسقت في سلك من النظام، فلا ضعف في تأليف، ولا تعقيد في نظم، ولكن حسن تنسيق، ودقة ترتيب، وإحكام في تلاؤم[5].

والأمثلة من كتاب الله كثيرة للتدليل على هذا الارتباط القوي بين جمل الآية القرآنية، وكثير من الجمل في القرآن توحي ألفاظها، بمعان لا يستطيع لفظ أن يحدها، بل يترك للنفس أمر إدراكها، ويكفي الإشارة من ذلك إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١١١﴾[6] أولا يشعر القارئ في قوله سبحانه: «تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ»؛ بالتهكم اللاذع بهم، وأن تلك الأماني التي تجول في صدورهم، لن تجد لها سبيلا إلى التحقق في غير

1 الكشاف، الزمخشري، ج1 ص74
2 ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص85
3 سورة الفاتحة (01 : 05)
4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج1 ص454
5 من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص85-86
6 سورة البقرة (02 : 111)

أحلامهم[1].

وتستخدم الجملة الفعلية في القرآن للدلالة على التجدد والحدوث، والجملة الاسمية للثبوت والاستمرار، والمراد بالتجدد في الماضي حصوله، وفي المضارع تكراره، ولا يحسُن وضْع أحدهما موضع الآخرِ فمِن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[2]

لو قيل: «يَبْسُطُ» لم يؤدِّ الْغرض لأنّه يؤذِنُ بمزاولة الكلب البسْط وأنّه يتجدّد له شيء بعد شيء فباسط أشعر بثبوت الصّفة[3]، ومن ثم كان التعبير بالجملة الاسمية محل الفعلية صورة من صور التوكيد المستخدمة في النظم القرآني، فلذا اهتم العلماء ببيان ذلك على أنه من صور التوكيد، وإن كان البعض لا يرى ذلك، يقول الأستاذ الدكتور لاشين: «وإذا كان وضع الجملة الاسمية على إفادة الثبوت ووضع الجملة الفعلية على إفادة التجدد، فإن الجملة الاسمية تدل على معنًى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية، ولهذا ذهب بعضهم إلى أن الجملة الاسمية تفيد تأكيد المعنى، وقد تؤثر الجملة الاسمية من أجل هذا في بعض المقامات على الجملة الفعلية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾[4] فالمنافقون خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية: «آمَنَّا»؛ لأنهم أظهروا الإيمان وأحدثوه خوفًا ومداراة، وحينما خاطبوا شياطينهم كانت الجملة الاسمية المحققة بإنَّ المشددة؛ لأنهم في مخاطبة إخوانهم ثابتون على الكفر، ويخبرون به عن صدقٍ ورغبةٍ»[5].

وقد يتغير اتجاه الجملة تبعا لتغيّر الاتجاه النفسي من ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ

1 ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص87

2 سورة الكهف (18 : 18)

3 ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج2 ص376

4 سورة البقرة (02 : 14)

5 الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ص351

ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾[1]. فقد يكون ظاهر السياق أن يقال: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي بارك حوله، ليريه من آياته، إنه هو السميع البصير»، ولكنه عدل عن الغيبة إلى الحضور في وسط الآية، تعظيما لشأن المسجد الأقصى، ومن شأن ما يري الله من آياته[2].

وتتلخص مظاهر الإعجاز في الجملة القرآنية في الأمور الثلاثة التالية[3]:

1 – التلاؤم والاتساق بين كلماتها.

2 – دلالتها بأقصر عبارة على أوسع معنى.

3 – إخراجها المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس.

أولا: التلاؤم والاتساق بين كلماتها[4]:

لا بدّ أن تكون الجملة القرآنية مؤلفة من كلمات وحروف ذات أصوات يستريح لتآلفها السمع والصوت والنطق، ويتكون من اجتماعها على الشكل الذي رتبت عليه، نسق جميل ينطوي على إيقاع خفي رائع، ما كان ليتم لو نقصت الجملة كلمة أو حرفا أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال.

والقرآن كله مثال على هذه الحقيقة الجليّة، وإذا كان لا بدّ من أمثلة ونماذج نعرضها فسنعرض بعضها ونحن على يقين إن شاء الله أن الجمل القرآنية كلها جارية على منوالها:

---

1 سورة الإسراء (17 : 01)

2 ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص88

3 الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، ص167

4 من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص88

فمثلا قول الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾[1]، يظهر تناسق الكلمات في كل جملة من جمل الآيات، وتآلف الحركات والسكنات والمدود وتناسقها مع بعضها، فبعد تأملها ظهر أن هذه الجمل القرآنية إنما تضمنت من الكلمات والحروف والحركات أنسبها، والقارئ لهذه الآيات يشعر بتوقيع موزون من تتابع كلماتها، بحيث يؤلّف اجتماعها إلى بعضها لحنا مطربا يفرض نفسه على صوت القارئ، ولهذا فإن حفظ القرآن أيسر على الإنسان من حفظ سائر أنواع النثر، ذلك لأنه منضبط بأوزان وإيقاعات خاصّة به، فيسهل بذلك حفظه والتنبّه إلى الخطأ الذي قد يقع القارئ فيه عندما يقرأه، بل المعروف لدى من مارس حفظ القرآن أن الخطأ قلّما يقع في حفظه وضبطه إلا من وجه واحد، هو ما قد يكون بين الآيات من تشابه، فيأتي الخطأ من خلط آية بأخرى والوقوع في اللبس بينهما[2].

بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[3] حيث بهر العقول ذلك الإيقاع الصوتي وذلك التناسق اللفظي بين ألفاظ الآيتين رغم الاختلاف في نظمهما، ثم إن كلا من الآيتين قد اشتملت على ضمير الفصل «أنا» و«هو» لتأكيد الخبر، ويظهر في قوله تعالى: «نبئ عبادي» إلى «الرحيم» من المحسّنات البديعية محسّن الاتّزان إذا سكنت ياء «أنّي» على قراءة الجمهور بتسكينها، فإن الآية تأتي متزنة على ميزان بحر المجتث الذي لحقه الخبن في عروضه وضربه فهو متَفْعلن فَعِلاتن مرتين[4].

---

1 القمر (54: 11-14)

2 ينظر: من روائع القرآن، مُحمد سَعيد رَمضان البوطي، ص145

3 سورة الحجر (15 : 49-50)

4 تفسير التحرير والتنوير، الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، ج14 ص57

ثانيا: دلالتها بأقصر عبارة على أوسع معنى[1]:

وهذه ظاهرة جليّة يمكن تبينها في طريقة التعبير القرآني، مهما اختلفت بحوثه وموضوعاته لا تجد في الجملة القرآنية كلمة زائدة يصلح المعنى مع الاستغناء عنها، ولا تستطيع أن تترجم معناها بألفاظ عربية من عندك إلا في عدد من الجمل مهما حاولت الإيجاز والاختصار[2]، فالمتأمل في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[3] تجدها تدل بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل لا يستطيع الإنسان التعبير عنه إلا بأسطر أو جمل كثيرة، دون أن تجد فيه اختصاراً مخلا، أو ضعفاً في الأدلة، وقد جمع الله بهذه الآية كل خلق عظيم، لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين، وقد عمت الآية صور العفو كلها، وصور العرف، وكل صفات الجهل، لأن التعريف في هذه الأسماء تعريف الجنس فهو مفيد للاستغراق[4].

تحدّث القرآن عن الضمانات التي أعطاها لآدم بعد خلقه، مما يحتاجه الإنسان في حياته من كل ما يدخل في مقوّمات بقائه وعيشه. لقد وضع البيان الإلهي هذه الاحتياجات كلها في جملتين فقط وهما قوله عزّ وجلّ خطابا لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩﴾[5] فالمتأمل في هاتين الجملتين، وألفاظهما وكيفية صياغتهما يكتشف كيف أنهما جمعتا أصول معايش الإنسان كلها من طعام وشراب وملبس ومأوى، وكيف عبّر عن تأمين حاجته إلى المسكن والمأوى بقوله: «ولا

1 من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص88

2 ينظر: من روائع القرآن، محمّد سَعيد رَمضان البوطي، ص145

3 سورة الأعراف (07 : 199)

4 تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمَّد الطاهر بن عاشور، ج09 ص226-227

5 سورة طه (20 : 118-119)

تضحى...» أي لك أن لا تصيبك شمس الضحى أو يؤذيك لفحها بما نهيئه لك من المسكن الذي يؤويك[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[2] فقد تضمن حكما من الأحكام الشرعية المهمة، وصيغت هذه الآية صياغة خاصة وطريقة دلالتها على المعنى الذي تعبّر عنه، نجدها بأسلوب فريد ليس من دأب الإنسان أن يتأتى له التعبير بمثله. ويؤكد ذلك ما قاله ابن قتيبة وهو يحاول التعبير عن معنى هذه الآية بألفاظ عربية من عنده: «ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ...﴾ الآية، لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت عليهم وآذانهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء»[3].

ويكفي أن يعلم أن الآيات المتضمنة لأحكام التشريع، قد لا تزيد على ثلاثمائة آية، إلا شيئا يسيرا وهي لا تبلغ معشار النصوص الفقهية التي دوّنها الفقهاء فيما بعد، ولكن قد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن من أبرز مظاهر الإعجاز في هذه الآيات أن الطريقة الفريدة في صياغة وتراكب جملها، تجعلها متسعة للدلالة على ذخر من المعاني الكثيرة التي لا يمكن التعبير عنها بطريقتنا المألوفة، إلا بواسطة مجلدات[4]...

من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ

1 من روائع القرآن، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، ص146

2 سورة الأنفال (08 : 58)

3 تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح: إبراهيم شمس الدين، 22

4 ينظر: من روائع القرآن، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، ص146

لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾﴾[1]

فهذه آية واحدة صيغت من خمسة أسطر قرآنية، أي مما لا يزيد على ستين كلمة، وقد تضمنت ثلاثة وعشرين حكما مما يتعلق بنظام الأسرة، لم يستخرج واحد منها تمحلا ولا تكلفا، بل هو بين أن تكون الآية دلّت عليه بصريح المنطوق أو بجلي المفهوم أو بمقتضى النص[2]، ولو حاول أحد التعبير عن هذه الأحكام بصياغة جليّة دون اختصار مخلّ أو إطالة من غير لزوم، لاقتضى ذلك منه صفحات من الكلام أي أضعاف النص القرآني.

ولو عدنا إلى الآية: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[3]، ففيها ابتداء الكلام بفعل الإنباء لتشويق السامعين إلى ما بعده، وإنما قدم الأمر بإعلام الناس بمغفرة الله وعذابه ابتداء بالموعظة الأصلية قبل الموعظة بجزئيات حوادث الانتقام من المعاندين وإنجاء من أنجي منهم من المؤمنين لأن الأمر دائر بين أثر الغفران وبين أثر العذاب، وقدمت المغفرة على العذاب لسبق رحمته غضبه[4]، وفي اختيار اسمي الله «الغفور الرحيم» عوض عن التفصيل فيما قد يعده الله لعباده المؤمنين من الجزاء الحسن والنعيم المقيم اللذان هما أثر لمغفرته ورحمته.

ثالثا: إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس[5]:

1 سورة البقرة (02 : 233)
2 ينظر: من روائع القرآن، محمّد سَعيد رَمضان البوطي، ص147
3 سورة الحجر (15 : 49-50)
4 تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج14 ص56-57
5 من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، ص88

يتجلى معنى الإعجاز في هذه المزية التي تمتاز بها الجملة القرآنية، في جعل صياغة الجملة ذاتها وتآلف كلماتها مع بعض، مرآة يتجسد فيها المعنى المطلوب ويبرز محسوسا ومصورا أمام خيال القارئ، فذلك ما لا سبيل للإنسان إليه، وتلك هي الطريقة الغالبة لتصوير المعاني وتجسيدها أمام المخيلة في كتاب الله عزّ وجلّ، فحتى عند ما تجد الجملة القرآنية بعيدة عن استعمال المجاز والاستعارة والكنايات، ترى هذه الظاهرة بارزة متجلية في جمل القرآن وآياته[1].

من ذلك، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾[2] لأنه سبحانه لعظمته قد يحتقر كل أحد نفسه لأن يؤهله للكلام معه لا سيما والأمر في أوله فقال: «إني أنا الله» أي المستجمع للأسماء الحسنى، والصفات العلى، ولما كان هذا الاسم غيباً، تعرف بصفة هي مجمع الأفعال المشاهدة للإنسان فقال: «رب العالمين» أي خالق الخلائق أجمعين ومربيهم[3]. وفي سورة النمل قال الله لموسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾[4].

لكن لما تجدد اللقاء، وكان داعيا إلى زيادة التعريف، أخبر الله نبيه أنه: «العزيز الحكيم» وهما صفتان لهما أثر بليغ في طمأنة نفسية المخاطب حيث تجعله لا يخشى شيئا لأنه في صحبة العزيز الذي لا يقهر، وتجعله لا يقلق من أي شيء لأنه بمعية الحكيم الذي يحسن وضع الأشياء في مكانها. أضاف صاحب نظم الدرر: « فافعل جميع

1 ينظر: من روائع القرآن، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، ص147

2 سور القصص (28 : 30)

3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج5 ص483

4 سورة النمل (27 : 08-09)

ما آمرك به فإنه لا بد منه، ولا تخف من شيء فإنه لا يوصل إليك بسوء لأنه مُتقن بقانون الحكمة، محروس بسور العزة»[1]، فالأوصاف «رب العالمين» و«العزيز الحكيم» جعلت الموصوف «الله» يبدو بصورة جلية انتقل فيها من الوصف المجرد إلى المعاني المحسوسة.

1 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج14 ص134

❖ الأسماء الحسنى وأثر السياق:

أشار العلماء إلى قاعدة ذهبية مضمونها أن أفضل طريقة للتفسير هي تفسير القرآن بالقرآن[1]، فـ«من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فما أُجمل منه في موضع فقد فُسر في موضع آخر»[2] وهي إشارة "للسياق" في النص القرآني، وهو منهج يجعل للسياق الدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ وضبط دلالاتها، ذلك أن علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى هي التي تحدد معناها، ولهذا يصرّح "فيرث" بأن المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال «تسييق» الوحدة اللّغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ومعظم الوحدات الدّلالية تقع في مجاورة وحدات أخر، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[3].

وللسياق القرآني مكونات خاصة يتميز بها، لابد من اعتبارها فيه، ومن أعظم ما تميز به القرآن تضمنه لأغراض ومقاصد متعددة في الآية الواحدة، وهذا سر تعدد المعاني في الآية واختلافها، «فإن القرآن كله مبني على تعدد المعاني، فلا بأس من كثرة وجوه التأويل تبعا لتعدد الأسماء – طالما أنها لا تؤدي إلى تضاد أو تناقض – كما أنه لا بأس من تكثير وجوه الحكمة في أمر واحد.. وذلك مما يدل على ثراء المعنى في القرآن العزيز»[4].

ولاشك أن النظم القرآني، والأسلوب البياني الذي ائتلف منه القرآن يمثل البناء المحكم المتسق الذي تميز به القرآن عن سائر الكلام، وهو خاصية مهمة في السياق القرآني؛ إذ لا يمكن تفسير القرآن إلا باعتباره، قال الزركشي (ت794 هـ): « وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف

---

1 ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي المحاربي، ج1ص5

2 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج4 ص200

3 ينظر: المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، موسسة الرسالة – بيروت، ط2: 1417هـ، ص23

4 مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء ، ص95

النظم، وأن يواخي بين الموارد، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر...إلى أن قال: واعلم أن هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطّلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة»[1]. وقال السيوطي (ت911 هـ): « على المفسر مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له»[2]. ويضيف الزركشي (ت794 هـ): « وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لحام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض»[3].

وقد يراد بالسياق الظروف التي نزلت فيها الآية، وهو ما يصطلح عليه بأسباب النزول والأحوال التي نزلت فيها الآية وهي من أعظم ما يعين على تحديد الغرض والمعنى المقصود في الآية، وعليه فلابد من اعتبار هذه الخاصية في السياق القرآني.

قال الشاطبي (ت590 هـ) في الضابط المعول عليه في الفهم: «إن المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان»[4]. وقال السيوطي (ت911 هـ) في الإتقان: «قال الواحدي (ت468 هـ): لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[5]، وقال السعدي (ت1376 هـ): « النظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه»[6].

---

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص311

2 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ج4 ص488

3 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2 ص175

4 الموافقات، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1: 1417هـ- 1997م، ج3 ص413

5 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1 ص87

6 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: محمد صالح بن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ، ج1 ص30

وقد جمع شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728 هـ) هذه العناصر جميعاً فقال: « وتختلف دلالة الكلام تارة بحسب اللفظ المفرد، وتارة بحسب التأليف، وكثير من وجوه اختلافه قد لا يبين بنفس اللفظ بل يرجع فيه إلى قصد المتكلم، وقد يظهر قصده بدلالة الحال»[1].

لقد حدد المسلمون الأوائل مدلول كلمة معينة أو آية معينة في القرآن من خلال سياقها العام، ففي الحديث أن أبا بكر الصديق ﷺ قرأ على المنبر قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١﴾[2]، ثم أردف: «كل هذه عرفنا، فما الأبّ؟» ثم حرك عصا كانت في يده، وقال: «هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأبّ؟» وأضاف موجهاً إلى الجماهير: «اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب واعملوا به، وما لم تعرفه فكِلوه إلى ربه»[3].

وقد نقل عن ابن عباس ﷺ ما يدل على أن معنى اللفظ في الآية ذاتها، فقال: «فالله تعالى يقول: ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾[4]، الفاكهة: كلُّ ما أُكِل رطبا، رطبا، والأبّ ما أنبتت الأرض، مما تأكلهُ الدَّوابّ ولا يأكله النَّاس أو هو الحشيش للبهائم»[5]. وهكذا كشف الصحابي الجليل ابن عباس ﷺ معنى الأب من خلال السياق القرآني.

وفي حديث آخر: «أن عمر ﷺ مر يوماً بشاب من فتيان الأنصار وهو ظمآن، فاستسقاه، فخلط له الفتى الماء بعسل وقدمه إليه، فلم يشربه، وقال: إن الله تعالى يقول:

---

1 الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تح: مُحَمَّد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1: 1408هـ، 1987م، ج3 ص208

2 سورة عبس (80 : 27-31)

3 الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، ص550

4 سورة عبس (80 : 31-32)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8 ص324

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[1] فقال له الفتى: «إنها ليست لك، ولا لأحد من أهل القبلة، أترى ما قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2]، فقال عمر رضي الله عنه: كل الناس أفقه من عمر»[3].

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد كان بإمكان فصحاء العرب تمييز الصواب من الخطأ بالاعتماد على السياق ولو لم يكونوا قد قرأوا القرآن من قبل، حيث استطاع أعرابي أن يكتشف سوء ترابط سياق الآية وفاصلتها حين سمع قارئا يقرأ قول الله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم﴾، فقال الأعرابي: أخطأت، فتذكر القارئ الآية: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[4] قال القارئ: فمن أين علمت أني أخطأت؟ قال: يا هذا، عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[5].

لا خلاف على أن دلالة الكلمة، ومعناها يكون أوضح، من خلال التركيب، وأن الكلمة –وهي منفردة– لها دلالة اللفظ والصيغة فقط، فإذا أُخذت هذه الكلمة ووضعت في سياق ما، ظهر المعنى وقد اكتسب ظلالاً دلالية أخرى، قال القاضي أبو بكر بن العربي

1 سورة الأحقاف (46 : 20)

2 سورة الأحقاف (46 : 20)

3 شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج1ص182

4 سورة المائدة (04 :38)

5 الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1: 1415هـ، ج2 ص185

(ت543 هـ) في سراج المريدين: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم»[1].

هذا يعني أن الكلمة لا تعطي معناها من ذاتها فقط، بل هناك ظلالا تضاف إليها، ومن هذه الظلال، الصيغة، موقع الكلمة في الجملة، وموقعها من الإعراب، ثم قرينها وأليفها، جاء في دلائل الإعجاز: «وأنك قد تبيّنتَ أنه إذا رُفِعَ معاني النَّحو وأَحكامُه مما بينَ الكلمِ حتى لا تُرادَ فيها في جملةٍ ولا تفصيلٍ خرجت الكلم المنطوقُ ببعضِها في أثرِ بعضٍ في البيتِ من الشعرِ والفصلِ من النَثْر عن أنْ يكونَ لكونِها في مواضِعِها التي وُضِعَتْ فيها مُوجبٌ ومُقتضٍ ، وعنْ أن يتصوَّر أن يقالَ في كلمة منها إِنها مرتبطةٌ بصاحبةٍ لها، ومتعلِّقةٌ بها، وكائنةٌ بسببٍ منها»[2].

إن الكلمة كالإنسان تأنس بغيرها من الكلمات ولا تحيا إلا بوجودها مع قريناتها، وكما أن للإنسان صديق حياة، فإن هناك كلمات لا تكاد تراها إلا في صحبة قرين لها أو أليفها، ذلك ما ينطبق أسماء الله الحسنى وسر هذا الاقتران الوصول إلى كمال إضافي من خلال اقترانها، فضلا عن كمالها وهي مفردة، فلهذا التنوع كمال من جميع أوجهه: «كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر»[3].

واختيار الاسم واقترانه بغيره يتوقف على نوع السياق، لأن له الأثر البالغ في اختيار الاسم المناسب له، فقد علم أن سياق الرحمة يتطلب أسماء الرحمة، وسياق العلم والخلق وحسن التدبير يتطلب أسماء العلم والحكمة، كما أن سياق الحديث عن الأمم السالفة التي تجبرت وتكبرت عن طاعة يتطلب أسماء العزة والقدرة والقهر.

---

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص36

2 دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص382

3 تفسير القرآن الكريم، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1: 1410هـ، ص39

لذلك لا يكاد القارئ يقرأ كتاب الله، فتقع عينه على اسمه «الغفور» إلا وتقع في ذات الوقت على اسم آخر بجانبه هو اسمه «الرحيم» وكذلك لا يكاد يأتي اسم «العزيز» إلا في صحبة اسمه «الحكيم» أو اسم آخر تقتضيه متطلبات السياق والمقام.

فاقتران العفو بالقدرة كاقتران الحلم والرحمة بالعلم، لأن العفو إنما يحسن عند القدرة، وكذلك الحلم والرحمة إنما يحسنان مع العلم، وقد كثر الاقتران بين أسماء الله الحسنى ولعل لهذا الاقتران سرا يتجلى في مدى اكتساب الاسم لظلال دلالية جديدة تضاف إليه من هذه الأسماء المقترنة به وأثر السياق والمقام في اصطفاء الاسم الآخر لندرك أنه قد اختير بعناية وحكمة وأنه لا يجدي غيره لو وضع مكانه.

«**الغفور الرحيم**»: ومن الأسماء الكثيرة الاقتران اسمه عز وجل «الغفور» فتارة تجده مقترنا باسمه «الرحيم» أو «الحليم» وسيتبين لنا كيف يختلف الاقتران بين الاسمين بسبب اختلاف السياق، قال الله تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1]، لاشك أن المغفرة فضل عظيم ليس للعبد غنى عنها، لكنها قد تكون غير كافية يوم القيامة ولا حتى في الدنيا، وذلك لأن المغفرة وهي ستر الذنب وتغطيته لا تعني أن الذنب قد أزيل، أو تم العفو عنه، والتجاوز عن صاحبه، كل ما هنالك أن الذنب مستور، لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ولله تعالى المشيئة في أن يحسن إلى المذنب ولا يعاقبه، كما أن له مطلق المشيئة في أن يعذبه بهذا الذنب في الدنيا والآخرة، وهو في ذات الوقت قد غفر له ذنبه أي ستره عن أعين الخلق وقد يستره عن المذنب أيضا، وهنا تظهر حاجة العبد إلى الرحمة المتمثلة في اسمه «الرحيم» لتقترن باسمه الغفور ويتم الإحسان والفضل ويكون

1 سورة الزمر (39 : 53)

الغفران بداية العفو، وأول الإحسان زوال الذنب، ومحوه من الصحف بل وتبديله حسنات لينال العبد بعد ذلك رضى الله ويدخله الجنة.

الأمر الآخر: أن دخول الجنة لن يكون بسبب المغفرة بل بالرحمة، ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُنجِّيَ أحداً منكم عملُه. فقال: رجل ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته»[1] ويقال: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٍ مِّنۡهُ﴾[2] يُعَرِّفُهم أنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من تلك الدرجات بسعيهم وطاعتهم، ولكن برحمته سبحانه وصلوا إلى نعمته[3]، ومن هنا كان من لوازم المغفرة: الرحمة.

«**الغفور الحليم**»: وقد اقترن اسمه «الغفور» باسمه «الحليم» عدة مرات ووجه اقتران اسم الغفور مع الحليم يتنوع من سياق إلى سياق.

فتارة يكون السياق في شأن ذنب هو في حقيقته تقصير في الأدب مع الله تعالى فيناسب ذلك وصفه بالحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة.

وتارة يكون السياق توجيهاً للناس أن يتصفوا بالحلم ولا يتعجلوا، وهنا يكون اسمه الحليم تذكيرا بهذه الصفة، وتارة يكون السياق تهديداً ؛ حتى لا يعودوا إلى الذنب، وكأنه يقول: لقد حلمت عليكم فاحذروا.

قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[4] فسترُ الذنبِ هنا سترُ حليم، ذلك لعلمه أن العبد حين حلف إنما دفعه

---

1 مسند الإمام أحمد: الحديث 9830

2 سورة التوبة (09 : 21)

3 ينظر: تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1420هـ، ج1ص414

4 سورة البقرة (02: 225)

إلى ذلك ما جُبل عليه من عجلة، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ عَجُولاً﴾[1]، ولو أنه عومل على شاكلته لعجلت له العقوبة وكأن هناك دعوة إلى التحكم عند الحلف، دعوة إلى النظر في عاقبة اليمين، فغفر للإنسان ذنبه في الحلف لعله يفيء، ولأن الله لا يعجل لعجلة أحدنا[2] كما قال رسول الله ﷺ، ولذلك يقول ابن عاشور (ت1393 هـ) رحمه الله: «ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون الرحيم، لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى، فلذلك وصف الله نفسه بالحليم، لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة»[3]. ويقول البقاعي (ت885 هـ) رحمه الله: «ولما كان السياق للمؤاخذة التي هي معالجة كل من المتناظرين لصاحبه بالأخذ كان الحلم أنسب الأشياء لذلك قال (حليم)، أي ؛ لا يعاجلهم بالأخذ، والحلم احتمال الأعلى للأذى من الأدنى، وهو أيضاً رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم»[4].

والمهم في كل ذلك دلالة اسمه «الغفور» فالأمر هنا ليس متعلقاً بالآخرة ولكنه ما زال في الدنيا، والسياق في شأن التربية وتوجيه النفوس المؤمنة إلى ترك الحلف جملة، إلا لحاجة، ولما كان الأمر كذلك جيء باسمه «الحليم» وكأن «الغفور» هنا تعني الدعوة إلى عدم العودة فالستر هنا ستر تربية وتأديب وتعليم وتهذيب، ولذلك سبق في السياق قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَـٰنِكُمۡ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾[5].

وينتقل الدرس التعليمي إلى جو آخر وسياق آخر تحتاج النفوس فيه إلى تهذيب، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ

1 سورة الإسراء (17: 11)

2 شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1410هـ، ج4ص200

3 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2ص384

4 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص426

5 سورة البقرة (02: 225)

قَوْلاً مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1].

والسياق -كما لا يخفى- في شأن التعريض بالخطبة لمن توفي زوجها، وما زالت في عدتها منه، ورغبة النفوس وميل القلوب من الصعب دفعه[2] ولذلك قال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ﴾ ثم ابتدئ الخطاب باعلموا ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ لما أريد قطع هواجس التساهل والتأول، في هذا الشأن، ليأتي الناس ما شرع الله لهم عن صفاء سريرة من كل دخل وحيلة، وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ تذييل، أي فكما يؤاخذكم على ما تضمرون من المخالفة يغفر لكم ما وعد بالمغفرة عنه كالتعريض لأنه حليم بكم، وهذا دليل على أن إباحة التعريض رخصة كما قدمنا، وأن الذريعة تقتضي تحريمه، لولا أن الله علم مشقة تحريمه على الناس للوجوه التي قدمناها، فلعل المراد من المغفرة هنا التجاوز لا مغفرة الذنب ؛ لأن التعريض ليس بإثم، أو يراد به المعنى الأعم الشامل لمغفرة الذنب والتجاوز عن المشاق[3].

«**العزيز الغفور**»: ثم قد يقترن اسمه «الغفور» باسمه «العزيز» وقد ورد ذلك مرتين في القرآن الكريم في سورة "فاطر" ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[4]، وسورة "الملك"

---

1 سورة البقرة (02: 235)

2 الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، ج3ص188

3 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2ص456

4 سورة فاطر(35: 28)

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[1]. فحين اقترن اسمه الغفار باسمه العزيز ثلاث مرات وذلك في سورة "ص" ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[2] وسورة "الزمر" ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[3] وسورة "غافر" ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾[4].

والمواضع الخمسة تقدم فيها اسمه «العزيز» وتأخر اسمه «الغفور» أو «الغفار» ذلك لأن السياقات كلها في شأن بيان القوة، والقهر، والسلطان، والملك، وهذه بعض الأدلة.

ففي فاطر مثلاً نستشعر ذلك من أول السورة ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5]، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾[6]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا

---

1 سورة الملك (67: 02)

2 سورة ص (38: 66)

3 سورة الزمر (39: 05)

4 سورة غافر (40: 42)

5 سورة فاطر (35: 02)

6 سورة فاطر (35: 10)

يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[1]، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾[2] وهكذا تمتلئ السورة بدلائل القوة والغلبة.

فإذا انتقلنا إلى سورة "ص" نجد أنها تفتتح بهذا الافتتاح ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾[3]، ثم تبدأ السورة في بيان أوجه العزة ومظاهرها فنقرأ فيها: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾[4]، ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾[5]. حتى إبليس حين أقسم، أقسم، قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[6].

وهكذا في سورة الزمر وغافر، والملك التي تبدأ بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[7] إن سياق القوة والغلبة والقهر يسيطر على السور ولذلك ذُكِر «العزيز» وقدم في الذكر على «الغفور».

قال ابن عاشور (ت1393 هـ): ﴿وهو العزيز الغفور﴾ تذييل لجملة: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ إشارة إلى أن صفاته تعالى تقتضي تعلقاً بمتعلقاتها لئلا تكون معطلة في بعض الأحوال والأزمان فيفضي ذلك إلى نقائضها، فأما «العزيز» فهو الغالب الذي لا يعجز عن شيء، وذكره مناسب للجزاء المستفاد من قوله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ كما تقدم

1 سور فاطر (35: 13)
2 سورة فاطر (35: 16-17)
3 سورة ص (38: 01-03)
4 سورة ص (38: 09-10)
5 سورة ص (38: 14)
6 سورة ص (38: 82)
7 سورة الملك (67: 01)

آنفاً، أي ليجزيكم جزاء العزيز، فعلم أن المراد الجزاء على المخالفات والنكول عن الطاعة، وأما «الغفور» فهو الذي يكرم أولياءه ويصفح عن فلتاتهم فهو مناسب للجزاء على الطاعات وكناية عنه[1].

ولما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه إذا علم مخالفته، قال مبيناً إمهاله للعصاة مرغباً للمسيء في التوبة، بعد ترهيبه من الإصرار على الحوبة، لأنه قد يكون مزدرئاً لنفسه قائلاً: إن مثلي لا يصلح للخدمة لما لي من الذنوب القاطعة وأين التراب من رب الأرباب (الغفور) أي أنه مع ذلك يفعل في محو الذنوب عيناً وأثراً فعل المبالغ في ذلك ويتلقى من أقبل إليه أحسن تلق كما قال تعالى في الحديث القدسي: «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[2].

ولا يخفى أن وجه اصطفاء صيغة فعال في السور الثلاث (ص، الزمر، غافر) هو أن السياق في شأن تعدد المغفور لهم أو تعدد العمل الصالح، فالسياق في (ص) مثلاً يذكرنا بـ (الذين آمنوا، ثم داود، وسليمان، أيوب، وإبراهيم وإسحاق ويعقوب) وفي كل ذلك يقول (واذكر، واذكر، واذكر) فهذا تعدد للمغفور لهم.

لكن في الزمر يذكرنا السياق بتعدد أعمال هؤلاء فيقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ...﴾[3] فهذا تعدد في العمل.

فـ«الغفار» أي الذي تتتابع منه المغفرة وتكثر، إما بحسب المغفور لهم، أو بحسب المغفرة للعبد مرة بعد مرة. نرى ذلك جليا من خلال هذا المثال في سياق الآيات (4–6) من سورة الزمر ؛ فالله وحده «العزيز» ولما كان ربما قال مُتعنِّت: فما له لا يأخذ من يخالفه؟ وكانت صفة القهر والعزة ربما أقنطت العصاة فأخرتهم عن الإقبال، قال مبيناً

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج29ص15-16

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج8ص65

3 سورة الزمر (39: 09)

لسبب التأخير ومستعطفاً: «الغفار» أي الذي له صفة الستر على الذنوب متكررة فيمحو ذنوب من يشاء عيناً، وأثراً بمغفرته ويأخذ من يشاء بعزته[1].

أما في سورة (فاطر والملك) فإن صيغة (فعول) تشير إلى عظم المغفرة لأنها في غافر (للعلماء) الذين يخشون الله تعالى، وفي الملك لمن أحسن العمل ولا ذكر هنا لتكراره أو تنوعه، بل إحسانه.

وعلى كل فالحديث في السياقات كلها عن «العزيز» والمغفرة فيها مغفرة عزيز، فليس المقام في الصور الخمس مقام ذنب ومغفرة ولكنه مقام اقتدار وقهر ؛ فأحيطت العزة بالمغفرة حتى لا تنعكس على الخلق بالعذاب.

لذلك كله لم تتغير صورة الترتيب بين اسم العزيز واسم «الغفور» فأينما اجتمعا تقدم اسمه «العزيز» بل إن اسم «العزيز» لم يجتمع مع اسم آخر من أسماء الله الحسنى إلا تقدم عليه حيث قيل: «العزيز الحميد»، «العزيز الرحيم»، «العزيز الحكيم» إلا مع اسم واحد وهو القوي ففي جميع السياقات تقدم اسمه القوي «القوي العزيز» لأن القوة لا تفيد بعد العزة شيئاً، فالعزة متضمنة لها لكن العزة تعطي للقوة إحاطةً وشمولاً وتفرداً، ومن أمثلتها قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾[2]، عُطف «وهو القوي العزيز» على صفة «لطيف» أو على جملة «يرزق من يشاء» وهو تمجيد لله تعالى بهاتين الصفتين، ويفيد الاحتراس من توهم أن لطفه عن عجز أو مصانعة، فإنه قوي عزيز لا يَعجز ولا يصانِع، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شحّ أو قِلّةٍ فإنه القويّ، والقوي تنتفي عنه أسباب الشحّ، والعزيز ينتفي عنه سبب الفقر فرزقه لمن يشاء بما يشاء منوط لحكمة عَلِمها في أحوال خلقه عامة وخاصة[3].

1 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص421

2 سورة الشورى (42: 19)

3 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج25ص75

«العليم الحكيم»: اقترن العليم بالحكيم قرابة 30 مرة، وقد ورد هذان الاسمان في سياق الاعتراف بالعجز ومحدودية علم الخلق والمقصور على ما ألهمهم الله تعالى في مقابل الاعتراف بالعلم والحكمة لله سبحانه وتعالى. ﴿قَالُواْ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾[1] تصدير كلامهم بسبحانك إيماء إلى الاعتذار عن مراجعتهم بقولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ فهو افتتاح من قبيل براعة الاستهلال عن الاعتذار.

والاعتذار وإن كان يحصل بقولهم: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ لكن حصول ذلك منه بطريق الكناية دون التصريح ويحصل آخراً لا ابتداء فكان افتتاح كلامهم بالتنزيه تعجيلاً بما يدل على ملازمة جانب الأدب العظيم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ ساقوه مساق التعليل لقولهم ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾ لأن المحيط علمه بكل شيء المحكم لكل خلق إذا لم يجعل لبعض مخلوقاته سبيلاً إلى علم شيء لم يكن لهم قبل بعلمه إذ الحصول بقدر القبول والاستعداد أي فلا مطمع لنا في تجاوز العلم إلى ما لم تهيئ لنا علمه بحسب فطرتنا. وتعقيب العليم بالحكيم من إتباع الوصف بأخص منه فإن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم لأن الحكمة كمال في العلم فهو كقولهم خطيب مصقع وشاعر مفلق. و(أنت) في ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ ضمير فصل، وتوسطه من صيغ القصر فالمعنى قصر العلم والحكمة على الله[2].

---

1 سورة البقرة (02: 32)

2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج1ص414-416

وفي سورة يوسف ورد هذان الاسمان مرتين الأولى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾[1] وردا في سياق حديث يعقوب عليه السلام وعدم يأسه من عودة أبنائه لأنه يلجأ ويتضرع إلى الله وقد أحسن عليه السلام تسلية نفسه باختياره للاسمين العليم الحكيم في ختام تضرعه، يقول ابن عاشور (ت1393 هـ): وجملة ﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ تعليل لرجائه من الله بأن الله عليم فلا تخفى عليه مواقعهم المتفرقة. حكيم فهو قادر على إيجاد أسباب جمعهم بعد التفرق[2].

وتصديقا لرغبة يعقوب عليه السلام يأتي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[3] متضمنا نفس الأسماء التي ذكرها يعقوب عليه السلام، وزيادة بيان على ذلك اجتمع مع العليم الحكيم اسمه اللطيف، «لطيف» أي يعلم دقائق المصالح وغوامضها، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك فهو اللطيف. «العليم» أي البليغ العلم للدقائق والجلائل «الحكيم» أي البليغ الإتقان لما يصنعه طبق ما ختم به يعقوب عليه الصلاة والسلام بشراه في أول السورة، أي هو منفرد بالاتصاف بذلك لا يدانيه أحد في علم ليعترض إلى إبطال ما يقيمه من الأسباب، ولا في حكمه ليتوقع الخلل في شيء منها[4].

1 سورة يوسف (12: 83)

2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج13ص41

3 سورة يوسف (12: 100)

4 نظم الدر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج4ص99

«الرحمن»: الرحمن اسمه تعالى ووصفه، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم "الله"، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورد ورود الاسم العلم، ولما كان هذا الاسم مختصا به تعالى حسن مجيئه مفردا غير تابع كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمة، كاسم الله تعالى فإنه دال على صفة الألوهية، ولم يجئ قط تابعا لغيره بل متبوعا، وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة[1]، قال القرطبي (ت671 هـ): « أكثر العلماء على أن الرحمن مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره ألا تراه قال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾[2] فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وقال: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[3] فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة جل وعز»[4]. ويؤثر الله سبحانه وتعالى ذكر اسمه الرحمن على اسم الجلالة "الله" في سياقات تقتضي تغليب الرحمة، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[5]، قال طاهر بن عاشور (ت1393 هـ): «وإيثار اسمه الرحمن في قوله: ﴿من خشى الرحمن﴾ دون اسم الجلالة للإشارة إلى أن هذا المتقي يخشى الله وهو يعلم أنه رحمن، ولقصد التعريض بالمشركين الذين أنكروا اسمه الرحمن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[6].»[7] وكذلك العدول عن لفظ الجلالة أو عن

1 ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1ص42
2 سورة الإسراء (17 : 110)
3 سورة الزخرف (43 : 45)
4 تفسير القرطبي، ج1ص106
5 سورة ق (50 : 33)
6 سورة الفرقان (25 : 60)
7 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج26ص320

الضمير العائد إليه سبحانه وكذلك الشأن في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾[1]، أي: التي وعدها الرحمن، أضافها إلى اسمه الرحمن لأنها فيها من الرحمة والإحسان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأيضا ففي إضافتها إلى رحمته، ما يدل على استمرار سرورها، وأنها باقية، ببقاء رحمته التي هي أثرها وموجبها[2].

في قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾[3] لغرض معنوي يقتضيه السياق، فيكون العدول عن الضمير لتتأتى الإضافة إلى اسمه «الرحمن» المشعر بأن تلك المخلوقات فيها رحمة بالناس[4].

---

1 سورة مريم (19: 61)

2 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420هـ-2000م، ج1ص497

3 سورة الملك (67 : 03)

4 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج29ص17

❖ التقديم والتأخير في الأسماء الحسنى:

التقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق، وقد اختلف في عده من المجاز فمنهم من عده منه لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نُقِل كل واحد منهما عن رتبته وحقه، والصحيح أنه ليس منه فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع[1]. يقول ابن قيم الجوزية (ت751 هـ) في بيان أهمية الاعتناء بهذا الباب: «أن هذا الأصل يجب الاعتناء به لعظم منفعته في كتاب الله وحديث رسوله إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر... ونحو سميع عليم ولم يجئ عليم سميع وكذلك عزيز حكيم وغفور رحيم وفي موضع واحد الرحيم الغفور إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر وليس شيء من ذلك يخلو عن فائدة وحكمة لأنه كلام الحكيم الخبير»[2].

وقد ذكر العلماء للتقديم والتأخير أسبابا تؤدي إليه، وهي كثيرة، وسيكتفى بذكر ما له علاقة بتقديم الاسم عن قرينه من الأسماء الحسنى.

- أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة، كقوله: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾[3] فإنه لو أخر "في نفسه" عن "موسى" فات تناسب الفواصل لأن قبله ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[4] وبعده: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[5].[6]

---

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3ص233

2 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1ص106-107

3 سورة طه (20 : 67)

4 سورة طه (20 : 66)

5 سورة طه (20 : 68)

6 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3ص234

- لعظمته والاهتمام به وذلك أن من عادة العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مخبر ما وأناطت به حكما وقد يشركه غيره في ذلك الحكم أو فيما أخبر به عنه وقد عطفت أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب فإنهم مع ذلك إنما يبدأون بالأهم والأولى[1]. قال سيبويه (ت180 هـ) : «كأنهم يقدمون الذي شأنه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم»[2]. وقال عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ): «واعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فقدم العبادة للاهتمام بها»[3].

وينكر عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) على من يدعي أن يكون التقديم والتأخير بلا فائدة بل لمجرد التوسعة فيقول: «واعلمْ أنّ من الخطأ أن يُقسَّم الأمرُ في تقديمِ الشيءِ وتأخيره قسمين ؛ فيجعلُ مفيداً في بعض الكلامِ، وغير مفيد في بعض، وأن يعلَّل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعةٌ على الشاعر والكاتب، حتى تطّرد لهذا قوافيه، ولذاك سجعُه، ذاك لأنَّ منَ البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدلّ تارة ولا يدلّ أخرى، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفِعل في كثير من الكلامِ أنه قد اختصّ بفائدة لا تكون تلك الفائدة معَ التأخيرِ، فقد وجبَ أن تكونَ تلك قضيةً في كلَّ شيءٍ وكلَّ حال»[4].

- أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به وذلك كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾[5] بتقديم المجرور على المفعول الأول لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله لا إلى إلى مطلق الجعل.
- الاختصاص وذلك بتقديم المفعول والخبر والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل

---

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3ص234

2 الكتاب، سيبويه، ج1ص34

3 دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تح: د. التنجي، ج1ص97

4 المرجع السابق، ج1ص99

5 سورة الأنعام (06 : 100)

كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك. وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1] أي إن كنتم تخصونه بالعبادة[2].

أما ابن قيم الجوزية (ت751 هـ) فيربط سر تقدم الكلم بعضه على بعض إلى عامل نفسي وذلك بتقدم دلالته في الجنان فينطبق ذلك التقديم عند النطق به باللسان فيقول: «ما تقدم من الكلم فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان، والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال، فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخَلَد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة، أو بأكثرها، سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتُّب الألفاظ بحسب ذلك، نعم وربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفة والثقل، لا بحسب المعنى، كقولهم: "ربيعة ومضر" وكان تقديم مضر أولى من جهة الفضل، ولكن آثروا الخفة ؛ لأنك لو قدمت مضر في اللفظ كثرت الحركات وتوالت فلما أخرت وقف عليها بالسكون»[3].

اقترنت العديد من الأسماء الحسنى بأقرانها وكان لهذا الاقتران ترتيب تحافظ عليه في أغلب الآيات، فنجد مثلا: الغفور الرحيم، حيث تتقدم المغفرة على الرحمة في أغلب الآيات التي يقترن فيها اسم الغفور بالرحيم، ذلك أن الرحمة من لوازم المغفرة، ولأنّ (الرّحيم) يؤكِّد معنى (الغفور): ليُطمئِن أهل العمل الصّالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليَسْتَدعي أهلَ الإعراض والصدوف، إلى الإقلاع عمّا هم فيه[4].

يقول ابن قيم (ت751 هـ): « وأما تقديم الغفور على الرحيم فهو أولى بالطبع لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة تطلب قبل الغنيمة وفي الحديث أن النبي ﷺ قال

1 سورة البقرة (02 : 172)

2 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3ص235-237

3 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1ص107

4 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج8 ص212

لعمرو بن العاص ﷺ: « أبعثك وجها يسلمك الله فيه ويغنمك، وأزعب لك زعبة* من المال»[1]. فهذا من الترتيب البديع بدأ بالسلامة قبل الغنيمة وبالغنيمة قبل الكسب.

ومنه تقدم العزيز على الحكيم، لأنه عزَّ، فلما عزَّ حكم، وربما كان هذا من تقدم السبب على المسبب»[2]، وإن كان من الحكمة وهي كمال العلم والإرادة المتضمنين اتساق صنعه وجريانه على أحسن الوجوه وأكملها، ووضعه الأشياء مواضعها، وهو الظاهر من هذا الاسم، فيكون وجه التقديم أن العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم، وهو سبحانه الموصوف من كل صفة كمال بأكملها وأعظمها وغايتها، فتقدم وصف القدرة لأن متعلقه أقرب إلى مشاهدة الخلق، وهو مفعولاته تعالى وآياته، وأما الحكمة فمتعلقها بالنظر والفكر والاعتبار غالبا، وكانت متأخرة عن متعلق القدرة. أو أن الحكمة غاية الفعل فهي متأخرة عنه تأخر الغايات عن وسائلها فالقدرة تتعلق بإيجاده والحكمة تتعلق بغايته فقدم الوسيلة على الغاية لأنها أسبق في الترتيب الخارجي[3].

ومما تقدم بالرتبة ذكر "السمع والعلم" حيث وقع، فإنه خبر يتضمن التخويف والتهديد، فبدأ بالسمع لتعلقه بما قرب كالأصوات وهمس الحركات، فإن من سمع حِسَّك وخفيَّ صوتك أقرب إليك –في العادة– ممن يقال لك أنه يعلم، وإن كان علمه تعالى متعلقا بما ظهر وبطن، وواقعا على ما قرب وشَطَن، ولكن ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم[4].

ونجد الحكيم العليم أيضا، فيتقدم العلم على الحكمة في معظم الآيات، كمثل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾[5]. قدّم الله

* أعطيك دفعة من المال، والزعب: هو الدفع، يقال: جاءنا سيل يزعب زعباً، أي: يتدافع.

1 الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1: 1419هـ-1998م، ص112 (ح/299)

2 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1ص109

3 ينظر: المرجع السابق، ج1ص119

4 ينظر: المرجع السابق، ج1ص112

5 سورة البقرة (02 : 32)

سبحانه وتعالى العليم على الحكيم في هذه الآية ؛ لأنه هو المتصلُ بسياق الآية في قولِه: (عَلَّم) وقوله: (لا عِلْمَ لنا)، فناسب اتصاله به، ولأن الحكمة ناشئةٌ عن العلم وأثر له، وكثيراً ما تُقدم صفة العلْم عليها، قال ابن عاشور (ت1393 هـ): «وتعقيب العليم بالحكيم من اتباع الوصف بأخص منه، فإن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم، لأن الحكمة كمال في العلم فهو كقولهم: خطيب مصقع، وشاعر مفلق»[1]. قال أبو حامد (ت505 هـ): «الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن المعرفة بأفضل الأشياء، فأفضل العلوم العلم بالله وأجل الأشياء هو الله وقد سبق أنه لا يعرفه كنه معرفته غيره وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم فهو الحكيم الحق لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي القديم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليها خفاء، ولا شبهة ولا يتصور ذلك إلا في علم الله»[2].

إلا أننا نجد بعض الآيات تخالف الترتيب المعهود والغالب، فنجد الرحيم قد تقدم على الغفور في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾[3]، وتأويل ذلك أنه لما كان من جملة أحوال ما في الأرض أعمال الناس وأحوالهم من عقائد وسير، ومما يعرج في السماء العمل الصالح والكَلم الطيّب أتبع ذلك بقوله: (وهو الرحيم الغفور) أي الواسع الرحمة والواسع المغفرة. وهذا إجمال قصد منه حث الناس على طلب أسباب الرحمة والمغفرة المرغوب فيهما، فإن من رغب في تحصيل شيء بحث عن وسائل تحصيله وسعى إليها، وفيه تعريض بالمشركين أن يتوبوا عن الشرك فيغفر لهم ما قدموه[4]. وكذلك فإن المقام هنا مقام تفضل وإنعام، وإحسان وإكرام قدمت الرحمة على المغفرة، لأن المغفرة لا تكون إلا

---

1 التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص416

2 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص120

3 سورة سبأ (34 : 02)

4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج22ص138

عن ذنب وتقصير ولم يذكر في الآية تصريح بذلك. يقول البقاعي (ت885 هـ) في نظم الدرر وهو يربط دلالة الصفتين مع سياق الآية السابقة لهما مبينا سر اختيارهما: «ولما كان الحاصل من هذا المتقدم –الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ– أنه رب كل شيء، وكان الرب لا تنتظم ربوبيته إلا بالرفق والإصلاح، وكان ربما ظن جاهل أنه لا يعلم أعمال الخلائق لأنه لو علمها ما أقر عليها، أعلم أن رحمته سبقت غضبه، ولذلك قدم صفة الرحمة، ولأنه في سياق الحمد، فناسب تقديم الوصف الناظر إلى التكميل على الوصف النافي للنقص فقال: (وهو) أي والحال أنه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للأبدان، «الرحيم» أي المنعم بما ترضاه الإلهية من إنزال الكتب وإرسال الرسل لإقامة الأديان، «الغفور» أي المحاء للذنوب»[1].

ونجد الحكيم أيضا قد تقدم على العليم في عدة مواضع، بعد أن رأينا تقدم العليم على الحكيم في آيات كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾[2]. لما كان الإله لا يصلح للألوهية إلا إذا كان يضع الأشياء في محلها بحيث لا يتطرق إليه فساد، ولا يضرها إفساد مفسد، وكان لا يكون كذلك إلا ممن كان وصفه أنه البليغ الحكمة والبالغ في العلم إلى حد لا تتصوره العقول، قال: «وهو الحكيم العليم». يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير: «بعد أن وُصف الله بالتفرد بالإلهية أُتبع بوصفه بـ «الحكيم العليم» تدقيقاً للدليل الذي في قوله: «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله»، حيث دل على نفي إلهية غيره في السماء والأرض واختصاصه بالإلهية فيهما لما في صيغة القصر –المتمثلة في ضمير الفصل– من إثبات الوصف له ونفيه عمن سواه، فكان قوله: «وهو الحكيم العليم» لأن الموصوف بتمام

1 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص151

2 سورة الزخرف (26: 84)

الحكمة وكمال العلم مستغن عما سواه فلا يحتاج إلى ولد ولا إلى بنت ولا إلى شريك»[1].

وكذلك الشأن بالنسبة لاسميه العزيز الرحيم، ففي قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾[2] فإنما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً. والمراد أنهم مع كفرهم وقدرة الله على أن يعجل عقابهم لا يترك رحمتهم بما تقدم ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات، ثم من إعطاء الصحة والعقل والهداية[3].

ويمكننا أن نربط تأخر وتقدم الأسماء الحسنى ببعض الأسباب التي ذكرها الزركشي (ت794 هـ) في حديثه عن أسباب التقديم والتأخير وقد ذكرنا بعضا منها في التمهيد لهذا المبحث، فمثلا تأخر الغفور وتقدم الرحيم، فيكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة، وهذا ملاحظ فإن الفاصلة التي تسبق هذه الآية هي قوله «الخبير» تتناسب والفاصلة «الغفور» لذلك ختمت بها هذه الآية.

أما التقديم من أجل الاهتمام وأنهم يقدمون الذي شأنه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم، فإنه واضح فسياق الآية سياق حمد يتحدث عن ربوبية الله وأنه خالق كل شيء، ولا تنتظم ربوبيته إلا بالرفق والإصلاح كما بينا لذلك قدمت الرحمة على المغفرة لأهميتها وإن كانا جميعا يحظيان بأهمية كبيرة ولذلك جمع الله بينهما.

ويرى الزركشي (ت794 هـ) أن التأخير قد يكون بسبب تقديم العام على الخاص؛ فيقول: تأخرت المغفرة لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم، وهو قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾

1 تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج25ص268

2 سورة الشعراء (43 : 09)

3 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج24ص105

فالرحمة شملتهم جميعا والمغفرة تخص بعضا والعموم قبل الخصوص بالرتبة[1].

والغالب أن السياق هو الذي يقتضي تقديم اسم على آخر في نهاية الآية بمعنى أن الاسم يحاط بسياق يحدد الاسم المتقدم والمتأخر، ففوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٤﴾[2] ختم هذه الآية بهاتين الصفتين (سميع عليم) لأنه تقدم ما يتعلق بهما، فالذي يتعلق بالسمع الحلف لأنه من المسموعات، والذي يتعلق بالعلم هو إرادة البر والتقوى والإصلاح إذ هو شيء محله القلب، فهو من المعلومات، فجاءت هاتان الصفتان منتظمتين للعلة والمعلول، وجاءتا على ترتيب ما سبق من تقديم السمع على العلم، كما قدم الحلف على الإرادة[3].

نفس السبب نذكره في تقديم السميع على البصير، لأن السياق يقتضيه بحيث يكون ذكرها بين الصفتين متضمنا للتهديد والوعيد كما جرت عادة القرآن بتهديد المخاطبين وتحذيرهم بما يذكره من صفاته التي تقتضي الحذر والاستقامة كقوله: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩﴾[4] وقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ١٣٤﴾[5] والقرآن الكريم مليء بمثل هذا[6].

---

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3ص249

2 سورة البقرة (02 : 224)

3 ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420هـ، ج2ص189-190

4 سورة البقرة (02: 209)

5 سورة النساء (04 : 134)

6 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1ص128-129

المبحث الثاني

جمالية النظم بالأسماء الحسنى

❖ إعجاز النظم القرآني:

إن القارئ المجود الذي يقرأ القرآن ويرتله حق ترتيله لِيسمع حركات حروفه وسكناتها، ومداتها وغناتها، واتصالاتها وسكتاتها، سيجد اتساقًا وائتلافًا يسترعي سمعه لا يعروه منه على كثرة ترداده ملل ولا سأم، وسيجد نفسه منها بإزاء لحن غريب عجيب لا يجده في كلام آخر لو جرد هذا التجريد، وجود هذا التجويد[1].

وسيجد اتساقًا وائتلافًا يسترعي من سمعه ما تسترعيه الموسيقى والشعر، على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر، وسيجد شيئًا آخر لا يجده في الموسيقى ولا في الشعر، ذلك أنه يسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتحد الأوزان فيها بيتًا بيتًا، وشطرًا شطرًا، وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبًا متقاربًا، فلا يلبث سمعه أن يمجها، وطبعه أن يملها، إذا أعيدت وكررت عليه بتوقيع واحد، بينما هو من القرآن أبدًا في لحن متنوع متجدد، ينتقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل على أوضاع مختلفة، فلا يعروه منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم، بل لا يفتأ يطلب منه المزيد، هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب[2].

ولهذا فقد كانت العرب إذا اختصمت في القرآن قارنت بينه وبين الشعر، لأنها أحست في نظم القرآن ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون

---

1 ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط12: 1424هـ، ص285

2 ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، مُحَمَّد بن عبد الله دراز، تح: أحمد مصطفى فضيلة، تق: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ، ص134

تقسيمًا منوعًا يجدد نشاط السامع لسماعه، ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعًا بالقسط الذي يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس به آنًا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى، وهذا النحو من التنظيم الصوتي إن كانت العرب قد عمدت إلى شيء منه في أشعارها فذهبت فيها إلى حد الإسراف في الاستهواء، ثم إلى حد الإملال في التكرير، فإنها ما كانت تعهده قط ولا كان يتهيأ لها بتلك السهولة في منثور كلامها سواء منه المرسل والمسجوع؛ بل كان يقع لها في أجود نثرها عيوب تغض من سلاسة تركيبه، ولا يمكن معها إجادة ترتيله إلا بإدخال شيء عليه أو حذف شيء منه[1].

هذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام سواء أكان مرسلا أم مسجوعا حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة لم يعرفوا شيئا قريبا منها إلا في الشعر ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا حتى قال قائلهم وهو الوليد بن المغيرة[2] وما هو بالشعر معللا ذلك بأنه ليس على أعاريض[3] الشعر في رجزه[4] ولا في قصيدة بيد انه تورط في خطأ أفحش من هذا الخطأ حين زعم في ظلام العناد والحيرة أنه سحر لأنه اخذ من النثر جلاله وروعته ومن النظم جماله ومتعته[5].

لقد ذكر الباقلاني (ت403 هـ) مجموعة من العناصر التي جعلت من نظم القرآن وجها من وجوه الإعجاز منها: «أنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم،

1 ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، ص134

2 الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس (ت1هـ): من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. قال حين استمع إلى آيات القرآن: والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته.

3 جمع عروض على غير قياس كأنهم جمعوا عريضا. وهو ميزان الشعر أو الجزء الذي في آخر النصف الأول من البيت. مختار الصحاح.

4 الرجز ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات. وزعم الخليل أنه ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات أو ثلاثة. القاموس المحيط

5 ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد الرحيم الزرقاني، ج2 ص310-311

ومباين لأساليب خطابهم ومن ادّعى ذلك لم يكن له بد من أن يصحّح أنه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى»[1].

لقد جاء القرآن على نسق مختلف عما عهده العرب من أسجاع شعرهم، لذلك فإن الباقلاني وغيره من علماء اللغة قد دافعوا عن القرآن ونفوا عنه الوصف بأنه كلام مسجوع، ومن مستلزمات نفي السجع عنه، أن يذكروا أوجه إعجاز هذا النظم بعد إقرارهم بذلك: « تأليف القرآن ونظمه معجز»، ومن أشهر من دافع على إعجاز نظم القرآن، الجاحظ، الذي ألف كتابا ورد على النظام رأيه في الصرفة، في كتاب: نظم القرآن[2].

والقرآن معجز في نظمه لأنه حاز مقومات الكلام وأركانه، وهي مقومات ذكرها الخطابي (ت388 هـ) بقوله: «وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم به ورباط لهما ناظم، فالقرآن ألفاظه أفصح وأجزل وأعذب الألفاظ، ومعانيه تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها، ولا ترى نظما أحسنَ تأليفا وأشدَّ تلاؤما وتشاكلا من نظمه، ولا تجتمع هذه الفضائلُ الثلاثةُ في كلام واحد، بل على التفرق في أنواع الكلام، وجَمَعَهَا كلام واحد هو كلام الله»[3]، ويؤكد هذا السيوطي (ت911 هـ) حيث يقول: «أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه»[4]، ثم يربط ذلك بتأليف الكلام الذي يراه مؤلفا من خمسة أقسام: «**الأولى:** ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحروف. **والثانية:** تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذي يتداوله. الناس جميعا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له: المنثور

1 أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، ص18
2 ينظر: إعجاز القرآن، أبوبكر الباقلاني، ص8
3 بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو سليمان حمد بن محمّد الخطابي، ص27
4 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج4 ص12

من الكلام. **والثالثة:** ضم بعض ذلك إلى بعض ضما له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج، ويقال له: المنظوم. **والرابعة:** أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع. **والخامسة:** أن يجعل له مع ذلك وزن ويقال له الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة»[1].

فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكلٍ مِنْ ذلك نظمٌ مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها.

1 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج4 ص13

❖ الأسماء الحسنى جزء من النظم القرآني:

يقصد بنظم القرآن طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها مع أخواتها في قالب محكم، للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظام[1]. وتقوم نظرية النظم عند عبد القاهر على عدم المفاضلة بين اللفظ والمعنى، وتتحقق الفصاحة عنده بعد التأليف وصوغ العبارة، لأن الكلمة في حال إفرادها لا تفضل غيرها وإنما يظهر التمايز في إطار السياق وحسن الأداء، وتمام المعنى[2]. يقول عبد القاهر (ت471 هـ): «وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من معنييهما، وبالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤدّاها؟»[3].

إن النظم القرآني البديع بهر العرب بحسن مبادئ الآي والمقاطع وتماسك الكلمات واتساقها في التراكيب، وقد تأمّلوه آيةً آيةً، وعُشراً عُشراً، وسورة سورة، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة يُنكر شأنها أو يُرى غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى، بل وجدوا اتساقاً ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً بهر العقول وأعجز أهل الحكم والبلاغات، ولم يدع في نفس واحد منهم موضع طمع حتى خرست الألسن أن تدّعي وتتقوّل[4].

1 ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، 133

2 رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين، حامد قنيبي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العددان71، 72- 1406هـ، ص177

3 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص44-45

4 مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص134

ومجيء النظم القرآني على هذا الشكل من الإتقان والإحكام إنما يعود . كما يقول ابن عطية (ت542 هـ). إلى أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علماً فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطة أي لفظة تصلح أن تبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، فلهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام[1].

ويعود سر الإعجاز في القرآن إلى نظمه، قال الرافعي: «كأن البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه، وأنواع البلاغة إنما هي وجوه التأليف بين معاني الكلمات، وأنت تعلم أن سر الإعجاز هو في النظم، وأن لهذا النظم ما بعده؛ وقد علمت أن جهات النظم ثلاث: في الحروف، والكلمات، والجُمل»، وللنظم القرآني مزاياه تميزه عن غيره، يمكن ذكر بعضها:

1. التناسق بين العبارة والمعنى المراد:

إنّ التناسق الكامل والتآلف التام بين العبارة القرآنية والمعنى الذي يراد بيانه وتوضيحه؛ من أهم مميزات النظم القرآني، لأن فالألفاظ في النظم يلائم بعضها بعضا وهي كلها متوجهة إلى الغرض المنشود بحيث إذا كان المعنى غريبا كانت ألفاظه غريبة وإذا كان المعنى معروفا مستحدثا كانت الألفاظ تناسبها[2]، هذا ما اشار إليه عبد القاهر: «ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها –أي الألفاظ– في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض»[3].

---

1 ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي المحاربي، ج1 ص52

2 مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص134

3 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص87

كل لفظة من ألفاظ القرآن تمثل الانسجام والتناسق بينها وبين غيرها من الألفاظ، ثم بينها وبين المعنى المراد تحقيقه، والأسماء الحسنى جزء من هذا النظم وهي بدورها تحقق تناسقا عجيبا:

تُختار أسماء الله الحسنى اختيارا يدل على حسن النظم، ومحققة ائتلاف المعاني، وسنكتشف ذلك من خلال الثنائيات «غفور رحيم» و«غفور حليم» و«غفور شكور»، قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾[1]، لما كانت الآيات للمؤاخذة التي هي معالجة كل من المتناظرين لصاحبه بالأخذ كان الحلم أنسب الأشياء، لذلك ختمت الآية بـ «حليم» لا يعاجلهم بالأخذ. والحلم احتمال الأعلى للأذى من الأدنى، وهو أيضاً رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم[2]. ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون الرحيم، لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى، فلذلك وصف الله نفسه بالحليم، لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة[3]. ثم قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾[4] فلما كان ذكر المؤاخذة قطعاً لقلوب الخائفين سكنها بقوله مظهراً موضع الإضمار إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه: ﴿الله﴾ أي مع ما له من العظمة ﴿غفور﴾ أي ستور لذنوب عباده إذا تابوا[5]، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور

1 سورة البقرة (02 : 225)

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص426

3 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2ص384

4 سورة البقرة (02 : 226)

5 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص425

كل لفظة بلفظة من جنسها في الاستعمال توخيا لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم[1].

أما سر ارتباط «شكور» بـ «غفور» بدل رحيم، فيمكن الوقوف عليه من خلال قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾[2]، إنا قد ارتكبنا من المساوئ ما لم ينفع معه شيء، قال نافياً لذلك على سبيل التأكيد مبيناً القول إلى الاسم الأعظم: ﴿إن الله﴾ أي الذي لا يتعاظمه شيء ﴿غفور﴾ لكل ذنب تاب منه صاحبه أو كان يقبل الغفران وإن لم يتب منه إن شاء، فلا يصدّنّ أحداً سيئة عملها عن الإقبال على الحسنة. ولما كان إثبات الحسنة فضلاً عن الزياة عليها لا يصح إلا مع الغفران، ولا يمكن أن يكون مع المناقشة، فذكر ذلك الوصف الذي هو أساس الزيادة، أفادها –أي الزيادة– بقوله: ﴿شكور﴾ فهو يجزي بالحسنة أضعافها ويترك سائر حقوقه[3].

وهكذا لو ذهبنا نستعرض الآيات القرآنية في موضوع من الموضوعات المذكورة فيه نجد هذا التناسق وهذا الانسجام بين المعاني والألفاظ المختارة لأدائها فلا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد، بل الألفاظ تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها، كما أن الألفاظ عربيّة مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة سلسة كالماء في السلاسة والعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة[4].

---

1 مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص136

2 سورة الشورى (42 : 23)

3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص625

4 ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص137

2. الاختيار الأنسب للكلمة المعبِّرة:

اهتم النظم القرآني باختيار الاسم المناسب الذي يتميز بحسن الجرس من أجل أداء وظيفته في الإيقاع كما أنه يؤدي دورا هاما في تصوير المعنى وإيضاحه على أكمل وجه. اسم الله «الرحمن» من أكثر أسماء الله التي وردت منفردة إضافة إلى أنه الاسم الوحيد الذي صح مجيئه بدلا عن لفظ الجلالة «الله»، وقد اكتفي به في عدة سور من القرآن، بالإضافة إلى تواجده في البسملة في كل سور القرآن ماعدا سورة التوبة، وقد اختصت بعض السور بهذا الاسم منها سورة الرحمن، ومن بديع أسلوبها افتتاحها الباهر باسمه «الرحمن» وهي السورة الوحيدة المفتتحة باسم من أسماء الله لم يتقدم عليه غيره.

والافتتاح باسم الرحمن فيه تشويق جميع السامعين إلى الخبر الذي يخبر به عنه إذ كان المشركون لا يألفون هذا الاسم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[1]، فهم إذا سمعوا هذه الفاتحة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١﴾[2] ترقبوا ما سيرِد من الخبر عنه، والمؤمنون إذا طرق أسماعهم هذا الاسم استشرفوا لما سيرد من الخبر المناسب لوصفه هذا مما هم متشوقون إليه من آثار رحمته، وأوثر استحضار الجلالة باسم ﴿الرحمن﴾ دون غيره من الأسماء لأن المشركين يأبون ذكره فجمع في هذه الجملة بين ردَّين عليهم مع ما للجملة الاسمية من الدلالة على ثبات الخبر، ولأن معظم هذه السورة تعداد للنعم والآلاء[3].

وسورة «مريم» أكثر السور التي تضمنت اسم «الرحمن» وقد تكرر أكثر من خمس عشرة مرة، فأنبأ ذلك أن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف[4].

---

1 سورة الفرقان (25 : 60)

2 سورة الرحمن (55 : 01)

3 تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج27ص229-231

4 ينظر: المصدر السابق، ج16ص60

وسيتبين من خلال ذكر المواضع التي ورد فيها اسم «الرحمن» في هذه السورة، أنها مواضع مختلفة المعاني والمقاصد، وأن هذا الاسم وإن كانت له نفس دلالة الصيغة، فإن بتغير المواضع التي يرد فيها يتغير مدلوله والمقصد من ذكره:

فقد ابتدئ ذكره في سياق الحديث عن الصديقة مريم حين أرشدها صغيرها إلى المخرج من مواجهتها لمجادليها، وإيثارها لاسم الرحمن دون غيره، لأنه الاسم المعبر عن حالها حين فقدت السند والمعين، فلم تجد إلا هو سبحانه: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾[1]، «الذي عمت رحمته فأدخلني فيها على ضعفي وخصني بما رأيت من الخوارق»[2]. ثم يأتي حديث إبراهيم عليه السلام، ودعوته لوالده:﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾[3]، « قد يبدو التهديد بالعذاب لا يتناسب معه ذكر الاسم الدّال على الرّحمة، بل يناسبه من الأسماءِ ما دلّ على القوّة والانتقام؛ كالقهّار والقويّ والعزيز، ولكنّ عند التأمّل يظهر أنّ المقام مقام دعوة وتلطّف، فناسب في مقام ذكرِ الوعيدِ أن يورد الاسم الدّالّ على الرّحمة، ترغيبا لأبيه وتلطّفا معه»[4]، فاختيار لفظ الشيطان الذي هو «شديد العصيان للرب الواسع الرحمة، وذكر وصف عصيا الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة فعل (كان) للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه وأنه متمكن منه، فلا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة، أي بما يفضي إلى النقمة، ولذلك اختير وصف الرحمان من

1 سورة مريم (19 : 45)

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج4 ص530

3 سورة مريم (19 : 44-45)

4 أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتفسير القُرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط3: 1434هـ، ص115

بين صفات الله تعالى تنبيها على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته»[1]،

ثم يأتي السياق ليتحدث عن تنزيه الله نفسه عن اتخاذ الولد، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾[2]، «فذكر الرحمن هنا وضع للمرادف في موضع مرادفه، فذكر اسم الرحمن لقصد إغاظتهم بذكر اسم أنكروه، وفيه أيضا إيماء إلى اختلال قولهم لمنافاة وصف الرحمان اتخاذ الولد، كما في: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾[3]»[4].

وبهذا يلاحظ أن القرآن الكريم يتناول من أسماء الله أنسبها دلالة على المعنى وأتمها تصويرا وتشخيصا للصورة وأجملها وأحلاها إيقاعا ووزنا بالنسبة إلى نظائرها.

3. الاهتمام بالانسجام بين اللفظ والموسيقى:

نزل القرآن على رسول الله ﷺ بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب في خصائصها العجيبة وما تقوم به، مما هو السبب في جزالتها ودقة أوضاعها وإحكام نظمها واجتماعها من ذلك على تأليف صوتي يكاد يكون موسيقياً محضاً، في التركيب، والتناسب بين أجراس الحروف والملاءمة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذي يؤديه[5].

يتميز النظم القرآني بخاصية التناسق بين الكلمات في الجملة الواحدة وبين حروف الكلمة الواحدة، ففي الكلمة يبرز التناسب بين الحروف تناسبا طبيعيا في الهمس والجهر والشدة واللين والتفخيم والترقيق مما يشكّل أنغاما متناسقة متناسبة، وهذه الخاصية تعود بلا شك إلى طريقة اختيارها وسبكها وتناسب مخارجها، كما أن وضع الكلمة في الآية

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج16 ص117
2 سورة مريم (19 : 88)
3 سورة مريم (19 : 92)
4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج16 ص170
5 ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص35

واختيار موقعها والتئامها مع جاراتها له الأثر الكبير في إعطاء هذا الجرس الخاص والإيقاع المؤثر في نفس السامع[1].

ويؤكد هذا ما ذكره الرافعي في سياق الحديث عن التأليف المعجز للنظم القرآني: «لما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جُمله، ألحاناً لغوية رائعة؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمرٌ لا قِبل لهم به، وكان ذلك أبينَ في عجزهم؛ حتى إن من عارضه منهم، كمسيلمة، جَنَحَ في خرافاته إلى ما حسبه نظماً موسيقياً أو باباً منه وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني، كأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية، وإنَّما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها؛ وليس يتفق ذلك في شيء من كلام العرب إلا أن يكون وزناً من الشعر أو السجع»[2].

والاهتمام بالإيقاع والانسجام في اللفظ والنغم، يقوم على الإتيان بالكلمة المناسبة فتوضع في مكان معيّن من العبارة بحيث لو تغيّر وضعها تقديما أو تأخيرا أو حذفا لاختل ذاك التناسق اللفظي وذاك الوزن الخاص، وقد تم الإشارة إلى اهتمام النظم القرآني بالإيقاع في مبحث الفاصلة القرآنية، وأنه قد يؤتى بها أحيانا حفاظا على هذا النسق والنغم[3].

في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾[4] اختير اسم الرحمن لما فيه التناسق مع بقية الكلمات خاصة اشتمالها على المقطع (ان) ولو حذفت هذه الكلمة أو استبدلت باسم آخر لاختلّت

---

1 مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص136-137

2 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص35

3 ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص141

4 سورة الرحمن (55 : 01-05)

الفاصلة ولتأثّر الإيقاع، خاصة وأن جميع فواصل الآيات اللاحقة تنتهي بحرف النون، ولذلك اختير من الأسماء ما يتناسب وتلك الفواصل.

ومن هنا يبدو بجلاء سبب إطلاق العرب الأوائل في بداية نزول الوحي اسم الشعر على القرآن الكريم، لأنهم لم يعهدوا هذا الوزن وهذا النغم إلا في الشعر، ولكنهم عندما قاسوه على أوزان الشعر المعهودة لديهم، وجدوا القرآن الكريم- بالرغم من اشتماله على روعة الشعر وإيقاعه وحساسيّته وتآلف كلماته واستخدامه التصوير البارع في التعبير، والمنطق الساحر في الإقناع- لم يتقيد بقيود الشعر الكثيرة من قافية موحدة وتفعيلة تامة. لذا وجدوا أن القرآن الكريم ملك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة كما أنه بفواصله الخاصة به قد أوجد الإيقاع الخاص به فلم يملك قائلهم إلا أن يقول: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته[1].

---

1 ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص141-142

❖ إيقاعية الأسماء الحسنى في النظم القرآني:

يتخذ القرآن من الإيقاع وسيلة للتأثير ولتأدية الغرض الديني المنشود، إذ أنه ليس مقصودا لذاته، فيجعل منه وسيلة للتأثير والتمكين قصد الاستجابة والإذعان؛ ذلك أن للإنسان جانباً وجدانياً، فلا مناص من مخاطبة هذا الجانب بلغة النظم الفني وجماله، وهو بهذا، آل إيقاعاً قرآنياً مميزاً، إنه «تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في وصف حروفه وترتيب كلماته ترتيباً دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم»[1].

إن اهتمام العلماء بالإيقاع وحرصهم على بيان جماليته سببه خروج هذه الإيقاعية عن منظومة أشعار العرب، وما ألفوه فيها، ولذلك فالإيقاع القرآني هو تلك الظاهرة المتمثلة في «اتساق القرآن وائتلاف حركاته وسكناته، ومداته وغناته، واتصالاته، وسكتاته، ذلك ما يسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور»[2].

ولا شك في أن نظم القرآن يقوم جماله على الإيقاع، ولهذا يقول الدكتور محمد زغلول سلام: «قامت في آخر القرن الثالث وطوال القرن الرابع دراسة جامعة شاملة مستقلة لإعجاز القرآن، من ناحية نظمه، وعلى أساس الدرس البياني لأسلوب القرآن، وطرق تعبيره المختلفة، وكانت أصول هذه الدراسات قد نجمت من قبل في دراسات القرآن وسبقت الإشارة إليها من مثل كتاب "نظم القرآن" "للجاحظ"»[3].

لقد امتاز الخطاب القرآني بوجود إيقاعية جمالية، جعلته يختلف عن غيره من النصوص، وهو ما يظهر جليا في الخطاب القرآني المكي على وجه الخصوص، فهو «يتشكل تحت أشكال إيقاعية متنوعة، غنية، متجددة، متفاوتة النفس، متمايزة النغم»[4]؛

---

1 مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج 2 ص 194

2 التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، ط4: 1980م، ص185

3 أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط2: 1961م، ص232

4 نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، د. عبد الملك مرتاض، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2001م، ص267

وقد تجسد الاختلاف في أنواع الإيقاع جلياً في السور القصار حيث يأتي إيقاعها قصيراً في فواصله، كسورة "المدثر"، وسورة "الفرقان"، وهذا بخلاف بعض السور الطوال، حيث تكون الفواصل متباعدة.

لم يخرج القرآن عن معهود العرب في لغتهم: «من كلماتهم –أي العرب– تألفت تراكيبه، وعلى قواعدهم العامة في صياغة هذه المفردات وتكوين التراكيب جاء تأليفه، ولكن المعجز والمدهش، أنه مع دخوله على العرب من هذا الباب الذي عهدوه، ومع مجيئه بهذه المفردات والتراكيب التي توافروا على معرفتها... فإن القرآن مع ذلك، قد أعجزهم بأسلوبه الفذ... ولو دخل عليهم من غير هذا الباب الذي يعرفونه، لأمكن أن يلتمس لهم عذر أو شبه عذر، وأن يسلم لهم طعن أو شبه طعن»[1].

وقد اجتمع فيه كل من التآلف وموافقة القياس والجمع بين الخبر والإنشاء والنفي والإثبات والإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير والفصل والوصل، وما إلى ذلك ما لا يستطيعه البشر، لكن الله تعالى هو الذي انتهت إليه الإحاطة بجميع أحوال الخلق وحده، هو القادر على تضمين كلامه كل المناسبات التي اقتضتها الأحوال الكثيرة التي لم يحط ولن يحيط بها سواه[2].

إن دراسة الجملة في حقيقة أمرها تتصل اتصالاً مباشراً بدراسة الآية، بمعنى أن الذي يعنيه العلماء بالآية في الغالب هو نفسه ما نعنيه بالجملة على وجه التقريب، وصياغة العبارة القرآنية أو الآية، يأتي في الجانب الأعلى من السمو البلاغي الذي هو الإعجاز ذاته، وبيان ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾[3]

1 مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد عبد العظيم الزُّرقاني، ج2 ص304

2 ينظر: المرجع السابق، ج2 ص308

3 سورة الشورى (42 : 03-04)

إذ يلاحظ بين كلمات الآيتين وبالأخص بين أسماء الله أنها تحقق تقابلاً موسيقياً في عدد الحروف وحركاتها؛ إنها بنية فريدة لعبارات القرآن التي شكلت خاصية سمَت بها عن كل بنية قولية منظومة أو منثورة.

ومن دلائل وبراهين اهتمام العبارة القرآنية بالإيقاعية هو تكييف بعض الألفاظ المكونة لهذه العبارة حتى يتم التناسق في الصيغة التعبيرية للعبارة ككل ضمن السياق، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾[1]، حيث ورد اسم الله «الرحمن» دون غيره، إذ كان في الإمكان مجيء الاسم «الله» لكن جيء بالرحمن تجنبا للشعور بالكسر في الإيقاعية، والتناسب مع اسم النبي «هارون» الذي يتفق مع اسم «الرحمن» في الختم بحرف النون، فكان ورود اسم «الرحمن» قد أدى غرضاً فنياً بتجسيد هذه الإيقاعية في العبارة ككل، هذا بالإضافة إلى الغرض المعنوي، وهو أن اختيار اسم الرحمن يشعر بالتحفيز على الإقبال إلى الله المتصف بالرحمة الواسعة.

ومن اللمسات الإيقاعية في الخطاب القرآني، تكرار بعض العبارات وهو تكرار ليس فيه تكلف، وقد ورد في أشكال متعددة، فأحيانا يكون تكرارا للعبارة كما تكررت الآية ﴿فبأى آلا ركما تكذبان﴾ في سورة الرحمن وفيها تذكير وتقرير لنعمه، وأحيانا تكرارا لأجزاء العبارة أو الفاصلة من كلمات وحروف كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾[2]، وقد تكررت في بداية السورة كلمة " الميزان " ثلاث مرات متتابعة دونما نبو أو

1 سورة (20 : 90)

2 سورة الرحمن (55 : 07-09)

ملل: قد أشاع كذلك لحناً صوتيًّا عذباً كان بمثابة مقدمة طبيعية لتلائم صور التكرار ولتألفها النفس وتأنس بها فلا تهجم عليها هجوماً؛ لأن القرآن قد راعى فى فواصل المقدمة التمهيدية ما انبنت عليه فواصل الآية المكررة، وفي كل الأحوال فإن هذا التكرار باختلاف أنواعه يحدث إيقاعية خاصة للخطاب القرآني[1].

ومن أمثلة تكرار العبارة أيضا، تكرار قوله: ﴿أإله مع الله﴾ الذي فيه تذكير وإقرار بألوهية الله واستحقاقه للعبادة، يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[2] إن المتأمل في عبارة «أإله مع الله» المتكررة في سورة النمل خمس مرات يلفيها تحدث إيقاعية مميزة عن باقي الآيات التي سبقت هذه المقاطع، أو التي تلت هذه المقاطع؛ ذلك أن عبارة «أإله مع الله»، كانت لها ميزة إيقاعية خاصة، غير أن هذا التميز الإيقاعي، هو في الوقت ذاته يتنوع بتنوع ما قبله وما بعده، ولو لم يكن كذلك، لكان ضرباً من التكرار الممل.

---

1 ينظر: القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم – دمشق، ط1: 1428هـ، ص568

2 سورة النمل (27 : 60-64)

وبالإضافة إلى ما يحدثه التكرار من إيقاع صوتي، فإنه له تأثيرا في بهاء المعنى وقوته، «ذلك أنه في بناء الجملة الصوتي هناك تأثير متبادل بين الصوت والمعنى، ففي الوقت الذي يؤثر فيه السياق والمعنى على إقامة علاقات وروابط بين التتابع الصوتي للكلمات والجمل ممثلاً في التكرار فإن الأصوات تؤثر من جهة ما توفره من إيقاعات وتناغم تزيد من بهاء المعنى وتقربه من قلب المتلقي»[1].

وهذا الذي ذكر، يتجلى أكثر في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾[2] في سورة الرحمن، فهذه العبارة التي تكررت إحدى وثلاثين مرة، والتي أحدثت إيقاعية مميزة، نجدها تتنوع بتنوع السياق المدرجة فيه؛ إذ المتفحص في عبارة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ يجد إيقاعيتها يسودها التذكير بنعم الله، وذلك من الآية الأولى إلى غاية الآية الثلاثين، وتارة يسودها الوعيد والتعجيز من الله تعالى، وذلك من الآية الواحدة والثلاثين إلى الرابعة والأربعين، ثم تارة أخرى نلفي هذه الإيقاعية يسودها ذكر ثواب المتقين وجزاء العاملين، وذلك من الآية الخامسة والأربعين إلى الآية السابعة والسبعين، وإلى جانب هذا فعلى الرغم من هذا العدد الكبير الذي تكرر في هذه السورة الواحدة؛ فقد أضفت هذه العبارة على السورة إيقاعية طبعتها بالجمال المعجز، فتأمُّل لفظ "آلاء"، يُشعِر سمعاً أن الحروف بإيقاعها المجزأ صاعدة نحو السماء، هابطة تلامس عقول البشر على الأرض... بقوله تعالى: "ربكما"، فـ "ربكما" بالمد في آخرها تثبت سيطرة الخالق على الكون وما فيه، وكذلك قوله: "تكذبان"، فـ "الباء" بمدها هو مد نحو الأعلى في الإيقاع، وهو خطاب للمثنى هما الجن والإنس اللّذان يكذِّبان ما نزل من الأفق الأعلى و"النون" نزول طبيعي للأرض بخطاب للبشر والجان[3].

1 الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ناضم عودة خضر، دار الشروق، عمان، الأردن، ط2: 1997م، ص85
2 سورة الرحمن (55 : 13)
3 ينظر: معجزة حروف القرآن، حليمة مدرس بوداود، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، (دلتا)، ص146

ولا يمكن إهمال قيمة الإيقاع الذي يحدثه اسم الله الرحمن، الذي وقبل أن نبرح الكلام عن الإيقاعية بتكرار العبارة في القرآن، يجب أن نذكر في هذا المقام أن ما نعني به من لفظة (تكرار) هو في جوهره ليس تكراراً، وما ينبغي له أن يكون؛ ذلك أن ارتباط العبارات التي تبدو مكررة في القرآن بوظائف كثيرة ومتنوعة يخرجها من دائرة التكرار المتعارف عليه.

«الرحمن» أي العام الرحمة، ومن مقتضى اسمه «الرحمن» انبثت جميع النعم، ولذا ذكر في هذه السورة أمهات النعم في الدارين، ولما كان لا شيء من الرحمة أبلغ ولا أدل على القدرة من إيصال بعض صفات الخالق إلى المخلوق نوع إيصال ليتخلقوا به بحسب ما يمكنهم منه فيحصلوا على الحياة الأبدية والسعادة السرمدية قال: «علَّم القرآن» ولا يخفى ما في تقديمه على جميع النعم من المناسبة لأن أجل النعم نعمة الدين التي تتبعها نعمة الدنيا والآخرة، وهو أعلى مراتب النعم، فهو سنام الكتب السماوية وعمادها ومصداقها[1].

إن النص القرآني العظيم قام جزء من إعجازه على إيقاعيته التي تحدَّت مع غيرها من أساليب نظم القرآن فصحاء العرب وبلغاءهم من شعراء وخطباء، وما دام الأمر على هذا الحال، فإن هذا التحدي، قد تجسد أكثر في هذه الإيقاعية التي شملت النص القرآني: «من إيقاعية الحروف التي تجتمع بدورها لتؤلف إيقاعية الكلمات، والتي تجتمع بدورها أيضاً لتؤلف إيقاعية الجمل والعبارات، لتشكل في الأخير بنية إيقاعية قرآنية معمارية، تصب في الخطاب القرآني ونظمه بشكل عام، وهي بنية على غاية من الروعة والجمال؛ إذ أنّ هذه البنية المعمارية الإيقاعية الفريدة في كلماتها وعباراتها وفقراتها وسورها، جعلت النص القرآني يمتاز بخاصية سما بها فوق كل خطاب»[2].

---

1 نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، ج7 ص372

2 خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم مُحَّد المطعني، عبد العظيم إبراهيم مُحَّد المطعني، مكتبة وهبة، ط1: 1413هـ- 1992م، ج1 ص297

والمقصود بالنظام الإيقاعي للقرآن اتساق القرآن وائتلافه اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور وبيان ذلك، أن «من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية، وهي مرسلة على وجه السذاجة في الهواء، مجردة من هيكل الحروف والكلمات، كأنْ يكون السامع بعيداً عن القارئ، يشعر من نفسه –ولو كان أعجمياً– بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب، يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى، وترنيم الشعر»[1].

ولزيادة إيضاح إيقاعية النص القرآني، يمكن الوقوف على هذه الإيقاعية التي يحدثها ائتلاف الصيغة واختلاف الموصوف، ومثال ذلك مطلع سورة الزمر حيث ختمت الآيات (03-04-05) واعتمدت فواصلها على نفس صيغة المبالغة «فعَّال» رغم اختلاف الموصوف فالأولى صفة كفَّار، وصف للإنسان، والثانية والثالثة صفتا: قهار وغفار وصف للرحمن، قال الله تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾[2].

مسألة الإعجاز في الخطاب القرآني «تتجسد في هذا الجبروت الخارق من النسج والإيقاع الداخلي، والخارجي والذي هو وارد في إيقاع السورة من جهة، وفي شكل إيقاعات

1 مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2 ص310

2 سورة الزمر (39 : 03-05)

السورة الأخرى الملاحقة المترابطة من القرآن من جهة أخرى»[1]، إضافة الوحدة الفنية لهذا الخطاب، يقول ابن العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم» وقد أشار الزمخشري إلى هذه الوحدة الفنية في سور القرآن، وذلك عند تعداده فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه سورا حيث قال: «.. ومنها: أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر، وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تلاحظ المعاني، ويتجاوب النظم»[2].

هذه الإيقاعية التي لم تكن عملاً فنياً مقصوداً لذاته؛ بل هي مجرد وسيلة سخرها القرآن العظيم للحاجة التي يقتضيها المضمون المتمثل في الجانب الديني. ومن أبرز مظاهر هذا العمل الفني الفاصلة القرآنية، باعتبارها نسيجاً صوتياً إيقاعياً يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال إلى هذا القرآن العظيم؛ ذلك «أن للفاصلة القرآنية وظيفة إيقاعية لا مماراة فيها، وفضلاً عن ذلك، فإنها تؤدي دوراً بنائياً تشكيلياً للنص وهذا يتبدى في الصورة النمطية الطاغية على شكل الخطاب الذي يتحرك به النص»[3].

فبالإضافة إلى تميز القرآن بنظام صوتي متسق «يتجلى في ائتلاف حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكتاته اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور، وذلك أن المستمع لقارئ القرآن حتى ولو لم يميز حروفه وكلماته يشعر وإن كان أعجميا أنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر، لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملها

---

1 نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، د. عبد الملك مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع. الجزائر 2003م، ص 16

2 ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1 ص98، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد129 – السنة 37 – 1425هـ، ص47

3 أدبية الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية توصيفية لفاعلية التبليغ الإعجازي. د. سليمان عشراتي، جامعة وهران. الجزائر. دكتوراه (مخطوط) سنة 1992م، ص 373

والطبع أن يمجها ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالبا وإن طالت على نمط يورث سامعه السأم والملل بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل لأنه يتنقل فيه دائما بين ألحان متنوعة وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة»[1].

وقدرة القرآن على مخاطبة كل العقول وتحريك عواطف جميع قرائه لم ينقص من القيمة الفنية لإيقاعية هذا الخطاب، يقول الزرقاني (ت1367 هـ): «إرضاؤه العامة والخاصة فإذا قرئ على العامة أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، وكذلك الخاصة إذا قرأوه أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام لا في إشراق ديباجته ولا في امتلائه وثروته ولا كذلك كلام البشر فإنه إن أرضى الخاصة والأذكياء لجنوحه إلى التجوز والإغراب والإشارة لم يرض العامة لأنهم لا يفهمونه وإن أرضى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة لم يرض الخاصة لنزوله إلى مستوى ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم»[2]، ففي قوله تعالى يجد كثير من المسلمين صبرا وسلوانا بقراءتهم وتدبرهم هذه الآيات: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾[3] أما الخاصة فإنهم يستبشرون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾[4] أكثر من غيرهم من العامة لدقة ما تحتاجه من فهم واستنباط.

1 مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2 ص309-310

2 المرجع السابق، ج2 ص313

3 سورة النساء (04 : 106)

4 سورة الفرقان (25 : 59)

وأخيرا، من خصائصه أيضا، «جودة سبك القرآن وإحكام سرده أي أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا لا يدانيه فيه أي كلام آخر مع طول نفسه، وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد وآية ذلك أن بين كلمات الجملة والسورة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة مترابطة الأجزاء متعانقة الآيات وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتابا متماسكا ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾[1]».[2]

ويعرف هذا الإحكام والترابط في القرآن من خلال التناسب الواضح فيه من غير تفكك ولا تنافر بينما الموضوعات مختلفة متنوعة، فَمِن تشريع إلى قصص إلى جدل إلى وصف... هذا التناسب هو سر عظمة القرآن الكريم وإعجازه[3].

وقد فصل الدكتور فاضل السامرائي[4] في ترابط أجزاء سورة الفاتحة إحكامها حيث تتناسب وتتناسق أجزاؤها من معنى إلى آخر، وكل معنى قد أخذ بناصية غيره، خاصة في مطلعها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[5] وهذا ملخص ما ذكره: «الحمد: ثناء على الجميل من نعمةٍ أو غيرها مع المحبة والإجلال، أي ؛ أنْ تذكر محاسنَ الممدوح، سواء كان ذلك الثناءُ على صفةٍ من صفاتِهِ الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة، أم على عطائه وتَفضُّلِهِ على الآخرين، فلذلك نسب الحمد لاسم العلم «الله» ليدل على أن الحمد قد استحقه لذاته وليس لوصف من الأوصاف، حيث «أتى باسم الذات في الحمدلةِ لئلا يتوهم لو اقتصر على الصفة، اختصاص استحقاقه الحمد بوصفٍ دون وصف، وذلك لأن اللام على ما قيل

1 سورة الزمر (39 : 28)

2 مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ج2 ص315-316

3 ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء، ص13

4 لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط3: 1423هـ-2003م، ص11-41

5 سورة الفاتحة (01 : 01-04)

للاستحقاق، فإذا قيل: ﴿الحمد لله﴾ يفيد استحقاق الذات له، وإذا علق بصفة أفاد استحقاق الذات الموصوفة بتلك الصفة له»[1]، وكذلك فإن اختيار اسم الله مناسب لقوله: ﴿إياك نعبد﴾، لأن لفظ «الله» مناسبٌ للعبودية، ثم ناسب تعقيب ذلك بكونه ﴿رب العالمين﴾ دليل استحقاقه للحمد لأنه رب كل العوالم، وهو مالكهم وسيدهم، والمنعم عليهم، له التصرف في المَسُود والمملوك والعابد بما أراد من خير أو شرّ. وفي الأخير أتبع ذلك بوصفين «الرحمن الرحيم» ووقوعهما بعد كلمة (الرب) أحسن موقع، فإن هذا الرب الذي لا رَبَّ غيره، والسيد الذي لا سيد سواه رحيمٌ بعباده، فتنبسط نفوسُ العباد، ويقوى أملهم برحمته، وفيه إشارةٌ إلى أن المربي ينبغي أن يتحلى بالرحمة، وأنه لا ينبغي أن يقسو على مَنْ يربيهم ويرشدهم، وجاء بالوصفين للدلالة على أن صفته الثابتة «الرحيم» والمتجددة «الرحمن» هي الرحمة، فرحمته دائمة لا تنقطع، وهو من أحسن الجمع بين الوصفين، ولا يؤدي الوصف بأحدهما ما يؤدي اجتماعهما.

واختلاف القراءة بين «مالك» و«مَلِك» لتجمع بين معنيي الوصفين، فالمالك أكثرُ سلطةً وتصرفاً فيما يملك من الملِك في الرعية، وأرفق بهم، ويدافع عما يملك، ولذا قيل قراءة «المالك» أرجى من قراءة «الملك» لأن أقصى ما يُرْجى من الملكِ العدلُ والإنصاف وأن ينجو الإنسان منه، أما المالك فالعبد يطلب منه الكسوة والطعام والرحمة والتربية، والقراءة بـ «مالك» مناسبة للرحمة في قوله تعالى: «الرحمن الرَّحِيمِ» ومناسبة ليوم الدين، قال صاحب (روح المعاني) : « فالقراءة به أرفقُ بالمذنبين مثلي وأنسب بما قبله»[2]، وأما «الملك» فلا يكون إلا أعظم الناس وأعلاهم، ولا يكون إلا واحداً، في حين أن كل واحد من أهل البلد يكون مالكاً فيكون الملك أشرف من المالك».

في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها: ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه

1 روح المعاني، الألوسي، ج1 ص79
2 المصدر السابق، ج1 ص86

إله محمود، رب محمود، ورحمان محمود، وملك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر[1].

1 ينظر: تفسير القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، ص39

المبحث الثالث

جمالية اللفّ والنشر في الأسماء الحسنى

❖ اللف والنشر في القرآن:

اللفُّ والنشرُ من أنواع المحسِّنات البديعية المعنويَّة، ويُسمَّى أيضًا الطيّ والنشر، وفي اللغة: اللام والفاء أصل صحيح يدل على تلوي شيء على شيء، يقال: لففت الشيء بالشيء لفا[1]، جاء في لسان العرب: ولف الشيء يلفه لفا: جمعه، وقد التف[2].

وفي القاموس: لفّه: ضدّ نشره، كلفّفه، ولفّ الشيء بالشيء: ضمّه إليه، ووصله به، وجاؤوا بلفّهِم ولفيفهم: أخلاطهم، و﴿جِئنا بكم لفيفا﴾: مجتمعين مختلطين من كل قبيلة، وطعام لفيف: مخلوط من جنسين فصاعدا[3].

والنشر في اللغة: نشر الثوب ونحوه ينشره نشرا ونشره: بسطه، والنشر: خلاف الطي[4]، وفي الاصطلاح: «ذكر متعدِّد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكلِّ واحد من غير تعيينٍ؛ ثقةً بأنَّ السامع يردُّه إليه»[5]، و في موضع آخر يشير القزويني أنه من الأساليب العربية التي تعتمد على الثقة في فهم السامع: «والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة، ثقة بأن السامع يرد إلى خبره إلخ»[6].

فهو فنّ في المتعدّدات التي يتعلّق بكلّ واحد منها أمر لاحق، فاللّف يُشار به إلى المتعدّد الذي يؤتى به أوّلاً، والنشر يُشار به إلى المتعدّد اللاّحق الذي يتعلّق كلُّ واحد منه

1 معجم مقاييس اللغة، اين فارس، ج5 ص207 (مادة: لف)

2 لسان العرب، ابن منظور، ج9 ص318 (مادة: لف)

3 القاموس المحيط، الفيروز آبادى، ج1 ص853

4 لسان العرب، ابن منظور، ج5 ص208 (مادة: نشر)

5 الإيضاح في علوم البلاغة، محمّد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، تح: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل-بيروت، ط3، ج2 ص185، والإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي، ج3 ص320

6 الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج2 ص185

بواحد من السابق دون تعيين، فإذا أتى المتكلم بمتعدّدٍ، وبعده جاء بمتعدّد آخر يتعلّق كلّ فرد من أفراده بفرد من أفراد السابق بالتفصيل ودون تعيين سُمِّيَ صَنيعُه هذا "لفّاً ونشراً"، كأن يقول: "طلعت الشمس وبزع القمر نهاراً وليلاً"[1].

يأتي اللف والنشر على أنواعٍ؛ فقد يكون اللفُّ مفصّلا، وقد يكون مجملا، ثمَّ إنَّ للمُفصَّل مع النشر ضربين:

النوع الأول: النشر المرتَّب على ترتيب اللّفِّ[2]؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[3] والمعنى: فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار[4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[5] فاللوم راجع إلى البخل ومحسورا راجع إلى الإسراف[6].

النوع الثاني: النشر المعكوس على ترتيب اللفِّ، بأن يأتي النشر على غير ترتيب اللّف، ويُسمَّى "اللَّفَّ والنشر غير المرتّب" وقد يُعبَّر عنه بعبارة "اللّف والنشر الْمُشَوّش"[7]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾[8]، فإن الضمير في "قالوا" لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فَلَفّ بين القولين ثقة بأن السامع يردّ إلى كل فريق قوله، وأمنا من الإلباس؛ لِمَا عُلم من التعادي

1 البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1: 1416هـ، ج2 ص403

2 المرجع السابق، ج2 ص403

3 سورة القصص (28 : 73)

4 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج3 ص312

5 سورة الإسراء (17 : 29)

6 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج3 ص312

7 البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج3 ص404

8 سورة البقرة (02 : 111)

بين الفريقين، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه[1]، وإنَّما سوَّغ الإجمال في اللف ثبوتُ العناد بين اليهود والنصارى؛ فلا يمكنُ أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنَّةَ، فوُثِقَ بالعقل في أنَّه يرُدُّ كلَّ قولٍ إلى فريقه لأمن اللبس[2].

إنَّ المُتدبِّر لكتاب الله عزَّ وجلَّ يجد التناسبَ التامَّ بين سياق الآيات وما خُتِمَت به من أسماء الله الحسنى، وصدق الله القائل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

ولا يقتصر الجمال البلاغيُّ في هذه الآيات على ذلك التناسب، وإنَّما يأتي ختام الآياتِ على الغاية من البديعِ بضروبه المختلفة، ومنها اللفُّ والنشرُ.

إنَّ الاقتران بين اسمينِ من الأسماء الحسنى في ختام الآيات هو النمطُ السائد في القرآن، وقد يكون هذانِ الاسمانِ من معنى متقارب؛ كالرحمن والرحيم، والغفور والرحيم، والسميع والبصير، والعليم والخبير... ونحو ذلك، وقد يكونانِ من معنيين مختلفينِ كالعزيز والرحيم، والواسع والعليم، والتواب والحكيم، والعفوّ والقدير... ونحو ذلك.

ولا شكَّ أنَّ كلَّ اسمٍ منها يختصُّ بمعنىً لا يؤدَّى بغيره؛ فإن اقترن الاسمان المتقاربان تأكَّد المعنى الكليُّ الذي يؤديانِه؛ كدلالة اقتران الرحمن والرحيم على الرحمةِ، ونحو ذلكَ، إلا أنَّ هذا الاقترانَ يحفز على طلب الفروق الدقيقةِ بينهما، والبحثِ عن مناسبةِ الآية والسياق، ثمَّ تأمُّل الحكمةِ في تقديم أحد الاسمينِ على الآخرِ، أما إن كانا من معنيين مختلفينِ فمن السهل بيان اختصاص كلِّ اسمٍ بمعنىً.

ثم ينظر: إذا اقترن الاسمان فهل يحافظان على ترتيبهما أو أن ترتيبهما يتغير؟ كالعليم والقدير وردا مقترنين أربع مراتٍ تقدَّم فيها اسم (العليم) دائمًا، أو كالعليم والحكيم؛ اقترنا

---

1 بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط17: 1426هـ، ج4 ص601

2 ينظر: الإتقان، السيوطي ج3 ص320

3 سورة النساء (04 : 82)

ستًّا وثلاثين مرة؛ تقدمَّ اسم (العليم، عليمٌ، عليمًا) تسعًا وعشرين مرة، وتقدَّم اسم (الحكيم، حكيمٌ) سبع مرات.

وحين يكثر اقترانُ اسمين على صورة معينة من الترتيب ثمَّ ينفرد موضعٌ واحدٌ بعكس هذا الترتيب؛ فإنَّ ذلكَ يستوجبُ مزيدًا من التدبُّر والتأمُّل، وأوضح مثال على ذلك تقدُّم اسم الرحيم على اسم الغفور في موضع واحدٍ من جملة اثنين وسبعين موضعًا اقترن فيها الاسمان.

إن دراسة بديع اللف والنشر في الأسماء الحسنى يفرض على الدارس معرفة عدد مرات ذكر الاسم، وما أتى منها فاصلةً، وما أتى منها في غير الفاصلة، وكم مرةً أُفرِدَ وكم مرةً جاء مقترناً، وما الأسماء التي اقترنَ بها؟ وما ترتيب ورودهما مقترنينِ؟

وإبراز الارتباطِ بينَ موضوع السورةِ وورود الاسم منفردا أو وروده مقترنًا باسم معيَّن، أو ورودهما في الاقتران على ترتيبٍ معين، أو ورودهما في الاقتران مع موضوع معيَّن؛ كورودهما في آيات الأحكام أو الآيات الكونية، أو القصص، أو الأمثال أو نحو ذلك... كورود (العزيز العليم) مع الآيات الكونية في أربعة مواضع من جملة ستَّة مواضع في القرآن اقترنَ فيها الاسمانِ، لم تأتِ إلا بتقدُّم اسم (العزيز)، ولم تأتِ إلا بهذه الصورة (العزيز العليم). ومنه كذلك: اختصاص سورة واحدة باسمينِ؛ كسورة الشعراء التي جاء فيها اسم (العزيز) مقترنًا باسم (الرحيم) في تسعة مواضع من جملة ثلاثة عشر موضعًا في القرآن كله، ومن جملة عشر مواضع في السورة جاء بها اسمان مقترنان، والموضع العاشر هو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾[1]. ومن خلال الدراسة الموضوعية يمكن تحليل المواضع التي تبدو متشابهة موضوعيًا وقد خُتِمتْ بأسماءٍ مختلفة، أو الإجابة على مُشكل الفواصلِ المختومة بأسماءٍ حسنى وتوجيهها، كما في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ

1 سورة الشعراء (26 : 220)

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥﴾[1]، وعلى لسان عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾[3]، ونحو ذلك[4].

1 سورة الممتحنة (60 : 05)

2 سورة المائدة (05 : 118)

3 سورة الإسراء (17 : 44)

4 لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل السامرائي، ص73-75

❖ اللف والنشر في أسماء الله الحسنى:

تحدث الأسماء الحسنى المزدوجة في ختام الكثير من الآيات ضربا من جمالية بديع اللفُّ والنشرُ الذي يعتبر ضربا من التقسيمِ؛ يتناسب فيه أجزاء الكلام الملفوف مع أجزاء الكلام المنشور؛ فتتشابهُ الأطراف؛ قال القزويني: «ومن مراعاة النظير ما يُسمِّيه بعضهم تشابه الأطراف، وهو: أن يتمّم الكلام بما يناسب أوَّله في المعنى، كقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[1]؛ فإنَّ اللُّطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب مَن يُدرك شيئًا؛ فإنَّ مَن يُدرك شيئًا يكون خبيرًا به»[2].

وتبدو علاقة الأسماء الحسنى المزدوجة بمُحسّن اللفِّ والنشرِ في ختام الآياتِ؛ واضحة في كثير من المواضع بحيث لا يحتاج بيان ذلك إلى كثير تأمل، لكن ذلك لا ينطبق على جميع المواضع إذ قد تبدو بعضها دقيقة ولا تظهر العلاقة بين الأسماء الحسنى ومحسن اللف والنشر إلا بعد جهد وتأمل.

قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[3]، فالإحكام: إتقان الصنع، مشتق من الحكمة، وهي إتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الأخلال، وإحكام آياته: أي جعلت كاملة في نوع الكلام بحيث سلمت من مخالفة الواقع ومن أخلال المعنى واللفظ، وهذا يقابل: «من لدن حكيم»، والتفصيل: التوضيح والبيان، وهو مشتق من الفصل بمعنى التفريق بين الشيء وغيره بما يميزه، فصار كناية مشهورة عن البيان لما فيه من فصل المعاني، وهذا مقابل «خبير»، لأن

1 سورة الأنعام (06 : 103)

2 بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، ج4 ص584

3 سورة هود (11 : 01)

الحكيم الموصوف بإبداع الصنع لحكمته، وإيضاح التبيين لقوة علمه. والخبير: العالم بخفايا الأشياء، وكلما كثرت الأشياء كانت الإحاطة بها أعز[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[2] فقوله تعالى: ﴿شَاكِرًا﴾ يعود إلى قوله ﴿شَكَرْتُمْ﴾، وقوله تعالى ﴿عَلِيمًا﴾ يعود إلى قوله ﴿وَآمَنْتُمْ﴾؛ وَكان الله شاكراً أي مثيبا على الشكر عَليماً بجميع الجزئيات والكليات فلا يعزب عن علمه شيء فيوصل الثواب كاملا إلى الشاكر[3].

ومن اللفِّ والنشر الذي قد يحتاج إلى مزيد تأمل وتفكر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

ففي الآية لفٌّ ونشرٌ من جهة جواب النبي؛ فإن قوله ﴿إِنَّ الله اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ ردٌّ على قولهم ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا﴾ فإنهم استندوا إلى اصطفاء الجمهور إيَّاهم، فأجابهم بأنَّ طالوت أرجح منهم لأنَّ الله اصطفاه للمُلكِ، وقوله ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ ردٌّ على قولهم: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المالِ﴾، فأعلمهم نبيُّهم أنَّ الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمة ترجع إلى أصالة الرأي، وقوة البدن؛ لأنَّه بالرأي يهتدي لمصالح الأمة، لا سيما في وقت المضائق، وعند تعذُّر الاستشارة، أو عند خلاف أهل الشورى، وبالقوة يستطيع الثبات في مواقع القتال، فيكون بثباته ثباتُ نفوس الجيش،

---

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج11 ص315

2 سورة النساء (04 : 147)

3 ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، ج3 ص272

4 سورة البقرة (02 : 247)

فالمراد بالعلم هنا علمُ تدبير الحرب وسياسة الأمة، ولم يأتِ على ذكر المال؛ لأنَّ الملك المظفَّر بالعلم والقوة يتوافر له المال بالنصر، ولأنَّ الملِك ولو كان ذا ثروة، فثروته لا تكفي لإقامة أمور المملكة، ولهذا لم يكن من شرط ولاة الأمور من الخليفة فما دونه أن يكون ذا سعة، وقد ولي على الأمة أبو بكر وعمر وعلي ولم يكونوا ذوي يسار. وغنى الأمة في بيت مالها ومنه تقوم مصالحها، وأرزاق ولاة أمورها[1].

ثمَّ جاء تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿وَالله يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، وفيه أيضًا لفٌّ ونشر ولكنَّه غير مرتب؛ فقوله تعالى: ﴿وَالله يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ كالتعليل لقولهم ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالله وَاسِعٌ﴾ أي واسع الفضل والعطاء يوسِّع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر[2]، وفيه ردٌّ على قولهم ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَالِ﴾ فكأنَّ المعنى: إنَّ الله واسعُ العطيَّة يبسط الرزق لمن يشاء إذا شاء، وما ترون عليه أنفسَكم من السَّعة التي تتطاولون بها على مَن اصطفاه الله ليست في سعة مُلك الله في شيء، ثمَّ إنَّ المال الخاصَّ ليس من المقوِّمات الأساسية للمَلِكِ البشريّ؛ فالناس تُساسُ بالعلمِ والعدل والحكمة أسلسَ مما تُساس بالمالِ، على أنَّ المال العامَّ هو الداخل في مقومات الملك والسياسة، وليس المال الخاصَّ بالمَلِكِ أو الوالي، وهم إنَّما قالوا هذا لقصورهم في معرفة سياسة الأمم ونظام الملك؛ فإنهم رأوا الملوك المجاورين لهم في بذخ وسَعةٍ فظنوا أن ذلك من شروط الملك[3]. وقوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ﴾ أي بمن يصطفيه للمُلك، وفيه ردٌّ على قولهم: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ فإنَّ الله أعلم حيث يجعل ملكه ورسالته، فجاء على طريقة اللفِّ والنشر غير المرتَّب.

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2 ص491

2 الكشاف، الزمخشري، ج1 ص292-293

3 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2 ص491

وكذلك قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾[1]، ففي الآية الكريمة حثٌّ على وجوب التصدق من طيب ما في حيازة المتصدق وطيب كسبه وكراهيته التصدق بالرديء غير المحبب إلى صاحبه[2]؛ ولو قدر للمتصدِّقَ أن يكونَ متصدَّقًا عليه فلن يأخذَ هذا الخبيث إلا بإغماضٍ أو استحياء، ثمَّ قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ أي: أي غني عن صدقاتكم التي لا تنفع الفقراء، أو التي فيها استساغة الحرام، ﴿حَمِيدٌ﴾ شاكر لمن تصدق صدقة طيبة، ويجوز أن يكون المراد التخلق بذلك، لأن صفات الله تعالى كمالات، فكونوا أغنياء القلوب عن الشح محمودين على صدقاتكم، ولا تعطوا صدقات تؤذن بالشح ولا تشكرون عليها[3].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَـٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[4]. والمعنى أنَّ الله غنيٌّ عن إيمان الكافر، حميد لشكر الشاكرينَ، فجاء على طريقة اللف والنشر المعكوس[5].

ومن المواضع المتعلقة بهذين الاسمين الجليلين، والتي قد يكون بها بعض خفاء قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾﴾[6] غنيّ عن كلّ شيء فيما طلب منهم، حميد لمن

1 سورة البقرة (02 : 267)

2 التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383 هـ، ج7 ص189

3 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج03 ص58

4 سورة لقمان (31 : 12)

5 ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج6 ص13

6 سورة التغابن (64 : 6)

امتثل وشكر[1]، فقوله تعالى: ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾ عائدٌ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللهُ﴾ وقوله تعالى ﴿حَمِيدٌ﴾ قد يعودُ إلى المؤمنين المذكورين قبلُ في مطلع السورة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾[2]، أو إلى الرسل المذكورين في الآية نفسها؛ إذ إنَّ الرُّسل قد جاءتهم بالبينات فلم يَلْقَوا إلا الانتقاصَ ببشريَّتهم، لكن بلاغهم محمودٌ على كلِّ حالٍ عند الله غير مرهون بعدد من استجاب لهم ؛ لأن مهمتهم هداية الدلالة والإرشاد وليس هداية التوفيقِ، ولذا قال الله عزَّ وجلَّ مُقرِّرًا تلك الحقيقة: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢﴾[3]، ونظير ذلك قول موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾[4]، أي: إنَّ الله غنيٌّ عن إيمانكم شاكرٌ رُسلَه على إبلاغكم ودلالتكم ولو لم يُوفَّق للهداية أحدٌ.

ويرد اللف والنشر كذلك، في مقاطع الآيات المتضمنة لأسماء الله والتي تتكرر في كثير من موضع في السورة الواحدة، مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾[5]، بوصف الله بالعزَّة ﴿الْعَزِيزُ﴾، ﴿الْعَزِيزُ﴾، أَي تمام القدرة فلو شاء لعجَّل لهم العقاب، والوصف بالرّحمة ﴿الرَّحِيم﴾ إيماء إلى أنّ في إمهالهم رحمة بهم لعلّهم يرجعون، وفيه إيماء إلى أنّه يرحم رسله بتأييده ونصره[6]، وإنما قدم ذكر «العزيز» على ذكر «الرَّحيم» لأنه لو لم يقدّمه لكان ربما قيل:

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج28 ص270

2 سورة التغابن (64 : 2)

3 سورة التغابن (64 : 12)

4 سورة إبراهيم (14 : 8)

5 سورة الشعراء (26 : 08-09)

6 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج19 ص102

إنه رحيم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر «العزيز» وهو الغالب القاهر ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً[1].

وفي السورة بيان لاهتمام النبي ﷺ لعدم إيمان قومه حتى كاد يبخع نفسه ويهلكها حزنًا وكمدًا، فواساه الله –عزَّ وجلَّ– بأن ذكَّره أنَّ هداية التوفيق بيده وحده سبحانه، وأنَّه لو شاء لآمنوا جميعًا، ولكنَّ حكمته اقتضت إعراضهم، وأنَّ الرسول ﷺ مأجورٌ على بلاغه مستثنى مرحومٌ مما قد ينالهم من العذاب؛ فعاد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ إلى هؤلاء المكذبين المعرضين، وعاد قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ إلى رسوله ﷺ، والمعنى: إنَّ الله عز وجلَّ رحيمٌ بكَ أيَّها النبيُّ، وليس عليك أن تذهب نفسك عليهم حسراتٍ، وما عليكَ إلا البلاغ والإنذار.

ويختم الله تسليته لنبيه ﷺ بهذه الآيات: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[2]، ليكن توكُّلُكَ على الله؛ على الذي يقهر أعداءك بعزَّته، وينصرك وأتباعَك برحمته[3]، فعاد قوله ﴿الْعَزِيزِ﴾ على العصاة، وقوله ﴿الرَّحِيمِ﴾ على النبي ﷺ وأتباعه المؤمنين؛ على طريقة اللفِّ والنشر المعكوس.

ولمَّا كان التوكُّلُ من أعمال القلوبِ، أصلُه القلبُ وصورته الأعمال المذكورة من قيامٍ وسجودٍ ودعاء وتضرُّع فقد جاء ختام هذا المقطع وتذييله في غاية من التناسب، إذ يدل قوله تعالى ﴿السَّمِيعُ﴾ سميع لجميع أقوالكم، ويدل قوله ﴿الْعَلِيمُ﴾ عليم بجميع ما تسرونه وتعلنونه من أعمالكم[4]، وهو جارٍ على النشر المعكوسِ كما في عموم السورةِ.

---

1 اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط1: 1998م، ج15 ص7

2 سورة الشعراء (26 : 217-220)

3 الكشاف، الزمخشري، ج3 ص341

4 نظم الدرر، البقاعي، ج5 ص399

وقد ختمت قصص الأنبياء التي تحدثت عنها السورة ففي خاتمة قصة موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾[1]، فاسم ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنتقم من أعدائه المغرقين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه الناجين[2]، فجاء على اللَّف والنشر المعكوس.

وفي نهاية قصة نوح عليه السلام قال: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾[3] فعاد اسم ﴿العزيز﴾ على المُغرقين، وعاد اسم ﴿الرحيم﴾ على الناجين؛ نوح ومن معه من المؤمنين.

وفي نهاية قصة هود عليه السلام قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾[4]، فعاد اسم ﴿العزيز﴾ على المهلكين، وعاد اسم ﴿الرحيم﴾ على هودٍ عليه السلام، ومَن آمن معه وإن لم يكن لهم ذِكرٌ صريحٌ في هذه السورة.

وهكذا في بقية قصص الأنبياء على غرار قصة صالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وكلها جاءت على تلك الطريقة من اللف والنشر المعكوس.

سورة الإخلاص من أعظم سورة القرآن، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تعدل ثلث القرآن لأن ألفاظها كلها ثناء على الله تعالى، حيث بُنِيَتْ على بديع اللّفِ والنَّشر؛ يقول تعالى:

1 سورة الشعراء (26 : 65-68)

2 الكشاف، الزمخشري، ج3 ص317

3 سورة الشعراء (26 : 119-122)

4 سورة الشعراء (26 : 139-140)

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1]، فالسورة كنزٌ من كنوز البلاغة؛ وفيها لفٌّ ونشرٌ بديعٌ؛ فقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ يعود إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فإنّه إن لم يلدْ ولم يُولدْ؛ لأنه لو تولَّد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول[2]، فقد تعيَّنَ كوْنُه أحدًا؛ إذ الولدُ والوالدُ مظنَّة الشّبَهِ، فلمّا انتفيا انتفى ما سواهما بقياس الأولى.

ولأنّه لم يكن له كفوًا أحدٌ تعيَّن أنَّه الصمد على الحقيقة؛ أي الذي تناهى سؤدده المطلق في كل شيء إلى حد تنقطع دونه الآمال، فكان بحيث لا يحتاج إلى شيء وكل شيء إليه محتاج[3]، ولو كان له كفؤٌ فقد جاز في العقل أن يكون معبودٌ غيرُه، ولأنه ليس له كفؤٌ فقد تعيَّن كونُه الصمدَ المطلقَ الذي يجب انصراف اسم الصمد إليه سبحانه عند الإطلاق.

فالمتأمِّل في السورة يرى في أوَّل آيتين لفًّا بديعًا؛ مفادُه: ﴿الله أحدٌ صمدٌ﴾، ثمَّ يرى نَشرَه بأوجز عبارةٍ في الآيتين الأُخريينِ.

ومن أدقِّ مواضع اللَّفِّ والنشر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[4].

أوّلُ ما يلفتُ النظرَ في الآية الثانية أنَّ اسم (الرحيم) جاء قبل اسم (الغفور)، وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن كلِّه الذي جاء فيه اسم (الرحيم) أوّلا، وهو يستوقف المتدبِّر

1 سورة الإخلاص (112 : 01-04)

2 ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج8 ص591

3 المرجع السابق، ج8 ص588

4 سورة سبأ (34 : 01-02)

حين يعلم أنَّ الاسمين الشريفين قد اقترنا في اثنين وسبعين موضعًا، جاء اسم (الغفور، لَغَفورٌ، غفور، غفورًا) قبل اسم (الرحيم، رحيم، رحيمًا) في واحد وسبعين منها.

وقد تكلم العلماء قديما وحديثا عن سر تقدم الرحيم على الغفور، فقال الزركشي: «فالأصل قوله ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لأنَّ المغفرة سلامة والرّحمة غنيمة والسّلامة مطلوبة قبل الغنيمة، وإنّما تأخّرت في آية سبأ في قوله: ﴿الرحيم الغفور﴾ لأنّها منتظمة في سِلك تَعداد أصناف الخلق من المكلّفين وغيرهم وهو قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾[1] فالرّحمة شملتهمْ جميعًا والمغفرة تخصّ بعضا والعموم قبل الخصوص بالرّتبة»[2]. قال فاضل السامرائيُّ موضِّحًا ذلك: «وإيضاح ذلك أنَّ جميع الخلائق من الإنس والجنِّ والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تحيا وتعيش وبرحمته تتراحم. وأمَّا المغفرةُ فتخصُّ المكلفين، فالرحمة أعمُّ»[3].

وقال ابن القيم: «وأما تقديم (الرحيم) على (الغفور) في موضع واحدٍ، وهو أول (سبأ)؛ ففيه معنى جليل، يظهر لمن تأمَّل سياقَ أوصافه العُلى وأسمائه الحسنى في أول السورة إلى قوله: ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾؛ فإنه ابتدأ سبحانه السورة بحمده الذي هو أعم المعارف وأوسع العلوم، وهو متضمن لجميع صفات كماله، ونعوت جلاله مُستلزمٌ لها، كما هو متضمن لحكمته في جميع أفعاله وأوامره، فهو المحمود على كل حال، وعلى كل ما خلقه وشرعه، ثم عقَّب هذا الحمد بملكه الواسع المديد فقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، ثم عقبه بأنَّ هذا الحمد ثابت له في الآخرة غير منقطع أبدًا؛ فإنه حمدٌ يستحقه لذاته وكمال أوصافه، وما يستحقه لذاته دائمٌ

1 سورة سبأ (34 : 02)

2 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص249

3 من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، عمان، ط1: 1430هـ، ص138-139

بدوامه لا يزول أبدًا، وقرن بين الملك والحمد على عاداته تعالى في كلامه؛ فإن اقتران أحدهما بالآخر له كمالٌ زائدٌ على الكمال بكل واحد منهما، فله كمالٌ من ملكه، وكمالٌ من حمده، وكمالٌ من اقتران أحدهما بالآخر؛ فإنَّ الملك بلا حمدٍ يستلزم نقصًا، والحمد بلا ملك يستلزم عجزًا، والحمد مع الملك غاية الكمال.

ونظير هذا العزة والرحمة والعفو والقدرة والغنى والكرم، فوسط الملك بين الجملتين فجعله محفوفًا بحمد قبله وحمد بعده، ثم عقَّب هذا الحمد والملك باسمَي ﴿الحكيم الخبير﴾ الدَّالَّينِ على كمال الإرادة، وأنها لا تتعلق بمرادٍ إلا لحكمة بالغة، وعلى كمال العلم، وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات فهو متعلقٌ ببواطنها التي لا تدرك إلا بخبرةٍ، فنسبة الحكمة إلى الإرادة كنسبة الخبرة إلى العلم، فالمراد ظاهرٌ والحكمة باطنة، والعلم ظاهر والخبرة باطنة، فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكون كاشفًا عن الخبرة، فالخبرة باطن العلم وكماله، والحكمة باطن الإرادة وكمالها، فتضمَّنت الآية إثبات حمده وملكه وحكمته وعلمه على أكمل الوجوه.

ثم ذكر تفاصيل علمه بما ظهر وما بطن في العالم العلوي والسفلي؛ فقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾، ثم ختم الآية بصفتين تقتضيان غاية الإحسان إلى خلقه، وهما الرحمة والمغفرة؛ فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه برحمته، ويعفو عن زلَّتهم، ويهب لهم ذنوبهم، ولا يؤاخذهم بها بمغفرته؛ فقال: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾، فتضمَّنت هذه الآية سعة علمه ورحمته وحكمه ومغفرته.

وهو سبحانه يقرن بين سَعَة العلم والرحمة، كما يقرن بين العلم والحلم؛ فمن الأول قوله: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[1]، ومن الثاني: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[2]، فما قُرِنَ شيءٌ إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ومن رحمة إلى علم...

وقدَّم ﴿الرحيم﴾ في هذا الموضع لتقدُّم صفة العلم، فحسُن ذكر ﴿الرحيم﴾ بعده ليقترنَ به... ثم ختم الآية بذكر صفة المغفرة لتضمنها دفع الشرِّ، وتضمُّن ما قبلها جلب الخير، ولما كان دفع الشر مقدمًا على جلب الخير قدّم اسم ﴿الغفور﴾ على ﴿الرحيم﴾ حيث وقع، ولما كان في هذا الموضع مُعارضٌ يقتضي تقديم اسمه الرحيم لأجلِ ما قبله قُدّم على ﴿الغفور﴾»[3].

وقال فاضل السامرائيُّ: «لم يتقدّم الآية ما يتعلَّق بالمكلَّفين، وإنما تقدَّمها أمرٌ عامٌّ مما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وقد تأخَّر ذكر المُكلَّفين إلى ما بعدها.. والمكلَّفون هم الذين بحاجةٍ إلى المغفرة، وأمَّا الرحمة فأمر عام تعمُّ المكلَّفين وغيرهم، فهي كما تشمل المكلفين تشمل البهائم وسائر الأحياء الأخرى، فلما كان ما تقدم الآية أمرًا عامًا قدَّم الرحمة التي هي أعمُّ من المغفرة، ولما أخَّر ذكر المكلَّفين أخَّر المغفرة؛ لأنها تخصُّهم، يدلُّ على ذلك أنَّ جميع المواطن التي تقدَّم فيها اسمه ﴿الغفور﴾ على ﴿الرحيم﴾ تقدَّم فيها ذكر المكلَّفين»[4].

أشار جماعةٌ من المفسرين إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هو الحمد في الدنيا، ثمّ عطف عليه الحمد في الآخرة فقال جلَّ ذكره: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾، يقول الزمخشريُّ: «ما في السماوات والأرض كلُّه

1 سورة غافر (40 : 07)

2 سورة النساء (04 : 12)

3 بدائع الفوائد، ابن القيم، ج1 ص79-80

4 من أسرار البيان القرآني، فاضل السامرائي، ص125

نعمةٌ من الله، وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله، ولما قال ﴿الحمد لله﴾ ثم وصف ذاتَه بالإنعام بجميع النعم الدنيوية، كان معناه: أنَّه المحمود على نعم الدنيا، كما تقول: احمد أخاك الذي كساك وحَمَلك، تريد: احمده على كسوته وحملانه. ولما قال: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾؛ عُلِمَ أنه المحمود على نعم الآخرة، وهو الثواب»[1].

وقال صاحب روح البيان: «والمراد (الحمد) على نعمه الدنيوية؛ فإنَّ السماوات والأرض وما فيهما خُلقَتْ لانتفاعنا، فكلُّها نعمة لنا دينًا ودُنيا، فاكتفى بذكر كَوْن المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضًا فيها. وقد صرح في موضع آخر، كما قال: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[2] »[3].

وقال: «ولما بيَّن أن الحمد الدنيوي من عباده الحامدين له مختصٌّ به بيَّن أنَّ الحمد الأخرويَّ مختصٌّ له كذلك؛ فقال: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾؛ فهو بيانٌ لاختصاص الحمد الأخرويِّ به تعالى إثر بيان اختصاص الدنيوي به»[4].

ثمَّ يقول في الآية الثانية: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[5].

يعلمُ ما يلج في الأرض من حبٍّ وبذرٍ وماءٍ أنزله بِقَدَر فسلكه ينابيع في الأرض، فأخرج به نبات كلِّ شيءٍ؛ مما يأكل الناس والأنعام؛ متاعًا ورحمةً بجميع عباده مؤمنهم وكافرهم، ورحمةً بالمخلوقاتِ أنعامها وطيرها ودوابِّها؛ على اختلاف أجناسها وألوانها.

---

1 الكشاف، الزمخشري، ج3 ص576

2 سورة القصص، (28 : 70)

3 روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر– بيروت، ج7 ص258

4 المرجع السابق، ج7 ص258

5 سورة سبأ (34 : 02)

فبدأ سبحانه وتعالى الآية الأولى بالإشارة إلى الحمد في الدنيا، وهو حمدٌ على النِّعم الدنيوية التي تنالُ المؤمنَ والكافرَ والبرَّ والفاجرَ، ثمَّ ثنَّى بالإشارة إلى الحمد في الآخرة، وهو حمدُ أصحابِ الجنَّة ربَّهم على ما آل إليه حالهم من نعيم مقيمٍ بسبب مغفرة الله لهم؛ فهو مغفرة الذنوبَ، وستر العيوب بمحضِ فضله ومَنِّه، وإلا فما كان لأحدٍ أن يدخل الجنَّة بعَمَلِه، ولو كان نبيًّا مُرسلا.

ثمَّ بدأ سبحانه وتعالى الآية الثانية بالإشارة إلى ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء، وهذا كلُّه مما يتقلَّبُ فيه المؤمنُ والكافرُ والبرُّ والفاجرُ برحمة الله وعطفه ورأفته بعباده، ثمَّ أشار سبحانه وتعالى إلى ما يعرج في السماء من أعمال العباد كنايةً عن قبولها صالحها وهو من أسباب الرحمة والمغفرة، وسيئها قد ستره الله على صاحبه.

وقد ألمح الرازي إلى شيء من ذلك بقوله: «وهو الرحيم الغفور: رحيمٌ بالإنزال؛ حيث ينزل الرزق من السماء، غفورٌ عندما تعرج إليه الأرواح والأعمال، فرحم أولًا بالإنزال، وغفر ثانيًا عند العروج»[1].

إذا ففي الآيتينِ تقدُّم ما اختصَّت به الرحمةُ من معنى العطف والرأفة، ومن كونها عامَّة في المخلوقات، على ما اختصَّت به المغفرة من معنى الستر، على ما فيها من خُصوصٍ، فجاء اسم (الرحيم) أوّلا قبل اسم (الغفور)، وفيهما من التناسب ما يستقيم أن يكون من بديع اللفِّ والنشرِ ولطيفِه.

□

1 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج25 ص192

الفصل الرابع

جمالية التناسب في تراكيب الأسماء الحسنى

- التناسب القرآني ومستوياته
- تناسب الآيات والأسماء الحسنى
- التناسب في الأسماء الحسنى بين مطالع السور وخواتمها
- تناسب الأسماء الحسنى في القصص القرآني

الفصل الرابع: جمالية التناسب في تراكيب الأسماء الحسنى

المبحث الأول: التناسب القرآني ومستوياته

- التناسب في النص القرآني
- مستويات التناسب في الأسماء الحسنى
- التناسب بين الأسماء المزدوجة

المبحث الثاني: تناسب سياق الآية والأسماء الحسنى

- السياق القرآني ومراتبه
- بلاغة الأسماء الحسنى
- الدلالة على المدح والثناء
- الدلالة على ما يتعلق بأفعال العباد

المبحث الثالث: تناسب الأسماء الحسنى بين مطالع السور وخواتمها

- التناسب بين الآيات والسور
- مطالع السور وخواتمها
- التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها
- التناسب بين خاتمة السورة ومطلع التي تليها

المبحث الرابع: تناسب الأسماء الحسنى في القصص القرآني

- القصص القرآني
- أهداف القصص القرآني
- الأسماء الحسنى في القصص القرآني

المبحث الأول

التناسب القرآني ومستوياته

❖ التناسب في النص القرآني:

النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سُمّي لاتصاله وللاتصال به، تقول : نسبت أنسب وهو نسيب فلان، والنسيب : الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض[1]، وجاء في لسان العرب، وتقول : ليس بينهما مناسبة، أي : مشاكلة[2]. والمشاكلة بمعنى : المماثلة، تقول : هذا شكل هذا، أي : مثله، فالمناسبة لغة تعني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة.

والنسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول؛ كالاشتراك بين الآباء والأبناء، ونسب بالعرض؛ كالنسبة بين بني الإخوة وبني الأعمام، قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾[3].[4] والنسب: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصة، وناسبه: أي شركه في نسبه[5]، ومن المجاز التناسب يعني التماثل والتشاكل، والمناسبة: المشاكلة[6].

إذن النسب هو العلاقة التي تربط الفرع بأصله، أي الأبناء بآبائهم وأمهاتهم، لكنه غلب في ذكر انتماء الولد لأبيه ثم قبيلته للفخر، ولكون الأبوة أهم لأنها قد تكون موضع شك فتحتاج إلى إثبات، بعكس الأمومة.

1 ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ج5 ص423

2 لسان العرب، ابن منظور، مادة: نسب

3 سورة الفرقان (25 : 54)

4 التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين مُحمَّد الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، 1410هـ، ص324

5 لسان العرب، لابن منظور، مادة (نسب).

6 ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج4 ص265

والفروع المنبثقة عن أصل واحد بينها مناسبة، أي شراكة في النسب، وذلك مدعاة للتماثل والتشابه، ولذلك جاء المعنى المجازي للمناسبة بأنه المشاكلة بمعنى المشابهة، وإن كانت المناسبة لا تقتضي بالضرورة المشابهة، حيث الأهم فيها هو وجود الرابطة والصلة.

والمناسبة أو التناسب في الاصطلاح: «هي بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة»[1].

وقد تبنّى بعض النقاد والبلاغيين العرب، ومنهم الجاحظ (ت255هـ) وقدامة بن جعفر (ت337هـ)، هذا المعنى اللغوي، إذ تكلموا على قضية (اللفظ والمعنى)، ففسّروا التناسب بأنَّه كلُّ ما يؤدي إلى الائتلاف والانسجام بين اللفظ والمعنى.

والبقاعي يجعل التناسب القرآني علما من علوم القرآن الكريم حيث عرفه بقوله: «وهو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال»[2].

قال القاضي أبو بكر بن العربي (ت543هـ) في "سراج المريدين": «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[3].

ويعرِّف كلٌّ من الحلبي (ت725هـ)، والنويري (ت733هـ)، التناسب بأنّه: ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر[4]. وتظهر الأمثلة التي ضربها هؤلاء العلماء العلاقة الوثيقة بين المعنيين: اللغوي والاصطلاحي للتناسب، فالحلبي –الذي تقدّم ذكره– قد مثّل للتناسب بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ

1 مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3: 1421هـ، ص96

2 نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، ج1 ص7

3 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص36

4 نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1: 1423هـ، ج7 ص107

فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ٢٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧﴾[1]، ذلك بأنَّ الله عزَّ وجل قد صدّر الآية الأولى بموعظة سمعية ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ﴾، وختمها بما يناسبها ﴿أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾، فحين ختم الآية الثانية بـ﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾، بما يتناسبا مع الموعظة البصرية ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ التي صُدِّرت بها، وهذا يعني أنَّ التناسب ضدَّ التنافر[2].

أما التناسب القرآني، مع أنَّه اقترن –غالبا– بترتيب سور الكتاب العزيز، والتناسق بين نهايات هذه السور وبدايات السور التي تليها من جهة، وتناسق الآيات في كلِّ سورة من جهة أخرى، فإنَّ بعض العلماء والمفسرين قد نظر إليه على أنَّه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، بكلِّ أنواعه ووجوهه، إذ جعله مشتملا على أكثر من عشرة أنواع، لعلَّ أبرزها: بيان مناسبات ترتيب سور الكتاب العزيز وحكمة وضع كلِّ سورة منها، ومناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له أو ما يسمّى بـ(براعة الاستهلال)، ومناسبات ترتيب آياته وارتباط بعضها ببعض وتلاحمها وتناسقها، وبيان أساليبه في البلاغة وتنويع خطاباته وسياقاته وبيان ما اشتمل عليه من ضروب المعاني والفنون البيانية والمحسنات البديعية، وبيان فواصل الآي ومناسبتها للآي التي ختمت بها، ومناسبة أسماء السور لها، وبيان اختيار ما يسمّى بـ(الكلمات المترادفة) دون سواها[3].

والإعجاز القرآني قضية شغلت العلماء زمنا طويلا قديما وحديثا، ولكن بالرغم من ذلك فإن أقلامهم تظل عاجزة عن الإحاطة بكل أسراره، وما أحسن ما قاله الإمام التستري (ت273 هـ): « لو أُعطي العبد بكُل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه

1 سورة السجدة (32 : 26-27)

2 معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407هـ-1987م، ج2 ص355-361

3 ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور، للإمام جلال الدين السيوطي، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1: 1406هـ-1986م، ص54

الله في آية من كتابه لأنه كلام الله وكلامه صفته وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه وكلام الله غير مخلوق ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة»[1]. ويكفي أهل البلاغة دليلا على إعجاز كتاب الله عز وجل أن هذه القضية كانت ولا تزال شغل الدارسين والعارفين، وهذا ما تؤكده الدكتورة بنت الشاطئ في مقدمة كتابها الإعجاز البياني: «من إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين العلماء جيلا بعد جيل، ثم يظل أبدًا رحب المدى سخي المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيدًا وراء كل مطمح، عاليا يفوت طاقة الدارسين»[2].

والبقاعي يجعل التناسب القرآني عِلما من علوم القرآن الكريم، ويبين مفهومه بقوله: «علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن...»[3] وبهذا يشير "البقاعي" أن بإدراك أصوله يقف على ما مقتضيات وضع أجزاء القرآن الكريم، الكلمة وما يجاورها في رتبتها التي وضعت فيها، وهذا يؤكد أيضًا: «الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلُّق الذي هو كلحمة النسب»[4].

وإذا البقاعي يرى أن علم التناسب مقصور على بيان الرتبة بين أجزاء الكلام، والرتبة واحدة من أحوال الكلام، فإن الأمر يزداد وضوحا بقوله في بيان التناسب بين الجمل والآيات، إنه «يمهد لكل جملة مهاداً يدل على الحال الذي اقتضى حلولها بمحلها، وأوجب ترتبها على ما قبلها من شكلها، وما أوجب تأكيدها، أو أعراها وتقييدها، ونحو ذلك من أفانين الكلام وأساليب النظام»[5].

ويبين أن علم التناسب يتناول كل أحوال البيان التركيبية والترتيبية، وأنَّه «به يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأنّ كلّ سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص9
2 الإعجاز البياني للقرآن، عائشة بنت الشاطئ، ص19
3 نظم الدرر، البقاعي، ج1 ص6
4 المصدر السابق، ج1 ص5
5 مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة المعارف– الرياض، 1408هـ، ج1 ص102-103

استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة»[1].

علم التناسب عنده إذن يتناول بيان مقتضيات أحوال تركيب وترتيب أجزاء الكلام وعناصره على اختلاف مقاديرها، وهو لا يقل منزلة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم عن التركيب في مجال الجملة.

1 نظم الدرر، البقاعي، ج1 ص14

❖ مستويات التناسب في الأسماء الحسنى:

احتواء الآيات القرآنية على أسماء الله الحسنى يفرض دراسة مستويين من التناسب: أولهما التناسب بين سياق الآية والاسم أو الاسمين المزدوجين، وثانيهما: تناسب بين الاسمين نفسيهما، ودراسة التناسب بين الاسمين يقتضي البحث في سر الترابط بين الاسمين من حيث الصيغة والدلالة، وكذلك الكشف على سبب تقدم أحدهما على الآخر في الرتبة، أما دراسة التناسب بين سياق الآية والاسم فيبحث في القرينة المعنوية التي بسببها اختير اسم دون اسم في سياق معين، ثم هل يمكن أن يكون للسياق أثر في هذا الاختيار؟

لقد ورد الكثير من الأسماء الحسنى مقترنا بغيره خاصة في أواخر الآيات، كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[1]، وقد اعتبر بعض العلماء «هذه الأسماء المزدوجة دالة على صفة إضافية تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وهو قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فإن الغِنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد والعزيز الحكيم...»[2].

والوصف المزدوج الذي يجمع بين وصفين في آن واحد، قد نجده أيضا عند وصف العباد، للدلالة على أنه لا يمكن الاكتفاء بوصف واحد، بل يجب اشتراكهما والجمع بينهما لتحقيق الوصف الكامل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ

1 سورة لقمان: (31 : 26)

2 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1 ص283

صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾[1] فلم يقل سبحانه: إن في ذلك لآيات لكل صبار، أو لآيات لكل شكور، بل جمع بينهما، يقول طاهر بن عاشور (ت1393 هـ) بيانا للحكمة من جمع الصفتين في آن واحد: «لأن التخويف يبعث النفس على تحمل معاكسة هواها خيفة الوقوع في سوء العاقبة، والإنعام يبعث النفس على الشكر، فكان ذكر الصفتين توزيعاً لما أجمله ذكر أيام الله من أيام بؤس وأيام نعيم»[2]. ويقول في موضع آخر: «والصبَّار: مبالغة في الموصوف بالصبر، والشَّكور كذلك، أي: الذين لا يفارقهم الوصفان. وهذان وصفان للمؤمنين الموحِّدين في الصبر للضراء والشكر للسراء»[3]. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[4]، أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف، وصفا لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما مطلب الملوك ممن يولونه، وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أنّ أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا[5]. والشيء الذي قد يلفت انتباه قارئ كتاب الله، هو أنه يرى أن هذين الصفتين بالرغم من أنهما من صفات الله تعالى فإننا نجد الله قد وصف نفسه بكونه حفيظ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾[6]، ووصف نفسه بالعلم فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾[7]، إلا أننا لا نجدهما مقترنين أبدا (حفيظ عليم أو الحفيظ العليم) وصفا لله تعالى.

1 سورة إبراهيم (14: 05)

2 تفسير التحرير والتنوير، محمّد الطاهر بن عاشور، ج13ص190-191

3 المصدر السابق، ج21ص190

4 سورة يوسف (12: 55)

5 الكشاف، الزمخشري، ج2ص454-455

6 سورة هود (11 : 57)

7 سورة يونس (10 : 36)

وللعلماء أقوال كثيرة في تعليل الاقتران بين الأسماء المزدوجة:

– فقد يؤتى بالاسمين مقترنين، ويكون أحدهما أشد مبالغة من الآخر في المعنى كما هو الحال في «الرحمن الرحيم» اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم، فبناء فعلان ليس كفعيل فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك رجل غضبان للرجل الممتلئ غضبا وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول[1].

– أو يكون أحدهما متعلقا بخَلق دون خلق، فاسم الرحمن لجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[2] وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[3] فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[4] فخص المؤمنين باسمه الرحيم[5].

– أو أن يكون أحد أسمائه خاصا به لا ينبغي لأحد من خلقه أن يتسمى به ثم يقترن هذا الاسم بغيره من الأسماء التي يمكن أن تصلح صفة للخلق، فاسمه الرحمن خاص به لم يسم به غيره على خلاف اسمه الرحيم، ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾[6] لهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم، ولأن التسمية أولا إنما تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص[7].

---

1 ينظر: تفسير ابن كثير، ج1 ص21

2 سورة الفرقان (25 : 59)

3 سورة طه (20 : 05)

4 سورة الأحزاب (33 : 43)

5 ينظر: تفسير ابن كثير، ج1 ص126

6 سورة الفاتحة (01 : 01)

7 ينظر: تفسير ابن كثير، ج1 ص126

أما الاسم الثاني فقد ذكره الله وصفا لنبيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1] كما وصف بعض خلقه باسم من أسمائه مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾[2].

وسبب الجمع بينهما في سياق واحد ما روي عن عطاء الخراساني (ت155 هـ) ما معناه أنه لمّا تسمى غيره بالرحمن –ظلما وعلوا– جيء بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير (ت310 هـ)[3].

– أو أن يذكر الاسم الأول ليدل على معنى عام ثم يردفه بالاسم الثاني كالتتمة ليتناول ما دقّ من معناه ولطف[4]. فالاسم قد يكون اسما للماهية من حيث هي وقد يكون اسما مشتقا وهو الاسم الدال على كون الشيء موصوفا بصفة ما كالعالم والقادر، والأظهر أن أسماء الماهيات سابقة بالرتبة على المشتقات لأن الماهيات مفردات والمشتقات مركبات والمفرد قبل المركب.

يشبه أن تكون أسماء الصفات سابقة بالرتبة على أسماء الذوات القائمة بأنفسها ؛ لأنا لا نعرف الذوات إلا بواسطة الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف والسبق في المعرفة يناسب السبق في الذكر[5].

1 سورة التوبة (09 : 128)
2 سورة الإنسان (76: 02)
3 تفسير ابن كثير ج1 ص22
4 ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1 ص51
5 ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين محمّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ج1 ص97

❖ التناسب بين الأسماء المزدوجة:

كل أسماء الله تدل على وصف مفرد دلت عليه فنثبت من العليم العلم، ومن الحكيم الحكمة، والعزيز العزة، والرحيم الرحمة، لكن ثمة نوع آخر وهو اقتران اسمين معا في موضع واحد، فهذا الاقتران يفيد قدرا زائدا، على دلالة الاسم بمفرده، فهو بمفرده يدل على صفة واحدة، لكن إذا اقترن الاسم بغيره دل بهذا الاقتران على صفة أخرى تتجلى من خلال الجمع بين الاسمين.

فالعفو القدير اسمان مقترنان يدلان على أن عفوه عن قدرة، وقدرته عن عفو – سبحانه وتعالى– فثمة قدر زائد يدل عليه الاقتران، فعفوه –سبحانه وتعالى– ليس عن عجز، بل عن قوة وعن قدرة جل وعلا، وعن كمال، الاسم بمفرده يدل على صفة، وباقترانه باسم آخر قدر زائد يدل عليه هذا الاقتران.

وبالنظر إلى ورود هذه الأسماء المزدوجة، فإن الغالب فيها أنها تأتي في أواخر الآيات أي في نهاية الفواصل، وقد ترد على صيغ وفي مواقع مختلفة:

الرفع: خبرا لمبتدإ أو لناسخ والغالب أن يكون هذا الناسخ "إنَّ" كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3] أو فاعلا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4].

1 سورة الحشر (59: 22)

2 سورة البقرة (02: 37)

3 سورة فاطر (35: 28)

4 سورة الزخرف (43 : 09)

النصب: خبرا لناسخ والغالب خبرا لكان، كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾[1] أو اسما منصوبا على المفعولية كما في: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[2].

الجر: بالحرف ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[3] أو الإضافة ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[4] أو صفة ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[5] وردت هذه الأسماء المزدوجة في القرآن الكريم معرفة بـ(الـ)، ونكرة مجردة من (الـ) فقال بالتنكير: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[6] و﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾[7] كما قال قال بالتعريف: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾[8] و﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[9].

لكن الأغلب في هذه الأسماء مجيئها دون (الـ) حيث أن عدد ورودها بالتعريف أقل من عدد ورودها بالتنكير.

وهذا يدل على أن المقصود الأعظم من ذكر هذه الأسماء في القرآن الكريم النفوذ إلى الصفة التي يتضمنها الاسم؛ كالمغفرة، والرحمة، والتوبة، والرزق، والحكمة، والعلم...

1 سورة النساء (04 : 106)
2 سورة النساء (04 : 110)
3 سورة يس (36 : 58)
4 سورة الأنعام (06: 96)
5 سورة آل عمران (03: 126)
6 سورة هود (11: 90)
7 سورة النور (24 : 20)
8 سورة فصلت (41 : 02)
9 سورة سبأ (34 : 26)

وجذب القلوب إليها أولاً، ذلك لأن «لام التعريف تدخل الأعلام للمدح والتعظيم»[1]. وقيل: «وهي –أي اللام– في الأسماء تفخيم الجرس وفي المعنى توقير المسمى وتعظيمه سبحانه»[2]. وذكر السيوطي عند حديثه عن تنكير اسم أحد في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[3] «نكِّر للتعظيم والإشارة إلى أن مدلوله وهو الذات المقدسة غير ممكن تعريفها والإحاطة بها»[4].

وعلى هذا فالمقصود الأعظم من ذكر الاسم معرفا كان أو نكرة إنما هو القصد إلى تحصيل معناه، والدلالة عليه، وتوكيده، وقد يفاد من الألف واللام القصر، أو التعظيم أو غير ذلك من المعاني المستفادة من التركيب والسياق لكن الأصل في الاسم أيًّا كانت صيغته هو الدلالة على الصفة.

تشير السياقات الكثيرة التي ترد فيها أسماء الله إلى معنى الاختصاص، وقصر الوصف عليه سبحانه، كأن المعنى الذي يدل عليه اسمه الغفور مثلا الكامل المغفرة، وذلك لأن معنى المغفرة قد يتعلق بالإنسان في هذه الدنيا فمن الناس من يستر عيب أخيه وذنوبه، أما في الآخرة فمغفرة الذنوب وسترها مما ينفرد به الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم، فالقصر قصر حقيقي أي: لا غفور إلا الله تعالى، وتعريف المسند كما قال الخطيب القزويني قد يفيد القصر الحقيقي: كما في قولك: زيد الأمير، إذا لم يكن أمير سواه، وإما مبالغة لكمال معناه في المحكوم عليه كقولك: عمرو الشجاع، أي ؛ الكامل في الشجاعة، فتخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال...وقد يفيد القصر[5].

---

1 الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4: 1401هـ، ج1 ص144

2 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج4 ص334

3 سورة الإخلاص (112 : 01)

4 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ج2 ص559

5 ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج1ص98

لكن تتبع أسمائه من خلال السياقات يفيد قصر الوصف عليه لتعريف الطرفين، ووجود ضمير الفصل في بعض الجمل أو لتقدم الجار والمجرور على الاسم[1].

القصر المفاد من قولك "محمد هو الكاتب" تولد بطريقة خفية ولطيفة لأننا لما قلنا: هو، بعد قولنا: محمد، أفدنا أننا نقصد إلى تمييزه وتحديده وتخصيصه قبل أن نخبر عنه، وهذا لا يكون إلا إذا كنا حريصين على ألا يشاركه غيره في هذا الخبر، وهذا هو معنى قصر هذا الخبر عليه، أي قصر المسند على المسند إليه.

وكذلك يتولد معنى القصر في قولك: محمد الكاتب من شيء خفي ولطيف ليس في الكلمة، وذلك لأن التعريف باللام يفيد الجنسية فقولك: الشجاع يفيد جنس الشجاع، والكاتب يفيد جنس الكاتب، ولهذا استعملت هذه الكلمة فاستغرقت جميع الأفراد، فليس كاتب سواه وهذا هو معنى القصر.

وأسماء الله عُرِّفت بالألف واللام وورد في أغلب جملها ضمير الفصل، أو تقدم الجار والمجرور على الاسم.

فلو نظرنا إلى الجمل التي وردت فيها بعض أسماء الله لوجدناها على النحو التالي:

هو الرحمن الرحيم، إنه هو الغفور الرحيم، أنِّي أنا الغفور، وربك الغفور، إنه هو الغفور، هو الرحيم الغفور، أنت العزيز الحكيم، إن الله هو الغفور، الله العزيز العليم، وهو العزيز الغفور، وهو الغفور الودود، هو العزيز الرحيم، ربك العزيز الوهاب، على كل شيء قدير، بما تعملون بصير.

إن دلالة القصر لا تخلو من واحدة منها إما بسبب تعريف الطرفين، وإما بسبب ضمير الفصل بين الاسم والخبر أو تقدم الجار والمجرور على الاسم، وقد ذكر البقاعي –رحمه الله– تعقيباً على هذه الجمل بما يفيد دلالتها على القصر حيث يقول مثلاً تعقيباً

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج17ص107، ج14ص23، ج22ص275

على قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1] قال : أي وحده[2]. وفي قوله: ﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3] قال: وحدي...لا اعتراض لأحد عليه[4].

وفي قوله ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ﴾[5] قال: أي هو وحده الذي يستر الذنوب إما بمحوها أو بالحلم عنها إلى وقت[6]. وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[7] فقال: «والله» أي المحيط بجميع صفات الكمال. ولما كان الإنسان هو المقصود الأعظم من سائر الأكوان فكانت أحواله مضبوطة بأنواع من الضبط كأن العلم البليغ مقصور عليه فلذلك قدّم قوله: «بما تعملون» أي كله وإن دقّ سواء كان فعل القلب وحده أو لا[8]، ولاشك أن العلم الكامل بالظاهر والباطن من صفات الله وحده.

والناظر في سياق هذه الآيات يجد كل جملة ذكر فيها اسمه معرفاً بأل يشير إلى اختصاص الله تعالى بهذه الصفة وبغيرها.

---

1 سورة الزمر (39 : 53)

2 ينظر: نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، ج4ص97

3 سورة الحجر (15 : 49)

4 ينظر: نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، ج4ص225

5 سورة الكهف (18 : 58)

6 نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، ج4ص484

7 سورة البقرة (02 : 283)

8ينظر: نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، ج1ص551

المبحث الثاني

تناسب سياق الآيات والأسماء الحسنى

❖ السياق القرآني ومراتبه:

تقتضي دراسة العلاقة بين الاسم والسياق التطرق إلى أوجه التناسب المعنوي في التعقيبات القرآنية التي تأتي بأسماء الله تعالى وصفاته، ذلك أننا نلفي آيات الرحمة مختومة بأسماء الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة، والقدرة والحكمة، والعلم، والقهر، وهلم جرا، فهنالك تناسب دقيق، ورباط وثيق يجمع بين الآيات وما خُتمت به من أسماء أو صفات.

الكشف عن السياق والوصول إليه مبني على الاجتهاد ودقة الاستنباط، وإدراكه مما تختلف فيه العقول، وذلك أنه مرتبة تأتي بعد إدراك المعنى العام، ويتطلب فهمه إشغالاً للذهن، قال ابن خلدون (ت808 هـ) في منزلة إدراك الإعجاز في كلام الله تعالى: «وإنما يدرك بعض الشيء من الإعجاز من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من الإعجاز على قدر ذوقه، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مُبلِّغه أعلى مقاماً في ذلك؛ لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأضحه...»[1].

ومما يدل على أن السياق يحتاج إلى دقة فهم ونظر ثاقب، ما تميز به ابن عباس ﵄ في فهم كتاب الله تعالى ببركة دعاء النبي ﷺ، ومن الشواهد على ذلك: ما روي أن عمر بن الخطاب ﵁ قال للصحابة: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ

1 مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط5: 1984م، ص552

وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾[1]؟ قالوا: أُمِرنا أنْ نحمدَ الله ونستغفرهُ إذا نُصرنا وفُتح علينا، فقال لابن عباس: أكذاك تقول؟ قال: هو أَجلُ رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال: ما أعلمُ منها إلاّ ما تعلمُ[2].

قال ابن القيم (ت751 هـ): «وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد، فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ودخول الناس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعلم أن سبب الاستغفار غيره، وهو حضور الأجل الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه ليلقى ربه طاهرا مطهرا من كل ذنب، ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[3] وهو ﷺ كان يسبح بحمده دائما، فعلم أن المأمور به من ذلك التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في هذا الدين أمر أكبر من ذلك المتقدم، وذلك مقدمة بين يدي انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

والمقصود تفاوت الناس في مراتب فهم النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه، ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره، وأخص من هذا وألطف ضمُّه إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرا زائدا على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به»[4].

---

1 سورة النصر (110 : 01)

2 صحيح البخاري، ج4 ص1563 (ح:4043)

3 سورة النصر (110: 03)

4 إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله مُحَّد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1: 1423هـ، ج1ص353-354

يختلف السياق القرآني عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق متداخلة فيما بينها، وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته، وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع:

- النوع الأول: سياق القرآن.
- النوع الثاني: سياق السورة.
- النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات.
- النوع الرابع: سياق الآية.

وهذه الأنواع الأربعة مؤتلفة ائتلافاً عجيباً فلا تجد بينها تعارضاً، بل إنها متكاملة تكاملاً، ينتج عنه معاني متعددة وأغراضا متنوعة، وهذا والله أعلم سر كون القرآن محتملا للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة.

نقل الإمام برهان الدين البقاعي (ت885 هـ) عن الأستاذ أبي الحسن الحرالي (ت637 هـ) في سياق حديثه عن تنزلات القرآن بحسب الأسماء: «اعلم أن خطاب الله يرد بيانه بحسب أسمائه ويجمعها جوامع أظهرُها ما ترى آياته وهو اسمه الملك وما يتفصل إليه من الأسماء القيمة لأمر الحكم والقضاء والجزاء نحو العزيز الحكيم الذي يختم به آيات الأحكام: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾[1] ثم ما تسمع آياته من اسمه الرحمن الرحيم وما يتفصل من الأسماء من معنى الرحمة المنبئة عن الصفح والمغفرة الذي تختم به آيات الرحمة: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣﴾[2] فلكل تفصيل في مورد وجهي العدل والفضل أسماء يختص به بناؤها ولذلك قال ﷺ ما لم يختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة، ثم ما توجِد آياته وجداناً في النفس وهي الربوبية وما ينتهي

---

1 سورة المائدة (05 : 38)

2 سورة الأحزاب (33 : 73)

إليه معنى سواء أمرها من: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1] وما يتفصل إليه من الأسماء الواردة في ختم الإحاطات نحو: ﴿الواسع العليم﴾، فمن تفطن لذلك استوضح من التفصيل الختم واستشرح من الختم التفصيل، وقد كان ذلك واضحاً عند العرب فاستعجم عند المتعربين إلا ما كان ظاهر الوضوح منه ولتكرار الأسماء بالإظهار والإضمار بيان متين الإفهام في القرآن»[2].

وتنقسم أسماء الله وصفاته على الجملة إلى ثلاثة أقسام: فمنها ما يرجع إلى الذات، ومنها ما يرجع إلى صفات الذات، ومنها ما يرجع إلى صفات الفعل.

1 سورة الفاتحة (01: 02)

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص372-373

❖ بلاغة الأسماء الحسنى:

تساق الأساليب في اللغة العربية لتحقيق مقاصد دلالية وأغراض بلاغية، وفي القرآن الكريم قد تخرج مقاصد هذه الأساليب عن معانيها الأصلية أو قد تتضافر هذه الدلالات الإضافية مع الدلالات الأصلية للوصول إلى الأسرار واللطائف الجمالية التي تكمن وراء الأساليب.

تحقق أسماء الله تعالى وصفاته أغراضا دلالية تختلف باختلاف ترتيبها وتباين السياق الذي يتضمنها، هذه الدلالات يعجز الإنسان عن حصرها، والإحاطة بها لكن المحاولات قد تعددت لبيان بعضها، وتتميز الأساليب التي تتضمن أسماء الله بميزات كالتقديم والتأخير، والتمهيد للاسم بما يقتضيه، وورودها في سياقات مختلفة كالحصر والقصر وجواب الشرط، وفيما يلي محاولة لبسط بعض هذه الأغراض:

التمهيد للاسم بما يقتضيه مدلوله: ويُختار الاسم من الأسماء الحسنى دون غيره لأن السياق لا يقبل غيره، ولأن الصفة التي مُهدت بها الآية أو السورة تستدعي ذلك الاسم أو ذينك الاسمين المزدوجين، فالربوبية مثلا لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة لذلك أتبع صفة الرب بصفتي (الرحمن الرحيم) في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[1] ترغيبًا في لزوم حمده، وهي تتضمن تثنية تفصيل ما شمله الحمد أصلاً[2].

– قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ۝٢٢٥﴾[3]، لما كان السياق للمؤاخذة التي هي معالجة كل من المتناظرين

1 سورة الفاتحة (01: 02-03)

2 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص14

3 سورة البقرة (02 : 225)

لصاحبه بالأخذ كان الحلم أنسب الأشياء، لذلك ختم السياق بـ ﴿حليم﴾ لا يعاجلهم بالأخذ. والحلم احتمال الأعلى للأذى من الأدنى، وهو أيضاً رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم[1]. ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون الرحيم، لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى، فلذلك وصف الله نفسه بالحليم، لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة[2].

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾[3] ثم لما كان ذكر المؤاخذة قطعاً لقلوب الخائفين سكنها بقوله مظهراً موضع الإضمار إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه: ﴿والله﴾ أي مع ما له من العظمة ﴿غفور﴾ أي ستور لذنوب عباده إذا تابوا[4].

كما يمكن اكتشاف سر اختيار شكور بدل رحيم ليقترن باسمه الغفور، والداعي إلى ذلك هو سياق الآية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾[5]، إنا قد ارتكبنا من المساوئ ما لم ينفع معه شيء، قال نافياً لذلك على سبيل التأكيد مبيناً القول إلى الاسم الأعظم: ﴿إن الله﴾ أي الذي لا يتعاظمه شيء ﴿غفور﴾ لكل ذنب تاب منه صاحبه أو كان يقبل الغفران وإن لم يتب منه إن شاء، فلا يصدن أحداً سيئة عملها عن الإقبال على الحسنة. ولما كان إثبات الحسنة

1 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص426

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2ص384

3 سورة البقرة (02 : 226)

4 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص425

5 سورة الشورى (02 : 23)

فضلاً عن الزياة عليها لا يصح إلا مع الغفران، ولا يمكن أن يكون مع المناقشة، فذكر ذلك الوصف الذي هو أساس الزيادة، أفادها –أي الزيادة– بقوله: ﴿شكور﴾ فهو يجزي بالحسنة أضعافها ويترك سائر حقوقه[1].

التقديم والتأخير بين الأسماء: قد يتقدم الاسم على غيره مخالفا للغالب في التقديم والتأخير فيتقدم على غيره لأن السياق يستلزم ذلك التقديم، مثاله تقديم الرحيم على الغفور وذلك في موضع واحد في أول سبأ وهو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[2] وقد علم أن الغالب تقدم الغفور على الرحيم، أما تقديم الرحيم على الغفور ففيه معنى عجيب يظهر لمن تأمل سياق أوصافه العلى وأسماءه الحسنى في أول السورة إلى قوله وهو الرحيم الغفور فإنه ابتدأ سبحانه السورة بحمده «الله» الذي هو أعم المعارف وأوسع العلوم وهو متضمن لجميع صفات كماله ونعوت جلاله مستلزم لها كما هو متضمن لحكمته في جميع أفعاله وأوامره فهو المحمود على كل حال وعلى كل ما خلقه وشرعه ثم عقب هذا الحمد بملكه الواسع المديد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3] ثم عقبه بأن هذا الحمد ثابت له في الآخرة غير منقطع أبدا فإنه حمد يستحقه لذاته وكمال أوصافه وما يستحقه لذاته دائم بدوامه لا يزول أبدا، وقرن بين الملك والحمد على عاداته تعالى في كلامه فإن اقتران أحدهما بالآخر له كمال زائد على الكمال بكل واحد منهما فله كمال من ملكه وكمال من حمده وكمال من اقتران أحدهما بالآخر فإن الملك بلا حمد يستلزم نقصا والحمد بلا ملك يستلزم عجزا والحمد مع الملك غاية الكمال.

---

1 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص625

2 سورة سبأ (34 : 02)

3 سورة سبأ (34 : 01)

ونظير هذا العزة والرحمة والعفو والقدرة والغنى والكرم فوسط الملك بين الجملتين فجعله محفوفا بحمد قبله وحمد بعده ثم عقب هذا الحمد والملك باسم الحكيم الخبير الدالين على كمال الإرادة وأنها لا تتعلق بمراد إلا لحكمة بالغة وعلى كمال العلم وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بخبره فنسبة الحكمة إلى الإرادة كنسبة الخبرة إلى العلم، فالإرادة ظاهرة والحكمة باطنة والعلم ظاهر والخبرة باطنة فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة وكمال العلم أن يكون كاشفا عن الخبرة فالخبرة باطن العلم وكماله والحكمة باطن الإرادة وكمالها فتضمنت الآية إثبات حمده وملكه وحكمته وعلمه على أكمل الوجوه ثم ذكر تفاصيل علمه بما ظهر وما بطن في العالم العلويّ والسفليّ فقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾[1]، ثم ختم الآية بصفتين تقتضيان غاية الإحسان إلى خلقه وهما الرحمة والمغفرة فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه برحمته ويعفو عن زلتهم ويهب لهم ذنوبهم ولا يؤاخذهم بها بمغفرته فقال: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾[2] فتضمنت هذه الآية سعة علمه ورحمته وحكمه ومغفرته[3].

أن يتعلق كل اسم بطرف دون آخر: وقد يرد الاسمان ويكون كل منهما أشد تعلقا بطرف دون طرف آخر، فيجمع الله بينهما، لكن هذا لا يمنع أن يشمل كل اسم ما تعلق به الاسم الآخر، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ

---

1 سورة سبأ (34 : 02)

2 سورة سبأ (34 : 02)

3 ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1ص138-139

عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[1] ولعل العفو راجع إلى الرجال والغفران إلى النساء والولدان[2]، وفي قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾[3]. لما كان المقام لإنزال الآية القاهرة، قدم قوله: ﴿العزيز﴾ أي القادر على كل من قسرهم على الإيمان والانتقام منهم ﴿الرحيم﴾ في أنه لم يعاجلهم بالنقمة، بل أنزل عليهم الكتاب ترفقاً بهم، وبياناً لما يرضاه ليقيم به الحجج على من أريد للهوان، ويقبل بقلوب من يختصه منهم للإيمان، قيل: والمعنى أنه عز في نقمته من الكفار، ورحم مؤمني كل أمة[4]، قال القرطبي (ت671 هـ): «يريد المنيع المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه[5]. قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً»[6].

ترتيب الاسمين حسب مضمون السياق: ترتيب الاسمين ليس عشوائيا بل إنه ينتظم مع ما يقتضيه السياق والمقام، كتقديم العليم على الحكيم في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾[7] وترتيب الوصفين على غاية الإحكام، لأن الحال داع إلى العلم بما

1 سورة النساء (04 : 98-99)

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج2ص304

3 سورة الشعراء (26 : 06-09)

4 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج5ص349

5 ينظر: تفسير القرطبي، ج13ص91

6 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج24ص105

7 سورة يوسف (12 : 83)

غاب من الأسباب أكثر من دعائه إلى معرفة حكمتها. فقال: ﴿العليم الحكيم﴾ ؛ العليم: البليغ العلم بما خفي علينا من ذلك، فيعلم أسبابه الموصلة إلى المقاصد، الحكيم: البليغ في إحكام الأمور في ترتيب الأسباب بحيث لا يقدر أحد على نقض ما أبرمه منها[1]. كما قدم العزيز على الرحيم في قوله: ﴿رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾[2] لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً[3].

الدلالة على القصر والحصر: ومعناه قصر الوصف على الله تعالى بحيث لا يمكن أن يشاركه فيه غيره، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[4] وتعريف جزأي هذه الجملة والإتيان بضمير الفصل يفيد قصرين للمبالغة في كمال الوصفين له تعالى بتنزيل سمع غيره وعلم غيره منزلة العدم. ويجوز أن يكون قصراً حقيقياً باعتبار متعلق خاص أي السميع العليم لدعائنا لا يعلمه غيرك وهذا قصر حقيقي مقيد وهو نوع مغاير للقصر الإضافي لم ينبه عليه علماء المعاني[5]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[6] دلالة قصر من طريق تعريف جزأي الجملة[7].

1 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج4ص88-89
2 سورة الشعراء (26 : 06-09)
3 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج24ص105
4 سورة البقرة (02 : 127)
5 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج1ص719
6 سورة الحديد (57 : 03)
7 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج27ص367

الدلالة على جواب الشرط: قد تقع الجملة المتضمنة للأسماء الحسنى في موضع المبين لجواب الشرط، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾[1] فإن قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ دليل جواب الشرط، وهو علّة له، وتقدير الجواب: يَعفُ عَنكم عند القدرة عليكم، كما أنّكم فعلتم الخير جهراً وخفية وعفوتم عند المقدرة على الأخذ بحقّكم، لأنّ المأذون فيه شرعاً يعتبر مقدوراً للمأذون، فجواب الشرط وعد بالمغفرة لهم في بعض ما يقترفونه جزاء عن فعل الخير وعن العفو عمّن اقترف ذنباً. جملة الجزاء تحريض على العفو ببيان أنّ فيه تخلّقاً بالكمال، لأنّ صفات الله غاية الكمالات. والتقدير: إن تبدو خيراً...الخ تكونوا متخلّقين بصفات الله، فإنّ الله كان عفوّاً قديراً[2].

الدلالة على الطباق والتضاد: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[3] وإنما أوثر وصف ﴿الآخر﴾ بالذكر دون (الباقي) لأنه مقتضى البلاغة ليتم الطباق بين الوصفين المتضادين ﴿الأول والآخر﴾. والجمع بين وصفه بـ (الظاهر) بالمعنى الراجح و(الباطن) كالجمع بين وصفه بـ (الأول والآخر). وفي الجمع بينهما محسن المطابقة.

وفائدة إجراء الوصفين المتضادين على اسم الله تعالى هنا التنبيه على عظم شأن الله تعالى ليتدبر العالمون في مواقعها[4].

ويمكن تقسيم هذه الأغراض الدلالية إلى نوعين من الدلالات:

1 سورة النساء (04 : 149)

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج6ص7

3 سورة الحديد (57 : 03)

4 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج27ص362-363

❖ الدلالة على المدح والثناء:

أعظم غرض تساق من أجله الأسماء الحسنى هو الثناء على الله وتعظيمه وتمجيده، ولهذا لما قال العبد في الفاتحة: ﴿الرحمن الرحيم﴾ بعد الحمد، قال الله تعالى: «أثنى عليّ عبدي»، كما في حديث «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»[1].

والثناء على الله عامة ما يجيء مضافا إلى أسمائه الحسنى الظاهرة دون الضمير إلا أن يتقدم ذكر الاسم الظاهر فيجيء بعده المضمر وهذا نحو قول المصلي: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[2] وقوله في الركوع: «سبحان ربي العظيم» وفي السجود: «سبحان ربي الأعلى»، وفي هذا سر عظيم وهو أن تعليق الثناء بأسمائه الحسنى لِما تضمنت معانيها من صفات الكمال ونعوت الجلال فأُتِي بالاسم الظاهر الدال على المعنى الذي يُثنى به ولأجله عليه تعالى.

فأما الدعاء حيث وقع لا يكاد يجيء إلا مُصدَّرا باسم الرب نحو قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾[3] وقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾[4] وقول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾[5]، وأما الثناء فحيث ما وقع فمُصدَّر بالأسماء الحسنى وأعظم ما يصدَّر به اسم الله ﷻ نحو: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[6] ونحو: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ

---

1 صحيح مسلم، ج1ص296، (ح/395)، مسند الإمام أحمد، ج2ص241، (ح/7289)

2 سورة الفاتحة (01 : 01-05)

3 سورة آل عمران (03: 147)

4 سورة الأعراف (07 : 23)

5 سورة القصص (28 : 16)

6 سورة الفاتحة (01 : 02)

ٱلۡعَرۡشِ﴾[1] وجاء: ﴿سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾[2] ونحوه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾[3] ونحو: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾[4]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَـٰلِقِينَ﴾[5] ﴿تبارك ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾[6].[7]

الدلالة والبرهنة على أفعال الله: كثيرا ما ترد أسماء الله الحسنى في سياق لتثبت أو تبرهن صدق ما يتقدمها، وأبرز ما تساق هذه الأسماء للبرهنة عليه هو توحيد الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[8] أتبع سبحانه وتعالى بقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ دليلاً على قسطه ؛ لأنه لا يصح أبداً لذي العزة الكاملة والحكمة الشاملة أن يتصرف بجور، وعلى وحدانيته ؛ لأنه لا يصح التفرد بدون الوصفين وليسا على الإطلاق لأحد غيره أصلاً[9]. لما كان السياق للتوحيد الذي هو أصل الدين في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾[10]، لفت القول عن مظهر العظمة إلى أعظم منه وأبين فقال: ﴿إلا الله﴾ وللإحاطة عبر بالاسم العَلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى، وللتفرد قال مبرهناً على ذلك: ﴿الواحد﴾ أي بكل اعتبار فلا يمكن أن يكون له

---

1 سورة الأنبياء (21 : 22)
2 سورة الصافات (37 : 180)
3 سورة الحشر (59 : 01)
4 سورة الأعراف (07 : 54)
5 سورة المؤمنون (23 : 14)
6 سورة الفرقان (25 : 01)
7 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج2ص419-420
8 سورة آل عمران (03 : 18)
9 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج2ص43-44
10 سورة ص (38 : 65)

جزء أو يكون له شبيه محتاج مكافئ، ﴿القهار﴾ أي الذي يقهر غيره على ما يريد، وهذا برهان على أنه الإله وحده وأن آلهتهم بعيدة عن استحقاق الإلهية لتعددها وتكافئها بالمشابهة واحتياجها[1].

تتابع الأسماء للدلالة على منتهى الكمال: خاصة إذا كان الاسمان متقاربين في المعنى، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾[2] ولما كان الرب والملك متقاربين في المفهوم، وكان الرب أقرب في المفهوم إلى اللطف والتربية، وكان الملك للقهر والاستيلاء وإظهار العدل ألزم، وكان الرب قد لا يكون ملكاً فلا يكون كامل التصرف، اقتضت البلاغة تقديم الأول وإتباعه الثاني، فقال تعالى: ﴿ملك الناس﴾ إشارة إلى أن له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان، وإليه المفزع وهو المستعان، والمستغاث والملجأ والمعاد.

ولما كان الملك قد لا يكون إلهاً، وكانت الإلهية خاصة لا تقبل شركاً أصلاً بخلاف غيرها، أنهي الأمر إليها وجعلت غاية البيان فقال: ﴿إله الناس﴾ إشارة إلى أنه كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك أحد، فكذلك هو وحده إلههم لا يشركه في إلهيته أحد، وهذه دائماً طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بتوحيدهم له في الربوبية والملك على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، فمن كان ربهم وملكهم فهم جديرون بأن لا يتألهوا سواه ولا يستعيذوا بغيره[3].

❖ الدلالة على ما يتعلق بأفعال العباد:

الدلالة على تعليل أفعال العباد: قد تحمل الأسماء الحسنى معنى التعليل، وذلك كثير في القرآن الكريم، ومثاله، قوله تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ

1 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص400

2 سورة الناس(114 : 01-03)

3 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج8ص612-613

أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾[1] لما صاروا إلى كرامته بمغفرته ذنوبهم وشكره إحسانهم قالوا: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ وفي هذا معنى التعليل أي بمغفرته وشكره وصلنا إلى دار كرامته فإنه غفر لنا السيئات وشكر لنا الحسنات[2]. ومثاله أيضا، تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه لكونه رحيم ودود، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا[3]، يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾[4]، فقال: ﴿واستغفروا ربكم﴾ أي اطلبوا ستر المحسن إليكم، ثم علل ذلك مرغباً في الإقبال عليه بقوله: ﴿إن ربي﴾ أي المختص لي بما ترون من الإحسان ديناً ودنيا ﴿رحيم ودود﴾.[5]

الدلالة على البشرى لعباده المؤمنين: يختم الله في كثير من الأحيان آيات سياقها الفزع والقلق بأسماء تقتضي إزالة ذلك الشعور وحمل البشرى، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩﴾[6] ولما كان النصر وهم في القلة والضعف بحال عظيم وقوة عدوهم وكثرتهم أعظم مستبعداً قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ وأظهر موضع الإضمار تحقيقاً للبشرى بالإيماء إلى استحضار

1 سورة فاطر (35 : 34)
2 جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، ج1ص175
3 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج12ص147
4 سورة هود (11 : 90)
5 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج3ص569
6 سورة البقرة (02 : 109)

ما يدل عليه هذا الاسم الأعظم من صفات الجلال والإكرام ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ففي هذا الختم بشرى للمؤمنين بتقديرهم كما أن في الختم بالعلم بشرى بتعليمهم[1].

الدلالة على التهديد والوعيد: وقد تأتي الأسماء للدلالة على التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾[2] في إشارته إعلام بأن الطلاق لا بد له من ظاهر لفظ يقع مسموعاً، وفيه تهديد بما يقع في الأنفس والبواطن من المضارة والمضاجرة بين الأزواج في أمور لا تأخذها الأحكام، ولا يمكن أن يصل إلى علمها الحكام، فجعلهم أمناء على أنفسهم فيما بطن وظهر، ولذلك رأى العلماء أن الطلاق أمانة في أيدي الرجال كما أن العدد والاستبراء أمانة في أيدي النساء[3]. ونجد نظير هذا أيضا في قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾[4] وعيد للمبدل، لأن الله لا يخفى عليه شيء وإن تحيل الناس لإبطال الحقوق بوجوه الحيل وجارُوا بأنواع الجور فالله سميع وصية الموصي ويعلم فعل المبدل، وإذا كان سميعاً عليماً فهو قادر فلا حائل بينه وبين مجازاة المبدل[5].

الدلالة على التقرير أو الإنكار: قد ترد أسماء الله في سياق الاستفهام الدال على التقرير أو الإنكار في الأفعال المنفية، مثاله قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[6]، ذكر ﴿على كل شيء

---

1 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص220

2 سورة البقرة (02 : 227)

3 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص427

4 سورة البقرة (02 : 181)

5 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2ص153

6 سورة البقرة (02 : 106)

شيء قدير﴾ على وجه الاستفهام المتضمن للإنكار والتقرير المشار فيه للتوعد والتهديد، فيخلق بقدرته من الأسباب ما يصير الشيء في وقت مصلحة وفي وقت آخر مفسدة لحكم ومصالح دبرها لتصرم هذا العالم[1].

الدلالة على التأكيد والتفصيل: لا يعني ورود أسماء الله تعالى في مناسبات كثيرة أنها مكررة، فقوله ثانياً ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ في سورة الفاتحة بعد قوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ إشارة إلى الصفة مرة أخرى، ولا يُظن أنه مكرر، فلا مكرر في القرآن، إذ حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة، وذكر الرحمة بعد ذكر ﴿العالمين﴾ وقبل ذكر ﴿العالمين﴾ وقبل ذكر ﴿مالك يوم الدين﴾ ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة ثم ذكر ما حاصله أن إحداهما ملتفت إلى خلق كل عالم من العالمين على أكمل أنواعه وأفضلها، وإيتائه كل ما احتاج إليه، والثانية ملتفت إلى ما بعده بالإشارة إلى الرحمة في المعاد يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد. قال برهان الدين: «وشرح ذلك يطول والمقصود أنه لا مكرر في القرآن، وإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر فانظر إلى سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته»[2]. والاقتصار على نعته تعالى بهما –أي الرحمن الرحيم– في التسمية لما أنه الأنسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والأوفق لمقاصده[3].

الدلالة على الترغيب والترهيب: تأتي الأسماء الحسنى للدلالة على الترغيب بعد الترهيب، كقوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ بعد قوله ﴿رب العالمين﴾، قال القرطبي إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب

1 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص217

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج2ص707

3 ينظر: تفسير أبي السعود، ج1ص15

ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] قال: فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب[3]. وفي الختم بالرحمة أبداً في خواتم الآي إشعار بأن فضل الله في الدنيا والآخرة ابتداء فضل ليس في الحقيقة جزاء العمل فكما يرحم العبد طفلاً ابتداء يرحمه كهلاً انتهاء ويبتدئه برحمته في معاده كما ابتدأه رحمته في ابتدائه[4].

الدلالة على الخوف والرجاء: كقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[5] اِحذروا أن تتعدوا ما حُدَّ لكم فإنه مُطَّلِع على ما تسرون وما تعلنون، ثم قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لولا مغفرته وحلمه لعنتم غاية العنت، فإنه سبحانه مطلع عليكم يعلم ما في قلوبكم ويعلم ما تعملون فإن وقعتم في شيء مما نهاكم عنه فبادروا إليه بالتوبة والاستغفار فإنه الغفور الحليم. وهذه طريقة القرآن يقرن بين أسماء الرجاء وأسماء المخافة كقوله تعالى أيضا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾[6].[7]

---

1 سورة الحجر (15 : 49-50)

2 سورة الأعراف (07 : 167)

3 ينظر: تفسير القرطبي، ج1ص139

4 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص408

5 سورة البقرة (02 : 235)

6 سورة المائدة (05 : 98)

7 جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، ج1ص174

المبحث الثالث

تناسب الأسماء الحسنى بين مطالع السور وخواتمها

❖ التناسب بين الآيات والسور:

المناسبات بين الآيات والسور سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم، الذي بلغ من ترابط سوره، وأجزائه، وتماسك كلماته، وجمله، وآياته، مبلغا لا يدانيه فيه كلام آخر، الأمر الذي دفع فصحاء العرب حين سمعوا القرآن، وبعد أن تحداهم لمعارضته، إلى تأمل القرآن سورة سورة، وآية آية، « فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة تُنكر شأنها أو يُرى غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً وإتقاقاً وإحكاماً، لم يَدَع في نفس بليغ منهم ولو حَكَّ بيافوخه السماء، موضعَ طمع. حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول، وخلدت القروم فلم تملك أن تصول»[1].

ثم إن حسن اختيار الكلمات من عمود بلاغة الخطاب عامة، فكيف بذلك في بلاغة القرآن الكريم، قال أبو سليمان الخطابي (ت380هـ): «اعلم أنَّ عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إمَّا تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمَّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»[2].

والمناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وهي معرفة العلاقات الكائنة بين الآيات والروابط المعنوية بينها، وفائدة ذلك جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا

1 الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، ص122

2 بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان الخطابي، ص29

بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر[1].

ولهذا فإن المناسبات لا تقتصر على مجرد الوقوف على حسن احتيار الكلمة، بل يتعدى إلى التناسب في حسن ترتيب السور، ومما يحسن ملاحظته أن ترتيب السور والآيات لم يكن على ترتيب نزولها، بل تنْزل الآيات على الأسباب خاصة، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق[2]، يقول الزركشي (ت794هـ): «... الزمان إنما يشترط في سبب النُّزول، ولا يشترط في المناسبة؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها»[3].

ولهذا فإن المناسبة تشمل البحث في الآية ومناسبتها لما قبلها أو بعدها، وكذلك البحث في السورة وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من السور، جاء في البرهان: « والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له، وإذا اعتبرت افتتاح كل سوره وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى»[4].

اشترط بعض العلماء ومنهم العز بن عبد السلام (ت660 هـ) في المناسبة أن تقع على في أمر متحد حيث يقول: «المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص37

2 المحرر في علوم القرآن، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ص126

3 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص26

4 المصدر السابق، ج1 ص37-38

ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض»[1].

أما جمهور العلماء فيقرون بوجود المناسبة ويرون أن هذا العلم قد خفي على كثير من المفسرين لدقته، يقول الفخر الرازي في تفسيره: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[2] وقال بعض الأئمة: «من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعاً وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم، وفوائده غزيرة»[3]. قال القاضي أبو بكر بن العربي في (سراج المريدين): «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله –عز وجل– لنا فيه فلم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[4].

قال بعض المشايخ المحققين "الشيخ ولي الدين الملوي": «قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة أو ناظر فيها، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل وإذا رجع إلى التلاوة لم يمثل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقاً بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن

1 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج3 ص370
2 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج10 ص110
3 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص36
4 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3 ص369

المعجز البين أسلوبه الباهر فإنه: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾[1]»[2].

ثم تبرز طائفة أخرى ذهبت إلى أكثر من المناسبة وهو النظام، بل واعتبرت المناسبة جزءا من هذا النظام، وقد تبنى هذا الرأي المعلم عبد الحميد الفراهي الهندي (ت1349 هـ) حيث يقول في معرض بيان الفرق بين المناسبة والنظام: «والفرق بينهما أن التناسب إنما هو جزء من النظام فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما وربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها ولولا ذلك لما عجز الأذكياء عن إدراك التناسب فأنكروه، وبالجملة فمردانا بالنظام أن تكون السورة كلاماً واحداً ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما، كما قدمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض فكما أن الآيات ربما تكون معترضة فكذلك ربما تكون السور معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر فتبين مما تقدم أن النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء»[3]. ويوافقه في ذلك الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه «النبأ العظيم»: «إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً وأوزاعا من المباني جمعت عفواً فإذا هي – لو تدبرت – بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس

1 سورة هود (11 : 01)

2 مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء، ص32

3 مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية–، عبد الحميد الفراهي الهندي، تح: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط1: 2002م، ص28

بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، ولماذا نقول إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان؟ لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقها تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ويتعاون بجملة على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية»[1].

والمهم من هذا العرض هو بيان أن علم المناسبة من العلوم التي اختلف فيها العلماء بين مؤيد ومنكر، وغاية كل من هم التأدب مع كلام الله وعدم الوقوع فيما يغضب الله، وما تطمئن إليه النفس هو أن أكثر العلماء قد أثبتوا هذا العلم ورغبوا فيه، وهو ما يشجع على الغوص في غماره والكشف عن المناسبات بين مطالع السور وخواتيمها خاصة ما اشتملت منها على أسماء الله الحسنى.

يقول مصطفى صادق الرافعي: «وفي القرآن مظهر غريب لإعجازه المستمر، لا يحتاج في تعرُّفه إلى رويَّة ولا إعنات، وما هو إلا أن يراهُ من اعْترض شيئا من أساليب النّاس حتّى يقع في نفسه معنى إعجازه؛ لأنّه أَمر يغلب على الطّبع، وينفرد بِهِ، فيُبين عن نفسه بنفسه، كالصوت المطرب البالغ في التطريب لا يحتاج امرُؤ في معرفته وتمييزه إلى أَكثر من سَماعه، ذلك هو وَجه تركيبه، أَو هو أسلوبه، فإنّه مباينٌ بنفسه لكلّ ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم، وتنزيل كلامهم، وعلى أَنه يؤاتي بعضُه بعضًا، وتناسب كل آية منه كل آيَة أخرى في النّظم والطريقة، (وتترابط كل سورة منه مع سابقتها

---

1 النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، ص188

ولاحقتها في الرّوح العامّة) على اختلاف المعاني، وتباين الأغراض سواء في ذلك ما كان مُبْتدأ به من معانيه وأخباره، وما كَانَ متكرراً فيه... فكأنّه قطعة واحدةٌ»[1].

وهذه الروح (روح التركيب)، لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس؛ ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين، إذ تراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها، ثم إلى تأليف هذا النظم[2].

وبالجملة، فإنّ هذا الإعجاز في معاني القرآن وارتباطها أمر لا ريب فيه، وهو أبلغ في معناه الإلهي إذا انتبهت إلى أن السُّور لم تنزل على هذا التّرتِيب، فكان من الأحرى ألاّ تلتئم، وألاّ يناسب بعضها بعضا، وأن تذهب آياتها في الخلاف كلّ مذهب ولكنّه روح من أمر الله تفرق معجزا، فلمّا اجتمع، اجتمع له إعجاز آخر ليتذكر به أولوا الألباب[3].

1 إعجاز القرآن، الرافعي، ص140

2 المرجع السابق، ص169

3 المرجع السابق، ص170

❖ مطالع السور وخواتمها:

التأنق في بداية الكلام هو أحسن أنواع البلاغة عند البيانيين، لأن البداية هي السبب في إقبال السامع على الكلام أو إعراضه عنه، فينبغي على الخطيب أو المتكلم أن يأتي بأحسن الألفاظ نظماً وسبكاً، وأوضحها معنى وأصحها دلالة وأقواها تأثيراً.

وأخص أنواع البدايات الحسنة في الكلام هو براعة الاستهلال، وذلك بأن يشتمل الكلام على ما يناسب الحال التي يتكلم فيها.

فواتح السور وخواتيمها وجه مشرق من وجوه الإعجاز القرآني، ولذلك اهتم بها العلماء أيما اهتمام، فقاموا يتلمسون التناسب الدقيق بين أجزاء التركيب القرآني، فأبرزوا ذلك بشكل جلي واضح، وكان من ذلك وجه التناسب بين فاتحة السورة وخاتمة غيرها، أو التناسب داخل السورة الواحدة ويشمل التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها، وهو ما يسمى: ترابط الأطراف، أو رد العجز على الصدر[1]، يقول الدكتور القيعي– رحمه الله– «ومما تجدر الإشارة له: التعرف على الانسجام الكامل بين أول السورة ونهايتها»، أو التناسب بين اسم السورة وموضوعها، وهو مبحث عظيم يبرز الأسرار الكامنة وراء أسماء السور القرآنية، بما يقتضيه ذلك من كون أسماء السور توقيفية من عند الله.

جاءت فواتح سور القرآن الكريم وخواتيمها على أحسن الوجوه وأكملها، فقد استهل الرب سبحانه وتعالى بعض السور بما كان العرب يبدأون به أقوالهم في المهمات كقولهم: «يا أيها الناس»، «يا قوم» وفي هذا تنبيه للسامعين إلى ما سيلقى عليهم من الأقوال الهامة كما جاء في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[2]، وفي الحج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

1 الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من العلماء والأساتذة المتخصصين، ص230

2 سورة النساء (04 : 01)

ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾﴾[1]، وفي الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾[2].

واستهل بعضها بحمده وتسبيحه كما في الأنعام: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾[3]، والكهف: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾﴾[4]، وسبأ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾﴾[5]، وفاطر: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[6].

واستهل – سبحانه – بعض السور ببيان الغرض المقصود من التنزيل كما في قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾[7].

واستهل بعضها من غير تمهيد أو عنوان كقوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[8]، وقوله: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾[9].

إلا أن بعض السور بدأت بما بعُد عن أساليب خطباء العرب ولا عهد لهم بمثله، فبعض السور بدأت بالحروف المقطعة: الم، الر، المص، كهيعص، طسم، حم.

---

1 سورة الحج (22 : 01)

2 سورة الحجرات (49 : 01)

3 سورة الأنعام (06 : 01)

4 سورة الكهف (18 : 01)

5 سورة سبأ (34 : 01)

6 سورة فاطر (35 : 01)

7 سورة النور (24 : 01)

8 سورة المنافقون (63 : 01)

9 سورة المجادلة (58 : 01)

هذا الأسلوب المبتكر في القرآن لم يسبق إليه أحد قط، وفيه تنبيه للقوم إلى ما سيتلو عليهم النبي محمد ﷺ.

وأما خواتيم السور فهي مثل الفواتح في حسن البيان لأنّها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمّنة للمعاني البديعة مع إيذان السّامع بانتهاء الكلام حتّى يرتفع معه تشوّف النّفس إلى ما يذكر بعد فقد ختمت بجوامع الكلم ومنابع الحكم والتأكيد البليغ والتهديد العظيم ما بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد[1].

بالإضافة إلى ما سبق فقد تضمنت العديد من فواتح السور وخواتيمها الثناء على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والتي سينحصر الحديث عليها ومحاولة الوقوف على أوجه التناسب بينها، كما يظهر ذلك في سورة الرحمن التي افتتحت باسم الله ﷻ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾[2]، وختمت به في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾[3]، هذا ما يظهر يظهر أن ثمة تناسب واضح بين فاتحة السور وخاتمتها، قال الرازي في اللوامع: كأنه يريد بالاسم ﴿تبارك اسم ربك﴾ الذي افتتح به السورة ﴿الرحمن﴾ وقد انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن وغيره والانتقام بإدخال النيران وغيرها، وأسند تبارك إلى اسم وهو ما يعرف به المسمّى دون أن يقول: تبارك ربّك، لقصد المبالغة في وصفه تعالى بصفة البركة على طريقة الكناية لأنّها أبلغ من التّصريح كما هو مقرّر في علم المعاني، وأطبق عليه البلغاء لأنّه إذا كان اسمه قد تبارك فإنّ ذاته تباركت لا محالة لأنّ الاسم دالّ على المسمّى، وهذا على طريقة قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾[4] فإنّه إذا كان التّنزيه متعلّقا باسمه فتعلّق التّنزيه بذاته أولى، والجلال:

1 ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص182
2 سورة الرحمن (55 : 01)
3 سورة الرحمن (55 : 78)
4 سورة الأعلى (87 : 01)

العظمة، وهو جامع لصفات الكمال اللائقة به تعالى. والإكرام: إسداء النّعمة والخير، فهو إذن حقيق بالثّناء والشّكر[1]، ولا يجتمع هذان الوصفان إلا فيمن وصْفه الرحمن أي العام الرحمة، قال ابن برجان: وهو ظاهر اسمه الله، وباطن اسمه الرب، جعل هذه الأسماء الثلاثة في ظهورها مقام الذات يخبر بها عنه وحجاباً بينه وبين خلقه، يوصل بها الخطاب منه إليهم، ثم أسماؤه الظاهرة مبينة لهذه الأسماء الثلاثة، ومن مقتضى اسمه ﴿الرحمن﴾ انبثت جميع النعم، ولذا ذكر في هذه السورة أمهات النعم في الدارين[2].

التناسب بين السور المتجاورة: للتناسب بين السور المتجاورة أوجه عدة، من أبرزها التناسب بين الأطراف، ويقصد به التناسب فاتحة السورة وخاتمتها أو بين آخر السورة ومطلع التي تليها.

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج27 ص276-278

2 نظم الدرر، البقاعي، ج19 ص 141

❖ التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها:

من أوضح الأمثلة على ذلك التّبجيل والتّعظيم الّذي ختمت به المائدة: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾[1] ولإرادة المبالغة في التّعظيم اختيرت «ما» على «من» لإفادة العموم فيتناول الأجناس كلّها[2]، هذه الخاتمة تتناسب ومطلع السورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾[3] وبيان ذلك أنه لما انقضى جوابه عليه السلام على هذا الوجه الجليل «﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ أي فأنت جدير بأن ترحمهم ولا اعتراض عليك في عذابهم لأن كل حكمك عدل، وإن تغفر لهم أي تمح ذنوبهم عيناً وأثراً فإنك أنت العزيز فلا أحد يعترض عليك ولا ينسبك إلى وهن، الحكيم فلا تفعل شيئاً إلا في أعلى درج الإحكام، لا قدرة لأحد على تعقيبه ولا اعتراض على شيء منه»، فلما كان هذا الجواب من النبي عيسى عليه السلام، تشوف السامع إلى جواب الله له، فقال تعالى مشيراً إلى كون جوابه حقاً ومضمونه صدقاً، منبهاً على مدحه حاثاً على ما بنيت عليه السورة من الوفاء بالعقود: ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ الذين كان لهم في الدنيا وصفاً ثابتاً، فحداهم على الوفاء بما عاهدوا عليه، فكان جزاؤهم ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾، ولما كان

1 سورة المائدة (05: 120)

2 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص183

3 سورة المائدة (05: 01)

ذلك لا يتم إلا برضى المالك قال: ﴿رضي الله عنهم﴾ أي الذي له صفات الكمال وهو كناية عن أنه أثابهم بما يكون من الراضي ثواباً متنوعاً بتنوع ما له من جميع صفات الكمال والجمال، ولما كان ذلك لا يكمل ويبسط ويجمل إلا برضاهم قال: ﴿ورضوا عنه﴾ يعني أنه لم يدع لهم شهوة إلا أنالهم إياها، فلما طلب تعالى المؤمنين بالوفاء فيما نقض به غيرهم، أراهم جل وتعالى ثمرة الوفاء وعاقبته.

ثم ختم سبحانه ببيان أنه الله له ملك السماوات والأرض، وعمم بقوله ﴿وهو على كل شيء قدير﴾، فهو قدير فلذلك هو يحكم ما يريد لأنه هو الإله وحده، وهو قادر على إسعاد من شاء وإشقاء من شاء، وإحلال ما شاء وتحريم ما شاء، والحكم بما يريد ونفع الصادقين الموفين بالعقود الثابتين على العهود، لأن له ملك هذه العوالم وما فيها مما ادعى فيه الإلهية، وقد انطبق آخر السورة على أولها كما ترى أي انطباق، واتسقت جميع آياتها أخذاً بعضها بحجز بعض أيّ اتساق[1].

وكالوعد والوعيد المقترن بأسماء الله الحسنى الّذي ختمت به سورة الأنعام بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾﴾[2]، ولذلك أورد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسّرعة وتوكيد الرّحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع[3]، لا شك

1 ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج6 ص 367-371

2 سورة الأنعام (06 :162- 165)

3 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص183

أن هناك تناسب عجيب بين هذه الخاتمة ومطلع السورة : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ۝٤ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٥﴾[1]، فبعد أن ذم الله هنا الكفار بالتفرق الدال على الضلال، ومدح دين الرسل الذي تقدم أنهم لم يختلفوا فيه أصلاً، وأيأس الكفار من موافقته ﷺ لهم نوعاً من الموافقة وميله معهم شيئاً من الميل، أمره سبحانه – بعد أن ثبت بأول السورة وأثنائها وآخرها أنه لا رب غيره – بالإنكار على من يريد منه ميلاً إلى غير من تفرد بمحياه ومماته، فكان له التفرد بما بينهما وما بعد ذلك من غير شبهة، والتوبيخ الشديد فقال: قل لهؤلاء الذين يطمعون أن تطرد أصحابك من أجلهم ﴿أغير الله﴾ الذي له الكمال كله ﴿أبغي﴾ أطلب وأريد بالإشراك فإن الغني المطلق لا يقبل ممن أشرك به شيئاً.

ولما قدم أنه المحسن إلى كل شيء بالربوبية، وختم بالتهديد بالحشر، أتبعه التذكير بتخصيصهم بالإحسان وجعلهم خلائف في الأرض، ورفع بعضهم فوق بعض في مراقي العقل والعلم والدين المال والجاه والقوة، فلما كان من طبع الآدمي التجبر أتبعه التهديد للظالم والاستعطاف للتائب محذراً من البغي والعصيان فقال موجهاً الخطاب إلى أكمل الخلق تطييباً لقلبه إعلاماً بأنه رباه سبحانه أجمل تربية وأدبه أحسن تأديب: ﴿إن ربك﴾ المحسن إليك، ﴿سريع الحساب﴾ أي لمن يريد عقابه ممن يكفر نعمته، وبعد أن هدد

1 سورة الأنعام (06 : 01-05)

وخوف، رجّى من أراد التوبة واستعطف فقال: ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ معلماً بأنه – على تمام قدرته عليهم وانهماكهم فيما يوجب الإهلاك – بليغ المغفرة لهم عظيم الرحمة.

فقد رغب بعد هذا الترهيب في العفو بأنه على غناه عن الكل أسبل ذيل غفرانه ورحمته بإمهاله العصاة وقبوله اليسير من الطاعات بأنه خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور منافع لهم ثم هم به يعدلون! ولولا غفرانه ورحمته لأسرع عقابه لمن عدل به غيره فأسقط عليهم السماوات وخسف بهم الأرضين التي أنعم عليهم بالخلافة فيها وأذهب عنهم النور وأدام الظلام، فقد ختم السورة بما به ابتدأها، فإن قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[1] هو المراد بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾[2] وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[3] هو معنى قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[4].[5]

ومن أنسب الختم، الختم بالإحاطة التامة بعلم الغيب الذي يتضمنه بعض أسمائه «الحكيم، الخبير...»، قال تعالى في مطلع سورة هود: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[6] مِنْ ﴿لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ الحكيم: الموصوف بإبداع الصنع لحكمته، وإيضاح التّبيين لقوّة علمه. والخبير: العالم بخفايا الأشياء، وكلّما كثرت الأشياء كانت الإحاطة بها أعزّ، فالحكيم مقابل لأُحكِمت، والخبير مقابل لفُصلتْ[7]، قال صاحب نظم الدرر: «فما أنسب ختام هذه الآية للإحكام والتفصيل بقوله: ﴿من لدن﴾ أي

1 سورة الأنعام (06: 02)
2 سورة الأنعام (06: 02)
3 سورة الأنعام (06: 164)
4 سورة الأنعام (06: 165)
5 نظم الدرر، البقاعي، ج7 ص340-346
6 سورة هود (11 : 01)
7 تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص11 ص315

نزلت آياته محكمة مفصلة من إله ﴿حكيم خبير﴾»[1]، ثم ختمت السورة بقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[2]، ﴿ولله﴾ أي المحيط وحده بكل شيء ﴿غيب السماوات والأرض﴾ أي جميع ما غاب علمه عن العباد فهو تام العلم، فهو شامل القدرة كما هو شامل العلم، فلا بد من أن يرجع إليه أمرك وأمر أعدائك، ولما كانت العادة جارية بأن العالم قد يغفل، نزه عن ذلك سبحانه نفسه وأغرق في النفي فقال: ﴿بغافل عما تعملون﴾ ولا تهديد أبلغ من العلم، وهذا بعينه مضمون قوله تعالى في مطلع السورة: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾[3].

وفي سورة لقمان انطبق آخر السورة على أولها، قال الله في آخرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[4]، أثبت الله العلم لنفسه لنفسه على هذا الوجه ﴿إن الله عليم﴾ شامل العلم للأمور كلها، كلياتها وجزئياتها، فأثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد أن نفاه عن غيره في هذه الخمس تارة نصاً وأخرى بطريق الأولى أو باللازم، ولما أثبت العلم على هذا الوجه، أكده لأجل ما سيقت له السورة بقوله:

1 نظم الدرر، البقاعي، ج9 ص226

2 سورة هود (11 : 123)

3 نظم الدرر، البقاعي، ج9 ص406-407

4 سورة لقمان (31 : 33-34)

﴿خبير﴾ أي يعلم خبايا الأمور، وخفايا الصدور، كما يعلم ظواهرها وخفاياها، كل عنده على حد سواء، فهو الحكيم في ذاته وصفاته، ولذلك أخفى هذه المفاتيح عن عباده، لأنه لو أطلعهم عليها لفات كثير من الحكم، باختلاف هذا النظام، على ما فيه من الإحكام، فقد انطبق آخر السورة – بإثباته الحكمة بإثبات العلم والخبر مع تقرير أمر الساعة التي هي مفتاح الدار الآخرة – على أولها ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾[1] المخبر بحكمة صفته التي من عَلِمها حق عِلْمها، وتخلَّق بما دعت إليه وحضت عليه لا سيما الإيقان بالآخرة، كان حكيماً خبيراً عليماً مهذباً مهدياً مقرباً علياً، فسبحانه من هذا كلامه، وتعالى كبرياؤه وعز مرامه، ولا إله غيره وهو اللطيف[2]، ووَصْفُ الْكِتابِ بِالْحَكِيمِ، لِأَنَّهُ أَحْكَمُ وَأَتْقَنُ فَلَيْسَ فِيهِ فضول ولا ما لا يفيد كمالا نفسانيّا، وفي وصفه بهذا الوصف براعة استهلال للغرض من ذكر حكمة لقمان[3].

ومن التناسب الختم بالمغفرة وتطابقه مع الدعوة إلى تقوى الله في المطلع وذلك في سورة الأحزاب حيث أمر الله نبيه ﷺ بأوامر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٣﴾[4]، كل هذه الأوامر نجد أنها تتناسب وخاتمة السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا

1 سورة لقمان (31 : 01-04)
2 ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج15 ص221
3 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج21 ص201
4 سورة الأحزاب (33 : 01-03)

عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[1]، فقد أمر نبيه ﷺ بتقوى الله في المطلع ثم أمر المؤمنين بذلك في الخاتمة، وأمر نبيه أيضا بالتوكل على الله، وختم بما يحتاج فيه إلى التوكل على الله وهو حمل الأمانة، جاء في نظم الدرر: «ولما أُمر النبي ﷺ في مطلعها بالتقوى أمر في مقطعها بذلك على وجه عام، وتوعد المشاقين والمنافقين الذين نهى في أولها عن طاعتهم، وختم بصفتي المغفرة والرحمة ﴿غفور رحيم﴾ كما ختم في أولها بهما آية الخطأ والتعمد، فقد تلاقيا وتعانقا وتوافقا وتطابقا... فقد ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة وحملها – وهي جميع ما في الوجود من المنافع – على السماوات والأرض والجبال، فأشفقن منها وحملها الإنسان، وأن نتيجة العرض والأداء والحمل، العذاب أو الثواب، فعلم أن الكل ملكه وفي ملكه، خائفون من عظمته مشفقون من قهر سطوته وجبروته، وأنه المالك التام المُلك والملِك المطاع المتصرف في كل شيء ختم ذلك بصفتي المغفرة والرحمة»[2]. وجملة وكان ﴿الله غفورا رحيما﴾ بشارة للمؤمنين والمؤمنات بأنّ الله عاملهم بالغفران وما تقتضيه صفة الرّحمة[3].

والختم بالتنزيه من كل شائبة باستعمال فعل التسبيح في الماضي والحاضر والمستقبل، قال في مطلع سورة الحشر منزها ذاته وواصفا إياها بالعزة والحكمة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِ

1 سورة الأحزاب (33 : 70-73)

2 نظم الدرر، البقاعي، ج15 ص227-228

3 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج22 ص132

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١﴾[1]، وختم بقوله : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٤﴾[2]، وفي هذه الآية ردّ العجُز على الصّدْر لأنّ صدْر السّورة مماثل لآخرها[3]، فلما أخبر سبحانه في أول السورة أن الكائنات أوجدت تسبيحه خضوعاً لعزته وحكمته، ودل على ذلك بما تقدم إلى أن أسمعه الآذان الواعية بالأسماء الحسنى، دل على دوام اتصافه بذلك من يحتاج لما له من النقص من الخلق إلى التذكير فعبر بالمضارع فقال: ﴿يسبح﴾ أي يكرر التنزيه الأعظم من كل شائبة نقص على سبيل التجدد والاستمرار، وقد علم سر اتباع الأسماء الشريفة من غير عطف، وذاك أنه لما ابتدأ بـ «هو» وأخبر عنه بالاسم العلم الأعظم المفرد المصون الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، أتبعه تلك الأوصاف العلى من غير عطف إعلاماً بأنه لا شيء منها يؤدي جميع معناه بالمفهوم المتعارف عند أهل اللغة، ولذلك جمع بعدها الأسماء إشارة إلى أنه لا يجمع معناه إلا جميع الأوصاف المنزلة في كتبه والمأخوذة عن أوليائه التي استأثر بها في غيبه وليس شيء مما ذكر ههنا مضاداً في المعنى الظاهري للآخر كالأول والآخر حتى يظن لأجله نقص في المعنى بسبب ترك العطف، وأما ترتيبها هكذا فلأن كل اسم منها شارح لما خفي من الذي قبله ومبين للازمه، وموضح لما ألاح أنه من مضمونه، وقد انعطف على افتتاحها وختامها وعانق ابتداؤها تمامها، ووفى مطلعها مقطعها، وزاد وبلغ الغاية من الإرشاد إلى سبيل الرشاد، فسبحان من أنزله برحمته رحمة للعباد، وهادياً إلى الصواب والسداد[4].

---

1 سورة الحشر (59 : 01)

2 سورة الحشر (59 : 24)

3 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج28 ص127

4 ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج19 ص481-482

❖ التناسب بين خاتمة السورة ومطلع التي تليها:

ومن أمثلته، خاتمة سورة يونس: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[1] وفاتحة سورة هود ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾[2] لما ختمت سورة يونس بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال، ابتدئت سورة هود بوصفه بما يرغب فيه، فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدي ﴿كتاب﴾ عظيم جامع لكل خير، ثم وصفه بقوله: ﴿أحكمت﴾ بناه للمفعول بياناً لأن إحكامه أمر قد فرغ منه على أيسر وجه عنه سبحانه وأتقن إتقاناً لا مزيد عليه ﴿فصلت﴾ أي جعلت لها –مع كونها مفصلة إلى حلال وحرام وقصص وأمثال– فواصل ونهايات تكون بها مفارقة لما بعدها وما قبلها، يفهم منها علوم جمة ومعارف مهمة، وما أنسب ختام هذه الآية للإحكام

1 سورة يونس (10 : 106-109)

2 سورة هود (11 : 01-03)

والتفصيل[1] بقوله: ﴿من لدن حكيم خبير﴾ أي من عند الموصوف بإبداع الصنع لحكمته، وإيضاح التبيين لقوة علمه. والخبير: العالم بخفايا الأشياء، وكلما كثرت الأشياء كانت الإحاطة بها أعز، فـ﴿الحكيم﴾ مقابل لـ ﴿أحكمت﴾، و﴿الخبير﴾ مقابل لـ ﴿فصلت﴾. وهما وإن كانا متعلق العلم ومتعلق القدرة إذ القدرة لا تجري إلا على وفق العلم، إلا أنه روعي في المقابلة الفعل الذي هو أثر إحدى الصفتين أشد تبادرا فيه للناس من الآخر وهذا من بليغ المزاوجة[2].

ومن التقابل بين آيات خاتمة سورة يونس وفاتحة سورة هود ما نجده من الأمر بالاستغفار في سورة هود بعد أن أخبر أنه الغفور الرحيم في سورة يونس، والأمر باتباع الوحي وإخبار الناس جميعا أنه قد جاءهم من ربهم الحق في سورة يونس، وفصل هذا الحق بأنه قد أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير في سورة هود.

وكذلك يظهر التناسب بين خاتمة الإسراء عند قوله سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾[3]، وفاتحة الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾[4]، قال البقاعي: «لما خُتمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص، لكونه أعلم الخلق بذلك؛ بُدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم»[5].

---

1 نظم الدرر، البقاعي، ج9 ص226

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور ج11 ص315

3 سورة الإسراء (17 : 111)

4 سورة الكهف (18 : 01)

5 نظم الدرر، البقاعي، ج12 ص2

ومن أوجه هذا التناسب، التناسب بين خاتمة سورة القمر ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾[1] وفاتحة سورة الرحمن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١﴾[2] فلما ختم سبحانه القمر بعظيم الملك وبليغ القدرة، فقال جواباً لمن قد يقول: من هذا المليك المقتدر، فقيل: ﴿الرحمن﴾ أي العام الرحمة، ولما كان الملك القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة، وكانت رحمته لا تتم إلا بعمومها، قصر هذه السورة «سورة الرحمن» على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال، وموازنة لما حصل بالملك والاقتدار من غاية التبرك والظهور والهيبة والرعب باسم هو مع أنه في غاية الغيب دال على أعظم الرجاء مفتتحاً لها بأعظم النعم وهو تعليم الذكر الذي هز ذوي الهمم العالية في القمر إلى الإقبال عليه بقوله ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾[3].[4]

التناسب في ذكر الرحمة بين خاتمة سورة مريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ٩٨﴾[5] وفاتحة سورة طه: ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ

1 سورة القمر (54 : 55)
2 سورة الرحمن (55 : 01)
3 سورة القمر (54 : 17)
4 نظم الدرر، البقاعي، ج19 ص139-140
5 سورة مريم (19 : 96-98)

لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[1].

ختمت سورة مريم بما بُدئت به من الرحمة لأوليائه، والود لأصفيائه، والنعمة للذين خلفوا بعدهم من أعدائه، بعد الرحمة للفريقين بهذا الكتاب بشارة ونذارة فحلت الرحمة على أوليائه، وزلت عن أعدائه، وعُبر عن هذه الرحمة باسمه ﴿الرحمن﴾، ومن آثار هذه الرحمة تيسير الذكر لعباده، حتى يكون بشارة لأوليائه ونذارة لأعدائه. والسياق الذي ذكر فيه اسم ﴿الرحمن﴾ في خاتمة سورة مريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ هو سياق وضع القبول والمحبة لأوليائه في الأرض، أما سياق ذكره في فاتحة سورة طه ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ هو سياق الحديث عن استوائه على العرش في السماء، ومنه نخلص إلى أنه سبحانه هو الرحمن في السماء والأرض، كما أخبر عن أنه الإله في السماء وفي الأرض : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾[2].

وقد يلحق الإشارة إلى التناسب الواقع بين الفاتحتين، أي فاتحتي السورتين المتجاورتين، في القرآن الكريم أزواج أو مجموعات من السور المتجاورة تتطابق فواتحها أو تتقارب، أو يكون بينها وجه من وجوه المناسبة، وسيأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث، ما يترتب على المشابهة بين الفواتح من تناسب بين السور تجاورت أم لم تتجاور، وأما هنا فالمقصود إبراز ارتباط فاتحتي السورتين المتجاورتين، ومن أمثلته: الإسراء والكهف، ففاتحة الإسراء جاءت على النحو التالي: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ

1 سورة طه (20 : 01-05)

2 سورة الزخرف (43 : 84)

بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[1]، وفاتحة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾[2].

والمناسبة بينهما أولاً: من حيث تكرر لفظة ﴿عبده﴾ في الافتتاحيتين مقصوداً بها محمد ﷺ، وثانياً: من حيث افتتاح الإسراء بالتسبيح[3]، والكهف بالتحميد لأنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها؛ فإنه المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى والآخرة، ولذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه[4]، «وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، وسبحان الله وبحمده»[5]. وقال الإمام الرازي في تعليل تقدم التسبيح في الإسراء على التحميد في الكهف: «التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي، وهو إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته، والتحميد عبارة عن كونه مكملاً لغيره، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته، ونهاية الأمر هو كونه مكملاً لغيره؛ فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا: «سبحان الله»، ثم نذكر بعده: «الحمد لله»، تنبيهاً على أن مقام التسبيح مبدأ، ومقام التحميد نهاية»[6]، وإنما أشرنا إلى هذه المناسبة لتضمنها تمجيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه بالتسبيح والتحميد اللذان هما من مقتضيات أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

---

1 سورة الإسراء (17 : 01)

2 سورة الكهف (18 : 01)

3 قال الكرماني: كلمة التسبيح استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل (الإسراء)؛ لأنه الأصل، ثم الماضي، في الحديد والحشر والصف؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمستقبل، في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في سورة الأعلى، استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها.

4 ينظر: تفسير ابن كثير، أبو الفداء ابن كثير، ج5 ص135

5 أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، ص105

6 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج21 ص421

المبحث الرابع

تناسب الأسماء الحسنى في القصص القرآني

❖ القصص القرآني:

القرآن كتاب هداية، وهذا هو الأصل فيه، وكل ما ورد فيه من توجيه وما اشتمل عليه من منهج وما تميز به من أسلوب إنما يهدف إلى تحقيق تلك الغاية، والقصة في القرآن ليست قصة بالمفهوم الأدبي المتعارف عليه عند كتاب الرواية، ولا يمكن أن تكون كذلك، فالقرآن ليس رواية، وليست غايته سرد حادثة، وإنما غايته تحقيق هدف ينسجم مع رسالة القرآن[1].

القصة عمل فنيّ مستقل في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها، وإدارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية، وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات معينة، ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني، ووفاؤها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها[2].

وما يقصه القرآن من أخبار الأنبياء السابقين والأمم السابقة إنما يراد به أولا العبرة والعظة، ويراد به ثانيا تأكيد منهج الدعوة واستمرارية هذا المنهج، ويراد به ثالثا تصحيح الأحداث التاريخية ووضع تلك الأحداث في إطارها الصحيح، للتأكيد على أن أنبياء الله واجهوا تحديات وصعوبات وصبروا، ولم يضعفوا أو يستسلموا، وتابعوا طريقهم من غير تردد، مدافعين عن الحق رافعين لواء الإيمان بالله، مطالبين بتصحيح مسيرة الإنسان، مبرزين عظمة الفضيلة في السلوك الإنساني[3].

1ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمَّد فاروق النبهان، ص253

2 ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، ط17، ص143

3 المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمَّد فاروق النبهان، ص253

وفي اللغة: فإن القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته[1]، قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾[2] ؛ أي اتبعي أثره، يقال: قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها، أقصّها قصّا. والقصّ: البيان، والقصص، بالفتح: الاسم. والقاصّ: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها[3]. يقول الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره: «والقصة: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم، وجمع القصة قِصص بكسر القاف، وأما القَصص بفتح القاف فاسم للخبر المقصوص، وهو مصدر سمي به المفعول، يقال: قص علي فلان إذا أخبره بخبر»[4].

لذا فإن القصص القرآني خبر عن أمم سابقة، وهو خبر عن غيب ولا يمكن أن يعلمه إلا من أوتي سعة من علم، وجاء الوحي به، لتأكيده وإقراره وتصحيحه، وما كان أهل الجاهلية يعلمون إلا القليل من أخبار الرسل والأمم، ولا بد أن ما علموه دخله التحريف والتزوير والتشويه حتى أصبحت الحقيقة ضائعة، وجاء القرآن لكي يؤكد الواقعة، ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾[5] ويصحح الحدث، ويشير إلى العبرة، ويقود الإنسان إلى أن يكتشف بنفسه ما أراده القرآن من حتمية انتصار الإيمان على الكفر، وانتصار الخير على الشر[6].

---

1 معجم مقاييس اللغة، القزويني، مادة (قصّ)، ج5 ص11

2 سورة القصص (28 : 11)

3 ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (قصص)، ج7 ص73

4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج01 ص64

5 سورة هود (11 : 49)

6 ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمّد فاروق النبهان، ص253

والمحور العام الذي يدور حوله القصص القرآني يتمثل في المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الدعوة الإسلامية، من إيمان بالله ورفض لكل مظاهر الكفر والشرك، ومحاربة الظلم في المجتمع، وتشجيع الفضيلة، ومنطق الأنبياء واحد، ومنهجهم متماثل، ومنطق أهل الكفر والظلم أيضا واحد، في جاهلية مستمرة يصحح مسارها رسل الله في كل حين[1]، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾[2].

ويساق القصص القرآني لغاية معينة، ولهذا يذكر من عناصر القصة ما يخدم تلك الغاية، ويحقق الغرض من إيراد القصة فالزمن لا يذكر غالبا إلا عند ما يمثل الزمن عنصرا من عناصر التعبير والتصوير[3]، كقوله تعالى في بيان حال إخوة يوسف: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[4].

وتصور القصة في القرآن الحدث وكأنه واقع فعلا، وتهيئ الأسباب النفسية لكي ينفعل القارئ بالحدث، ويعيش معه، ويراه أمامه كمشهد حي ناطق، وليس مجرد صورة جامدة ميتة[5]، يقول السيد قطب في بيان هذا الجمال الذي تتمتع به القصة القرآنية: «إن القرآن يحمل السامع أو القارئ على المشاركة في بناء ما يمكن أن يقص، تنشيطاً لخياله، وتحريكاً لوجدانه، فيظل – أبداً – مأسوراً لما يسمع أو يقرأ، ماضياً على هوى نفسه، وقد

1 ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، ص254
2 سورة الأنعام (06 : 33-34)
3 ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، ص255
4 سورة يوسف (12 : 16-17)
5 المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، ص255

استمتعت نفسه بكل مزايا الفن الجميل، مؤمناً بما يهدف إليه القصص القرآني من مُثل عليا وآداب رفيعة، وذلك لأن القرآن يحيل الجمال الفني أداة للتأثير الوجداني فخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية»[1].

وبهذا فقد جاء القصص القرآني بأسلوب بديع في مظان الاتعاظ به مع المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن من تشريع وتقريع وتتجلى أهميته في الميزات التالية:

– وروده منسوبا إلى رب العزة والجلال وهو ما يزيد من شرفه وعلو شأنه، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝٣﴾[2]، وقد افتتحت الآية بضمير العظمة «نحن» للتنويه بالخبر، وردا على من يطعن من المشركين في القرآن بقولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[3] وقولهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾[4].[5]

– أمر الله رسوله ﷺ أن يقص على الناس ما أوحي إليه: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6]، وفيه وموعظة للمشركين بما لحق الأمم التي عاندت رسلها، وعصت

---

1 التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 141
2 سورة يوسف (12 : 03)
3 سورة النحل (16 : 103)
4 سورة الفرقان (25 : 05)
5 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج12ص202-203
6 سورة الأعراف (07 : 176)

وعصت أوامر ربها حتى يتعظوا بمصارع نظرائهم وآبائهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1].[2]

– القصة مَعلم بارز من معالم القرآن لتوضيح الحقائق وإزالة الشبه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٧٦﴾[3].

– القصُّ من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾[4].

– محور القصص هو حياة الأنبياء، لأنهم موضع القدوة والأسوة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[5]، وفيها بيان لأساليب الأنبياء في التعامل مع أقوامهم.

1 سورة يوسف (12 : 111)
2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج1ص66
3 سورة النمل (27 : 76)
4 سورة الأنعام (06 : 130)
5 سورة الأنعام (06 : 90)

❖ أهداف القصص القرآني:

إن القصص القرآني عرض بأساليب معينة ووزع على السور توزيعًا خاصًا بين إيجاز وإطناب، وكل منها منسجم مع أهداف السورة الأساسية ولا ينفصل أسلوب القصة عن أجواء السورة وأغراضها، ومن هنا كانت الحكمة في عدم تكرار القضية الواحدة في السورة الواحدة.

القصص القرآني ليس مسوقاً لذاته، بل لأجل غايات وأهداف كثيرة لا يمكن إدراكها إلا بالتفكير والتأمل في القصص؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، من خلال تتبع القصص القرآني وما ورد فيه من أنباء الأمم السابقة ندرك أن الهدف الأساس من هذا النوع من الغيب هو إثبات صدق رسول الله ﷺ، وكثيرا ما يستدل القرآن الكريم على ذلك بالإشارة إلى مطابقة ما ورد في القرآن لما ورد في الكتب السابقة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾[2]، ومن هذه الأهداف:

1. الاستدلال على توحيد الله، وهو من أهم أهداف القصص القرآني، كما في قصص إبراهيم مع قومه، ونوح مع قومه، وموسى مع فرعون.... إلخ[3]، كما في استدلال إبراهيم على ألوهية الله بما رآه من أفول الكواكب، حيث يصور الله تلك المشاهد: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا

---

1 سورة الأعراف (07 : 176)

2 سورة يونس (10 : 37)

3 الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د. عبد الراضي محمَّد عبد المحسن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص110

تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

2. تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ، وإدخال الطمأنينة إلى قلبه ببيان أن منهجه هو منهج الأنبياء والرسل السابقين، وأن ما يلاقيه من عنت المشركين وعنادهم هو سنّة الله في جميع الأقوام، قال تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾[2].[3]

3. العظة والاعتبار، ويمكن القول إن معظم قصص القرآن جاء لترسيخ مبدأ العظة والاعتبار ذلك أن القصص القرآني يجمل القول مستهدفًا مواطن العبرة والعظة دون ذكر للتفاصيل الجزئية، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[4].[5]

ولذلك حينما يورد القرآن قصص الأمم السابقة وعاقبة انحرافهم عن دين الله وإشراكهم به، يعقب ذلك بالأمر بالاعتبار عقب الموعظة، يقول تعالى عقب قصة قوم لوط: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾[6]، «فيجوز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ تسلية له على ما يلاقيه من قومه الذين كذبوا بأنه لا ييأس من نصر الله، وأن شأن الرسل انتظار العواقب»[7].

وتهدف هذه العظات إلى تربية الأمة وتهذيبها من خلال العظات والعبر التي ترد في قصص السابقين كالإخلاص والتوكل في قصة إبراهيم عليه السلام، والبر والوفاء والطاعة في قصة إسماعيل عليه السلام والصبر والتحمل في قصة أيوب عليه السلام.

---

1 سورة الأنعام (06 : 76-79)

2 سورة هود (11 : 120)

3 مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص264

4 سورة يوسف (12 : 111)

5 الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، ص111

6 سورة الأعراف (07 : 84)

7 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج8-ب، ص238

4. الحجة والإقناع، وذلك بإيراد القصة المناسبة للموقف بما تتضمنه من حوار تبرز فيه دعاوى المخالفين القدامى ضد أنبيائهم، ثم تأتي ردود الأنبياء الإقناعية وكأنها ردود من النبي محمد ﷺ على قومه أو ردود من كل داعية إلى الإسلام على مخالفيه في كل زمان ومكان[1]، من ذلك مثلا الحوار الذي جرى بين نوح وقومه، قال تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾[2].

5. إبراز وجه من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فالقصة الواحدة قد تتكرر عدة مرات، وفي كل مرة تتطرق إلى قضايا ومواقف جديدة دون المساس بأصل القصة وجوهرها، من غير تناقض ولا التباس، كل ذلك يؤدى بأسلوب معجز، وهذا مما لا طاقة للبشر به، يقول الإمام فخر الدين الرازي: «.. إنه كان يذكر القصة الواحدة مرارا مختلفة بألفاظ مختلفة، وكل ذلك مشابهة في الفصاحة، مع أن الفصيح إذا ذكر قصة واحدة مرة واحدة بالألفاظ الفصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرة أخرى بألفاظ فصيحة، فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله تعالى لا من البشر»[3]، ولذلك فسر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[4]، «أخرج ابن جرير عن الضّحّاك قال: قال: المثاني القرآن يذكر الله القصّة الواحدة مرارا»[5].

ومن أسرار التكرار أن القصة لمَّا كُرّرت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة أو نقصان وتقديم أو تأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النّفوس إلى سماعها

1 الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، ص111
2 سورة هود (11 : 31)
3 مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص264
4 سورة الزمر (39 : 23)
5 الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ج5 ص97

لما جُبلت عليه من حبّ التّنقّل في الأشياء المتجدّدة واستلذاذها بها وإظهار خاصّة القرآن حيث لم يحصلُ مع تكرير ذلك فيه هُجْنة في اللّفظ ولا ملل عند سماعه فباين ذلك كلام المخلوقين[1].

يقول صاحب البرهان (ت794 ه) في حديثه عن دواعي التكرار في القصص القرآني: «إنّ عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء إليه كررته توكيداً وكأنها تقيم تكراره مقام المقسَم عليه أو الاجتهاد في الدعاء بحيث تقصد الدعاء، والقرآن نزل بلسانهم فكانت مخاطباته فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحُجة عليهم في عجزهم عن المعارضة... وفائدته العظمى التّقرير وقد قيل الكلام إذا تكرَّر تقرَّر»[2].

ويرى الزمخشري (ت538 ه) رأياً يقرب من رأى الزركشي لكنه أعمق فهماً منه، قال: «إن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يرام تحفظه منها. وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان»[3].

إن القصة الواحدة من هذه القصص، كقصة موسى ﷺ مع فرعون . وإن ظُنّ أنّها لا تغاير الأخرى . فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ، فإن كل واحدة لابد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد منه، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها، فكأن الله تعالى فرَّق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتُوجَد متفرقة فيها، ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وُجِد الأمر عليه من الكتب المتقدمة، من انفراد كل

1 ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3 ص231

2 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص9

3 الكشاف، الزمخشري، ج3 ص339

قصة منها بموضع، كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام الخاصة، فاجتمعت في هذه الخاصية من نظم القرآن عدة معان عجيبة[1].

وفي الأخير لا بأس من التنويه إلى ما أشار إليه صاحب تفسير التحرير والتنوير، حيث يرى أن ليس الغرض من سوقها – أي القصة- قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل، إن في تلك القصص لعبرا جمة وفوائد للأمة ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها، لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، هو ذكر وموعظة لأهل الدين فهو بالخطابة أشبه[2].

وللقرآن أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر فكان أسلوبه قاضيا للوطرين وكان أجل من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها لأن سوقها في مناسباتها يكسبها صفتين: صفة البرهان وصفة التبيان ونجد من مميزات قصص القرآن نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص، مثال ذلك قوله تعالى في سورة القلم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾[3] فقد حكيت مقالته هذه في موقع تذكيره أصحابه بها لأن ذلك من حكايتها ولم تحك أثناء قوله: ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ

1 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص27

2 تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص64

3 سورة القلم (68 : 26-28)

لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾[1] وقوله: ﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢﴾[2].[3]

1 سورة القلم (68 : 17)

2 سورة القلم (68 : 21-22)

3 تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01 ص64-65

❖ الأسماء الحسنى في القصص القرآني:

من وجوه الإعجاز في القصص القرآني أن عرب الجزيرة العربية قبل الإسلام لم يعرفوا هذه القصص، لا في أخبارها، ولا في أسلوبها، ومنه فإن الأسلوب الذي وردت به القصة القرآنية أسلوب متميز.

وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها، وإدارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات معيّنة، ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها[1].

وطريقة عرض القرآن للقصة في سورة ما تختلف عنها في سورة أخرى، والحلقات التي تعرض من كل قصة تختلف كذلك لاختلاف السياق، فيمتنع التكرار، فيما يخيل أنه تكرار للقارئ العابر، وعندما يستغرق القصص سورة يكون مرتبطا كلّ الارتباط بما قبله وما بعده من السور، متناسق مع السياق حتى في التعبير اللفظي أحيانا، فالقصة والمشهد والعظة والتعقيب تتناسق كلها تناسقا عجيبا، وتكشف عن بعض وظيفة القصة في القرآن الكريم[2].

والتعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل لاحظنا أنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية. والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس. وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال[3].

---

1 ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص143

2 الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط1: 1420هـ، ج4 ص56

3 ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص143-144

لقد كان من أغراض القصة بيان أن الدين كله موحد الأساس فضلا على أنه كله من عند إله واحد وتبعا لهذا كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة كذلك، مكررة فيها العقيدة الأساسية، وهي الإيمان بالله الواحد[1]، وقد ارتبط تأكيد نسبة القصص إليه سبحانه، مع تأكيد وحدانيته واتصافه بالأسماء الحسنى، بعد عرض قصة المسيح عيسى ﵇، وإبطال ادعاءات قومه التي جعلت منه إله وأنه لا يعدو أن يكون عبدا لله، مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾[2]، وقد تضمنت الآية من المؤكدات اللفظية ما يرد ادعاءات بني إسرائيل ويؤكد صدق هذه القصص لأنها من العزيز الحكيم « فأفاد تقوية الخبر (إن هذا لهو القصص الحق) عن الله تعالى بالعزة والحكمة، إبطال إلهية المسيح إذ كيف كيف يكون إله وهو غير عزيز وهو محكوم عليه»[3].

ومن مستلزمات الإيمان بالله سبحانه التعريف به وبأسمائه وصفاته وهذا ما اختص به القصص القرآني حيث أن أحداثه تختتم بين الحين والآخر بما يتناسب من أسماء الله وصفاته.

فعندما دعا نوح ﵇ قومه إلى عبادة الله وحده: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[4] احتاجت هذه الدعوة إلى التعريف بهذا الإله الذي دعا إلى عبادته وكل الأنبياء بعده، وصرح بذلك موسى ﵇ حينما جادله فرعون

1 التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص143-149

2 سورة آل عمران (03 : 62)

3 تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج03 ص267

4 سورة الأعراف (07 : 59)

وطلب منه أن يعرف له رب العالمين: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٣﴾[1] فأجاب موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾[2]، لكن خاتم النبيين دعا قومه مباشرة إلى الإيمان والتصديق بالله فضلا عن السجود له، موظفا أحد أبرز أسمائه وصفاته رغبة في التعريف به ومراعاة لمتطلبات سياق الحديث مع قومه فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ٦٠﴾[3]، وليس عبثا أن يختار الله سبحانه وتعالى هذا الاسم الجليل في مثل هذا السياق الذي فيه دعوة إلى عبادة الله حيث أنه من المألوف ذكر اسم «الله» لكنه عدل عنه إلى اسم «الرحمن» المتفضل عليكم بالنعم والذي لا نعمة لكم إلا منه، قلتم: ﴿وما الرحمن﴾ متجاهلين عن معرفته فضلاً عن كفر نعمته معبرين بأداة ما لا يعقل، قال ابن العربي: إنهم إما عبروا بذلك إشارة إلى جهلهم الصفة، دون الموصوف[4].

وفيما يلي عرض لأهم قصص الأنبياء وطرق تعريفهم بربهم واستدلالهم بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعزته، ورحمته، وسر اختيار اسم دون اسم في سياقات مختلفة...

1. قصة آدم عليه السلام: إذا تتبعنا سياق قصة آدم عليه السلام والحوار الذي جرى بينه وبين ربه والملائكة، نجد أن هذه القصة قد تضمنت زوجين من الأسماء المزدوجة «العليم الحكيم»، «التواب الرحيم». خاطبت الملائكة ربها وهي تعترف بقصر علمها وأن العلم كله لله فقالت: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢﴾[5]، حيث افتتحوا كلامهم بالتسبيح في مقام الأدب والتعظيم، وهو بمعنى التنزيه، وفي تصدير

1 سورة الشعراء (26 : 23)
2 سورة الشعراء (26 : 24)
3 سورة الفرقان (25 : 60)
4 ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج13 ص416
5 سورة البقرة (02 : 32)

كلامهم به إيماء إلى الاعتذار عن مراجعتهم بقولهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1]، فهو افتتاح من قبيل براعة الاستهلال عن الاعتذار، فكان افتتاح كلامهم بالتنزيه تعجيلا بما يدل على ملازمة جانب الأدب العظيم، ثم ختموا ذلك بـ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ وساقوه مساق التعليل لقولهم لا علم لنا إلا ما علمتنا لأن المحيط علمه بكل شيء المحكم لكل خلق إذا لم يجعل لبعض مخلوقاته سبيلا إلى علم شيء لم يكن لهم قِبل بعلمه إذ الحصول بقدر القبول والاستعداد أي فلا مطمع لنا في تجاوز العلم إلى ما لم تهيئ لنا علمه بحسب فطرتنا، وتعقيب ﴿العليم﴾ بـ﴿الحكيم﴾ من إتباع الوصف بأخص منه فإن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم لأن الحكمة كمال في العلم فهو كقولهم خطيب مصقع وشاعر مفلق[2]، قال أبو حامد الغزالي في "المقصد الأسنى": «الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن المعرفة بأفضل الأشياء، فأفضل العلوم العلم بالله وأجل الأشياء هو الله وقد سبق أنه لا يعرفه كنه معرفته غيره وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم فهو الحكيم الحق لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي القديم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليها خفاء، ولا شبهة ولا يتصور ذلك إلا في علم الله»[3].

و﴿أنت﴾ في ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ ضمير فصل، وتوسيطه من صيغ القصر فالمعنى قِصر العلم والحكمة على الله قِصر قلب لردهم اعتقادهم أنفسهم أنهم على جانب من علم وحكمة حين راجعوا بقولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾، أو هو قصر حقيقي ادعائي مراد منه قصر كمال العلم والحكمة عليه تعالى[4].

1 سورة البقرة (02 : 32)

2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج13 ص413

3 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص120

4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج01 ص416

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن آدم قد تلقى كلمات من ربه وقبل توبته، فلما كان من آدم تلك المعصية ناسب أن يذكر من أسمائه سبحانه وتعالى ما يتعلق بمغفرة الذنوب والرحمة بالعباد ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[1]، فقوله: ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ تذييل وتعليل للجملة السابقة وهي ﴿فتاب عليه﴾ لأنه يفيد مفادها مع زيادة التعميم والتذييل من الإطناب كما تقرر في علم المعاني. ومعنى المبالغة في التواب أنه الكثير القبول للتوبة أي لكثرة التائبين فهو مثال مبالغة من تاب المتعدي بعلى الذي هو بمعنى قبول التوبة إيذان بأن ذلك لا يخص تائبا دون آخر وهو تذييل لقوله: ﴿فتلقى آدم من ربه﴾ المؤذن بتقدير تاب آدم فتاب الله عليه على جعل التواب بمعنى الملهم لعباده الكثيرين أن يتوبوا فإن أمثلة المبالغة قد تجيء من غير التكاثر فالتواب هنا معناه الملهم التوبة وهو كناية عن قبول توبة التائب.

وتعقيبه بالرحيم لأن الرحيم جار مجرى العلة للتواب إذ قبوله التوبة عن عباده ضرب من الرحمة بهم وإلا لكانت التوبة لا تقتضي إلا نفع التائب نفسه بعدم العود للذنب حتى تترتب عليه الآثام، وأما الإثم المترتب فكان من العدل أن يتحقق عقابه لكن الرحمة سبقت العدل هنا بوعد من الله[2].

2. قصة نوح عليه السلام: لم تعرض قصة نوح عليه السلام بالتفصيل التام كما عرضت في سورة هود، ورغم كثرة الأحداث التي تضمنتها تلك القصة إلا أننا لم نجد من أسماء الله الحسنى في ثناياها إلا عند قول تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾[3]، جملة ﴿إن ربي لغفور رحيم﴾ تعليل للأمر بالركوب المقيد بالملابسة لذكر اسم الله تعالى، ففي التعليل بالمغفرة والرحمة رمز إلى أن الله وعده بنجاتهم، وذلك

1 سورة البقرة (02 : 37)

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج01 ص439

3 سورة هود (11 : 41)

من غفرانه ورحمته، وأكد بـ «إن ولام الابتداء» تحقيقا لأتباعه بأن الله رحمهم بالإنجاء من الغرق، وأما قوله ﴿بسم الله﴾ فهي كلمة أمر الله جميع أنبيائه بالبدء بها عند كل عمل، قال الخليل: «بسم الله» افتتاح إيمان ويمن، وحمد عاقبة، ورحمة وبركة وثناء وتقرب إلى الله عز وجل، ورغبة فيما عنده، واستعانة ومحبة له، علَّم الله عز وجل نبيه محمد ﷺ، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾[1]، وقالها نوح عليه السلام: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ليجعلها سنة لأمته في افتتاح الذبائح والطعام والشراب والكلام، وأن يذكرونه عند كل حركة وسكون...» وقال غيره: هو أدب من آداب الدين، ومدح لله تعالى وتعظيم وشعار للمسلمين، وتبرك للمستأنف، وإقرار بالعبودية، واعتراف بالنعمة، واستعانة بالله عز وجل وعبادة له، مع ما فيه من حسن العبارة، ووضوح الدلالة، والإفصاح والبيان لما يستحقه الله من الأوصاف[2].

3. قصة إبراهيم عليه السلام: لقد كان إبراهيم عليه السلام أعرف الأنبياء بعد نبينا بالله سبحانه وتعالى ولذلك اتخذه خليلا ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾[3] ومما يدل على هذا تلكم الآيات التي تنبئ عن سعة معرفة هذا النبي بربه، لذلك ختم أفعاله ودعواته بتمجيد الله تعالى ومدحه بما يتناسب مع كل فعل ودعوة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

1 سورة العلق (96 : 01)

2 النكت في القرآن الكريم، علي بن فَضّال القيرواني، تح: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1428هـ، ص102-103

3 سورة النساء (04 : 125)

ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[1]، ففي الآية الأولى ختم بقوله ﴿إنك أنت السميع العليم﴾ بعد أن رفع القواعد وسأل الله القبول، فناسب أن يستحضر اسمي الله ﴿ السميع العليم﴾، «جملة إنك أنت السميع العليم تعليل لطلب التقبل منهما، وتعريف جزأي هذه الجملة والإتيان بضمير الفصل يفيد قصرين للمبالغة في كمال الوصفين له تعالى بتنزيل سمع غيره وعلم غيره منزلة العدم. ويجوز أن يكون قصرا حقيقيا باعتبار متعلق خاص أي السميع العليم لدعائنا لا يعلمه غيرك وهذا قصر حقيقي مقيد وهو نوع مغاير للقصر الإضافي»[2]، نفس الكلام يقال على الآية الثانية والثالثة من معنى القصر التعليل لما سبق من ذكر للأفعال والدعوات، حيث ذكر ﴿إنك أنت التواب الرحيم﴾ في سياق الحديث عن طلب التوبة بعد بيان المناسك، وختم بقوله ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ بعد أن سأل ربه ان يبعث في ذريته رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة، وفيه أيضا تذييل لتقريب الإجابة أي لأنك لا يغلبك أمر عظيم ولا يعزب عن علمك وحكمتك شيء.

وفائدة تكرير النداء بقوله: ﴿ربنا﴾ إظهار الضراعة إلى الله تعالى وإظهار أن كل دعوى من هاته الدعوات مقصودة بالذات، ولذلك لم يكرر النداء إلا عند الانتقال من دعوة إلى أخرى فإن الدعوة الأولى لطلب تقبل العمل والثانية لطلب الاهتداء[3].

ولما أراد دعوة أبيه إلى عبادة الله الواحد الأحد ونبذ عبادة الأوثان، فأخبر أنه من العلم بربه ما لا يعلمه غيره، ثم أبان عن علمه وأجاد في التعريف بربه سبحانه وتعالى، واختار من بين كل أسمائه وصفاته، اسم «الرحمن» للدلالة على عظم رحمة الله التي جهلها الكثير من العصاة وخاصة من اتخذ الشيطان معبودا من الله، ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا

1 سورة البقرة (02 : 127-129)

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج01 ص719

3 المصدر السابق، ج01 ص719-724

يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾﴾[1] قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: «وجملة إن الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل للنهي عن عبادته وعبادة آثار وسوسته بأنه شديد العصيان للرب الواسع الرحمة. وذكر وصف عصيا الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة فعل (كان) للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه وأنه متمكن منه، فلا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة، أي بما يفضي إلى النقمة، ولذلك اختير وصف الرحمن من بين صفات الله تعالى تنبيها على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته، فمن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يتبع، وإظهار اسم الشيطان في مقام الإضمار، إذ لم يقل: ﴿إنه كان للرحمن عصيا﴾، لإيضاح إسناد الخبر إلى المسند إليه، ولزيادة التنفير من الشيطان، لأن في ذكر صريح اسمه تنبيها إلى النفرة منه، ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفسها»[2]. وحين أراد أن يظهر شدة حرصه على هدى أبيه قال: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾، أي أطلب منه لك المغفرة من هذا الكفر، بأن يهديه الله إلى التوحيد فيغفر له الشرك الماضي، إذ لم يكن إبراهيم تلقى نهيا من الله عن الاستغفار للمشرك، وعدل عن استعمال اسم «الله» إلى اسم «الرب» فقال: ﴿سأستغفر لك ربي﴾، لأن في اسم «الرب» من معاني الرحمة والرأفة ما لا يتضمنه اسم «الله»، فالرب سبحانه هو المتكفل بخلق الموجودات وإنشائها والقائم على

---

1 سورة مريم (19 : 41-47)

2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج16 ص117

هدايتها وإصلاحها وهو الذي نظم معيشتها ودبر أمرها، و المتكفل بالخلائق أجمعين إيجادا وإمدادا ورعاية وقياما على كل نفس بما كسبت، ولهذا ذكر إبراهيم هذا الاسم «الرب» حتى يذكِّر أباه بأن من كان سببا في وجودك ومعيشتك وتدبير أمرك هو وحده المستحق للعبادة وأهل ليطلب منه التوبة والاستغفار.

يضاف إلى ذلك أيضا بيان السر في استخدام اسم «الرحمن» في قوله ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ مع أن الأمر متعلق بالعذاب ولم يقل مثلاً الجبّار.

لو نظرنا إلى الآية التي سبقت هذه الآية نجد قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ وقد ذكر فيها (الرحمن) أيضاً، وللعلم نلاحظ أن لفظ «الرحمن» تكرر في هذه السورة 16 مرة وهي أكثر سورة تكرر فيها لفظ «الرحمن» في القرآن. وهذا يدل على أن جو الرحمة يشعّ في السورة.

أما السؤال نفسه فنرى أن الآية التي جاءت بعد الآية في السؤال ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ وهنا لا يصح أن يقول "سأستغفر لك الجبّار" لأن المغفرة تُطلب من الرحمن وليس من الجبّار، ولعله تدركه الرحمة فيؤمن لأن إبراهيم عليه السلام كان حريصاً على إيمان أبيه آزر.

4. قصة موسى عليه السلام: سأل موسى ربه أن ينظر إليه فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾[1]، لكن الله رفض هذا الطلب قائلا: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[2]، لأنك غير قادر على رؤيتي ببصرك، ولن تتحقق الرؤية البصرية إلا يوم يأذن الله لذلك وييسر الأسباب له ولن

1 سورة الأعراف (07: 143)

2 سورة الأعراف (07: 143)

يكون ذلك إلا يوم القيامة حيث تتبدل كل المعايير الدنيوية، لكن المنع من الرؤية لن يمنع من تحقق المعرفة التي كان سبيلها التعرف إلى الله بأسمائه وصفاته، ومن ثم فإننا نجد قصة موسى عليه السلام قد اشتملت على مجموعة من أسماء الله وصفاته، ففي أول لقاء بينه وبين ربه عرف الله نفسه بعدة أسماء: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾[1]، ووصف رب العالمين يدل على أن جميع الخلائق مسخرة له ليثبِّت بذلك قلب موسى من هول تلقي الرسالة[2]. ونفس السياق قال الله تعالى في سورة النمل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾[3]، فجملة: أنا الله العزيز الحكيم خبر عن ضمير الشأن، والمعنى: إعلامه بأن أمرا مهما يجب علمه وهو أن الله عزيز حكيم، أي لا يغلبه شيء، لا يستصعب عليه تكوين.

وتقديم هذا بين يدي ما سيلقى إليه من الأمر لإحداث رباطة جأش لموسى عليه السلام ليعلم أنه خلعت عليه النبوءة إذ ألقي إليه الوحي، ويعلم أنه سيتعرض إلى أذى وتألب عليه، وذلك كناية عن كونه سيصير رسولا، وأن الله يؤيده وينصره على كل قوي، وليعلم أن ما شاهد من النار وما تلقاه من الوحي وما سيشاهده من قلب العصا حية ليس بعجيب في جانب حكمة الله تعالى[4].

ويذكر موسى عليه السلام في معرض مواجهته للكفار واعتزازه بربه وإظهار غناه سبحانه وتعالى عن طاعة الطائعين، وعدم تضرره بمعصية العاصين، فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن

---

1 سورة القصص (28 : 30)

2 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج20 ص112

3 سورة النمل (27 : 09)

4 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج19 ص227

تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾[1] ذلك أن أكثر الكفار يحسبون أنهم يحسنون إلى الله بإيمانهم، وأن أنبياءهم حين يلحون عليهم بالإيمان إنما يبتغون بذلك تعزيز جانبهم والحرص على مصلحتهم. فلما وعدهم على الشكر بالزيادة وأوعدهم على الكفر بالعقوبة خشي أن يحسبوا ذلك لانتقام المثيب بما أثاب عليه، ولتضرره مما عاقب عليه، فنبههم إلى هذا الخاطر الشيطاني حتى لا يسري إلى نفوسهم فيكسبهم إدلالا بالإيمان والشكر والإقلاع عن الكفر، وفي إعادة فعل القول «وقال موسى» اهتمام بهذه الجملة وتنويه بها حتى تبرز مستقلة وحتى يصغي إليها السامعون للقرآن.

و«جميعا» تأكيد لمن في الأرض للتنصيص على العموم. و«الغني»: الذي لا حاجة له في شيء، فدخل في عموم غناه أنه غني عن الذين يكفرون به، و«الحميد»: المحمود. والمعنى: أنه محمود من غيركم مستغن عن حمدكم على أنهم لو كفروا به لكانوا حامدين بلسان حالهم كرها، فإن كل نعمة تنالهم فيحمدونها فإنما يحمدون الله تعالى[2].

واقتداء بأبيه آدم عليه السلام، ينسب كل ما صدر منه من معصية أو ذنب إلى نفسه ويسلي نفسه بمغفرة من ربه المتصف بصفتي الجلال «الغفور الرحيم» : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾[3] لأنه عمل بمقتضى ما أخبره به سبحانه من قبل: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[4]، فسمى فعله ظلما لنفسه «إني ظلمت نفسي» لأنه كان من أثر فرط الغضب لأجل رجل من شيعته، وكان يستطيع أن يملك من غضبه، وتسبب لنفسه في مضرة تجاوز بها الحد في عقاب القبطي على مضاربته الإسرائيلي، والفاء في قوله «فغفر له»

1 سورة إبراهيم (14 : 08)

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج13 ص194-195

3 سورة القصص (28 : 16)

4 سورة النمل (27 : 11)

للتعقيب، أي استجاب استغفاره فعجل له بالمغفرة. والاسمين «الغفور الرحيم» تعليل لجملة «فغفر له» علل المغفرة له بأنه شديد الغفران ورحيم بعباده، مع تأكيد ذلك بصيغة القصر إيماء إلى أن ما جاء به هو من ظلم نفسه[1].

5. قصة يوسف عليه السلام: فرّق الله قصص الأنبياء في القرآن، وجَمَعَ الله قصّتَه جميعها في سورة واحدة، وقد أخبر النبي ﷺ في سياق حديثه عن أكرم الناس، فقال في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله عليهم السلام»[2]، وقد وافق هذا الحديث مطلع السورة: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[3]، الإشارة في قوله: «وكذلك» إلى ما دلت عليه الرؤيا من العناية الربانية به، أي ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك في المستقبل، وإتمام النعمة عليه هو إعطاؤه أفضل النعم وهي نعمة النبوءة، أو هو ضميمة الملك إلى النبوءة والرسالة، فيكون المراد إتمام نعمة الاجتباء الأخروي بنعمة المجد الدنيوي، كما أتمها على أبويك من قبل تذكير له بنعم سابقة، وليس مما دلت عليه الرؤيا، ثم إن كان المراد من إتمام النعمة النبوءة فالتشبيه تام، وإن كان المراد من إتمام النعمة الملك فالتشبيه في إتمام النعمة على الإطلاق[4].

وقد وردت «عليم حكيم» ثلاث مرات في سورة يوسف، الموضع الأول في الآية السابقة، والموضع الثاني قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ

1 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج20 ص92
2 صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ح:3390، ج4 ص151
3 سورة يوسف (12 : 06)
4 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج12 ص216-217

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾[1] والموضع الثالث قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[2] قدم "عليم" على "حكيم" في الأولى، لأن موضوعها هو العلم، فالله يجتبي يوسف عليه السلام بعلمه، ويعلمه من تأويل الأحاديث بعلمه، وفي الثانية لأن الأب يعقوب عليه السلام لا يعلم مكان أبنائه الثلاثة، ولكن الله يعلم، وهو يرجو من الله أن يأتي بهم جميعا، وفي الثالثة فإن يوسف يقرر تأويل رؤياه، فأراه الله الرؤيا لأنه عليم، وجعلها حقا سبحانه لأنه عليم، بالإضافة إلى أن موضوع السورة هو العلم حيث ابتدأت بالعلم واختتمت به.

وقد كان لهذين الاسمين أثر بليغ في حياة هذا النبي فأخبر الله سبحانه أنه لما بلغ أشده اصطفاه للنبوة وآتاه الحكم أو الحكمة والعلم، وذكر المحسنين إيماء إلى أن إحسانه هو سبب جزائه بتلك النعمة، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[3].

ومما يدل على أنها سورة العلم، كثرة ورود اسم الله «العليم» في عدة مواقف، سواء على لسانه أو لسان أبيه، فبالإضافة إلى ما ذكر، أخبر الله أنه في ظل تلك المتاهة بين ظلمات الجب ومتاهة الصحراء فإن لا أحد أعلم بمصير ذلك الفتى ولا أحد أقدر على تهيئة الظروف لبروزه فسخر له غرباء من بلد غير بلده ليقودوه إلى محل النبوة والملك:

1 سورة يوسف (12 : 83)

2 سورة يوسف (12 : 100)

3 سورة يوسف (12 : 22)

﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩﴾[1]

ثم لما تتوالى عليه الأحداث والابتلاءات لا يجد إلا ربه فينسب إليه العلم الخالص لأنه هو وحده القادر على تبرئته من كيد النساء وفضح تآمرهن: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾[2]، لذلك جاء الرد مباشرة وإقرارا لهذه الدعوة التي تضمنت اسم العليم، قال الله: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾[3].

ولما أراد التعريف بربه وتمييزه عن باقي الأرباب المتفرقين وليعلل لصاحبي السجن فساد اعتقاد تعدد الآلهة، إذ يتبين لهما أن أربابا متفرقين لا يخلو حالهم من تطرق الفساد والخلل في تصرفهم، كما يومئ إليه وصف التفرق بالنسبة للتعدد ووصف القهار بالنسبة للوحدانية[4]، ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾[5]، بعد أن أثار لهما الشك في صحة إلهية آلهتهم المتعددين انتقل إلى إبطال وجود تلك الآلهة على الحقيقة بقوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾[6] يعني أن تلك الآلهة لا تحقق

1 سورة يوسف (12 : 19)
2 سورة يوسف (12 : 50)
3 سورة يوسف (12 : 34)
4 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج12 ص275
5 سورة يوسف (12 : 39)
6 سورة يوسف (12 : 39)

لحقائقها في الوجود الخارجي بل هي توهمات تخيلوها، ومعنى قصرها على أنها أسماء قصرا إضافيا، أنها أسماء لا مسميات لها فليس لها في الوجود إلا أسماؤها[1]، بخلاف أسماء الله التي هي أسماء ومسميات أي لها مدلولاتها ولها حقيقة في الوجود.

وفي سياق الحديث عن الذنوب وما تقترفه النفس البشرية الأمارة بالسوء من آثام، التجأ إلى ربه وأظهر تواضعه المقرون بالعفة والنزاهة، فسأل الله أن يغفر ذنبه ويقيل عثرته برحمة منه وفضل، فقال: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾[2]، وبالرغم من الخلاف بين العلماء في نسبة هذا القول إلى يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز، لكن لا بأس من الاستعانة ببعض القرائن التي تدل على أن هذه الآية هي من كلام يوسف عليه السلام، أورد ابن أبي حاتم في تفسيره حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذا قول يوسف: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب فغمزه جبريل، فقال: ولا حين هممْتَ؟ فقال: وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء[3]، وأشار صاحب تفسير «اللباب في علوم الكتاب» أن هذا الكلام لا يحسنُ صدوره إلاَّ ممَّن احترز عن المعاصِي، ثم يذكر هذا الكلام على سبيل النَّفس، ولا يليق ذلك بالمرأةِ التي استفرغت جهدها في المعصية[4].

ولنتأمل الوصف الذي وصف به نفسه حينما أراد أن يعرضها لتحمل مسؤولية الخزائن ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[5]، هذا الجمع بين الوصفين «حفيظ عليم» يذكرنا بكثير من الأوصاف التي وصف الله بها نفسه وهي

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج12 ص276

2 سورة يوسف (12 : 53)

3 تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط3: 1419هـ، ج7 ص2158

4 ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ج11 ص132

5 سورة يوسف (12 : 55)

أوصاف تجمع بين اسمين وهو كما أشير في الفصول السابقة كمال إضافي يضاف إلى الكمال الذي يتضمنه كل اسم بمفرده، فكذلك رأى يوسف عليه السلام نفسه أجدر بهذه المهمة لأنه جمع بين وصفين الأمانة والعلم، فالأمانة بدون علم لا تفي والعلم بلا أمانة لا يفي أيضا فلابد بد من الجمع بين الأمانة والعلم، فلذلك سأل الملِك أن يوليه خزائن المملكة ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها ويرفق بالأمة في جمعها وإبلاغها لمحالها.

خاتـمة

هذا ما أكرمني الله به وهو أكرم الأكرمين، من فضل لإتمام فصول ومباحث هذا الموضوع الذي تناول جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني، وأسباب تحقيق ذلك لفظا وتركيبا، وكيف يكون للأسماء الحسنى أثر في زيادة هذه الجمالية، وهو محاولة لكشف بعض من جمالية هذه التراكيب المتضمنة لأسماء الله، وأرجو أن يستمر الباحثون في كشف هذه الجماليات، لأن من إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين العلماء جيلا بعد جيل، ثم يظل أبدًا رحب المدى سخي المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيدًا وراء كل مطمح، عاليا يفوت طاقة الدارسين، وفيما يلي أهم وأبرز النتائج التي خلص إليها هذا البحث:

1. للخطاب القرآني جمالياته الفنية التي تؤثر في العقل والعاطفة معا، فهو يخاطب العقل في أرقى عملياته الفكرية ويخترق كوامن الوجدان فيرقّقه حتى يصبح حيا صافيا متألقا.
2. والجمال ملمح أساسي في الخطاب القرآني يتضافر في تحقيقه اللفظ بجماله الصوتي والجملة بتناسق تراكيبها ونغماتها، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي والسياق العام.
3. جمالية القرآني وفنيته تعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليبه من خلال الموضوعات القرآنية المتعددة، وتشمل المفردة المنتقاة، والتركيب الجميل والصورة الأجمل.
4. اتسام المفردة القرآنية بجمال الشكل والمضمون، حيث جمعت بين قوة تأثير التصوير، وبين عذوبة الصوت، هذا ما مكنها من اتساقها مع المعنى، اتساع دلالتها لما لا تتسع

له دلالات الكلمات الأخرى، كل هذا ينسحب على أسماء الله الحسنى باعتبارها مفردات قرآنية.

5. أسماء الله الحسنى كلمات كغيرها من كلمات القرآن، ينطبق عليها ما ينطبق على الكلمات القرآنية من حسن الاختيار وحسن الدلالة، فهي متمكنة في موضعها، لا يمكن أن ينوب عن اسمٍ ما اسمٌ آخر.

6. الانسجام أو التناسق بين الحروف في الكلمة القرآنية وبالأخص أسماء الله الحسنى، يرجع إلى مخارجها، وصفاتها، أو الإيقاع الموسيقي لها، وهذا الإيقاع الموسيقي للكلمة، لا ينفك عن المعنى.

7. تنوع الصيغ الصرفية لأسماء الله الحسنى يقود إلى تنوع الدلالات، فالغافر والغفور والغفار ثلاثة أسام مختلفة من أصل واحد، فالغافر يدل على أصل المغفرة فقط، والغفور يدل على كثرة المغفرة بالإضافة إلى كثرة الذنوب، حتى إن من لا يغفر إلا نوعا واحدا من الذنوب قد لا يقال له غفور، والغفار يشير إلى كثرة على سبيل التكرار، أي يغفر الذنوب مرة بعد أخرى حتى إن من يغفر جميع الذنوب ولكن أول مرة ولا يغفر العائد إلى الذنب مرة بعد أخرى لم يستحق اسم الغفار.

8. اعتبر بعض العلماء الأسماء المزدوجة دالة على صفة إضافية تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وهو قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فإن الغِنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد والعزيز الحكيم...

9. الرحمن اسم يرد منفردا أو مقترنا بغيره، ويؤثر ذكره على لفظ الجلالة «الله» في سياقات تقتضي تغليب الرحمة، فإذا اقترن بالرحيم، كان هناك ارتقاء في المعنى من

الرحمن إلى الرحيم، باعتبار أن الرحمن أخص من الرحيم، فتعقيب الأول بالثاني تعميم بعد خاص، ولذلك كان وصف الرحمن مختصاً به تعالى وكان أول إطلاقه مما اختص به القرآن حيث لم يكن التوصيف به معروفاً عند العرب: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾، ومدلول الرحيم كون الرحمة كثيرة التعلق إذ هو من أمثلة المبالغة ولذلك جاز إطلاقه على غير الله تعالى.

10. للسياق دور في التقديم والتأخير بين الأسماء المزدوجة، وقد يكون للسياق أثر في تغيير نمط ترتيب الأسماء عن بعضها، فـ«الغفور الرحيم» اسمان يحافظان على هذا الترتيب في أغلب آيات القرآن، لكن سياق سورة سبأ اقتضى تقديم «الرحيم» على «الغفور» حيث جاء: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾.

11. وقد يكون للسياق أيضا أثر في اختيار الأسماء المزدوجة والاسم الذي يصلح قرينا لغيره، فعندما يكون السياق في شأن ذنب هو في حقيقته تقصير في الأدب مع الله تعالى يناسب ذلك الوصف بـ«الغفور الحليم» الذي لا يعاجل بالعقوبة، وعندما يكون السياق في شأن ستر الذنوب والعفو عن مقترفها، يناسب الوصف بـ«الغفور الرحيم».

12. من دلائل وبراهين اهتمام العبارة القرآنية بالإيقاعية هو تكييف بعض الألفاظ المكونة لهذه العبارة حتى يتم التناسق في الصيغة التعبيرية للعبارة ككل ضمن السياق، ولذلك اختير اسم «الرحمن» في: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾، تجنبا للشعور بالكسر في الإيقاعية، والتناسب مع اسم النبي «هارون» الذي يتفق معه في الختم بحرف النون، فكان ورود «الرحمن» قد أدى غرضاً فنياً بتجسيد هذه الإيقاعية في العبارة ككل، بالإضافة إلى الغرض المعنوي، وهو اختيار اسم يشعر بالتحفيز على الإقبال إلى الله المتصف بالرحمة الواسعة.

13. إن المتأمل في عبارة «أإله مع الله» المتكررة في سورة النمل خمس مرات يلفيها تحدث إيقاعية مميزة عن باقي الآيات التي سبقت هذه المقاطع، أو التي تلت هذه المقاطع؛ ذلك أن عبارة «أإله مع الله»، كانت «المرتكز الإيقاعي» الذي ميز خطاب هذه المقاطع إيقاعياً، غير أن هذا المرتكز الإيقاعي، هو في الوقت ذاته يتنوع بتنوع ما قبله وما بعده، ولو لم يكن كذلك، لكان ضرباً من التكرار الممل.

14. التناسب الذي يضفيه ختم الآيات بأسماء الله الحسنى له ميزة الإقناع والإمتاع في نفس الوقت، فالإمتاع لجمال الترتيب المعنوي، والتناغم اللفظي، والإيقاع الصوتي، وتتفاوت أسرار التناسب بين الآيات وأسماء الله ظهورا وخفاء، قربا وبعدا، خصوصا وعموما.

15. النظم القرآني البديع بهر العقول بحسن مبادئ الآي والمقاطع وتماسك الكلمات واتساقها في التراكيب، وإذا تأمّلناه آيةً آيةً وعُشراً عُشراً وسورةً سورةً لم نجد في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة يُنكر شأنها أو يُرى غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى، بل سنجد اتساقاً يبهر العقول ويعجز أهل الحكم والبلاغات، ولن يدع في نفس أحدهم موضع طمع حتى تخرس الألسن أن تدّعي وتتقوّل، وقد زادت الأسماء الحسنى هذا النظم حسنا وبهاء.

16. القيمة الفنية للقصة القرآنية يزيدها بريقا احتواؤها على الأسماء الحسنى التي ترد أحيانا تعليلا لأفعال الأنبياء وأقوامهم وأحيانا بيانا لأسرار أفعال الله بعباده المؤمنين والكافرين.

17. تؤدي الأسماء الحسنى باختلاف السياق الذي ترد فيه دلالات بلاغية متعددة تختلف باختلاف ترتيبها وتباين السياق الذي يتضمنها، فقد تفيد التعليل، التهديد والوعيد، التقرير أو الإنكار، الترغيب بعد الترهيب، الرجاء أو الخوف...

18. تقتضي دراسة العلاقة بين الاسم من أسماء الله والسياق التطرق إلى أوجه التناسب المعنوي في التعقيبات القرآنية التي تأتي بأسماء الله تعالى وصفاته، ذلك أننا نلفي آيات الرحمة مختومة بأسماء الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة، والقدرة والحكمة، والعلم، والقهر، وهلم جرا، فهنالك تناسب دقيق، ورباط وثيق يجمع بين الآيات وما خُتمت به من أسماء أو صفات.

19. تمنح الأسماء الحسنى دلالات إضافية على مطالع السور وخواتيمها، فبالإضافة إلى الثناء على الله وتمجيده، تبرز كذلك تناسبا دلاليا راقيا وفيه وجهان: التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها، حيث ينعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم، من أمثلته: الافتتاح بـ ﴿الرحمن﴾ في سورة الرحمن، والختم بـ ﴿ تبارك اسم ربك﴾ كأن المراد بالاسم في آخر السورة ما ورد في افتتاحها، والوجه الآخر: التناسب بين آخر السورة ومطلع التي تليها، من أمثلته خاتمة سورة القمر ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ ومناسبتها لفاتحة سورة «الرحمن» فجمعت سورة بين وصفين، أحدهما: يدل على القدرة والعزة والعظمة، والآخر: يدل على الرأفة والرحمة.

20. اللفُّ والنشرُ ذكر متعدد مفصلا أو مجملا ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ويتبوَّأُ مكانةً واضحةً بين ضروب البديعِ في ختام الآيات الكريمة بالأسماء الحسنى المزدوجة، فاللفُّ والنشرُ إذًا ضربٌ من التقسيمِ؛ يتناسب فيه أجزاء الكلام الملفوف مع أجزاء الكلام المنشور؛ فتتشابَهُ الأطراف، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ والمعنى أنّ الله غنيّ عن إيمان الكافر، حميد لشكر الشاكرين.

21. فروق النظم واختلاف الصياغة بين اسم وآخر وبين آية وأخرى ينبئ إلى عظمة وقوة اللغة العربية التي اختارها الله من بين سائر اللغات لتكون حاملة لكلامه من جهة، وحاملة لمعاني أسمائه وصفاته من جهة أخرى.

22. إن استعراض آيات القرآن يكشف تناسقا وانسجاما بين المعاني والألفاظ المختارة لأدائها، فلا تعقيد يعكر الفكر في طلب المراد، بل الألفاظ تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها، والحقيقة أن الكلمة القرآنية لها دور وضرورة في السياق للدلالة على المعنى، كما أن لها دورا في تناسب الإيقاع، دون أن يطغى أحدهما على الآخر ولذلك فإن القرآن يتناول من أسماء الله أنسبها دلالة على المعنى وأتمها تصويرا وتشخيصا للصورة، وأجملها وأحلاها إيقاعا ووزنا بالنسبة إلى نظائرها.

23. وأخيرا، فإن الخطاب القرآني باختلاف أنماطه قد انفرد عن غيره من الكلام باحتوائه على هذه الأسماء التي كانت الغاية في المدح والثناء، ذلك لأنه لا أحد أحب إليه المدح والثناء من الله ولذلك أثنى ومدح نفسه بهذه الأسماء العظيمة، وضمنها كلامه، ولا يسع الباحث فيها إلا أن يعترف بقصر جهده في الإلمام بخبايا هذا الموضوع، خاصة إذا تعلق الأمر بأسماء الله الحسنى، وما ينبغي الاعتراف به أيضا أن العبد لو أُعطي بكُل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه لأنه كلام الله وكلامه صفته وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه وكلام الله غير مخلوق ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة.

وإني أستغفر الله العظيم وأسأله التجاوز عني والمسامحة في كل ما بدر مني؛ فإني محل خطأ وتقصير، ومثلي إلى عفوه ومغفرته عائذ فقير، وهو سبحانه وتعالى أهل التقوى وأهل المغفرة، وهو الغني الكريم الغفور الحليم والواسع العليم، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن لا يحرمنا أجره من واسع فضله العظيم، وأن يجزي أستاذي الكريم الدكتور محمد طول خير الجزاء على صبره وثقته في، وأن يغفر لوالديَّ ويجزي زوجتي أم زكريا خير الجزاء على ما قدمته من مساعدة وصبر إنه حسيب رقيب سميع الدعاء.

المصادر والمراجع

أولا. القرآن الكريم

ثانيا. المصادر

01	**الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ.
02	**إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد، تح: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، ط1: 1426هـ- 2005م.
03	**الإحكام في أصول الأحكام**، أبو الحسن الآمدي، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان.
04	**الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1: 1419هـ-1998م.
05	**أسرار ترتيب القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
06	**الأسماء والصفات للبيهقي**، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1: 1413هـ.
07	**الأصول في النحو**، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
08	**الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تح: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط1: 1401هـ.
09	**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط8، 1425هـ-2005م.
10	**إعجاز القرآن ومعترك الأقران**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية

	– بيروت، ط1: 1408هـ.
11	**إعجاز القرآن**، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف–مصر، ط5، 1997م.
12	**إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، منشورات دار الحكمة، حلبوني، دمشق.
13	**إعلام الموقعين عن رب العالمين**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1: 1423هـ.
14	**ألفية ابن مالك**، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله، دار التعاون.
15	**الأمثال**، أبو عبيد القاسم بن سلاّم، دار المأمون للتراث، ط1: 1400هـ.
16	**أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، أبو محمد جمال الدين، ابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد، تح:يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
17	**الإيضاح في علوم البلاغة**، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل–بيروت، ط3.
18	**البحر المحيط في أصول الفقه**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، ط1: 1414هـ.
19	**البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420هـ.
20	**بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.
21	**البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1: 1376هـ.
22	**البلاغة العربية**، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1: 1416هـ.
23	**بيان إعجاز القرآن** (ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3: 1976هـ.
24	**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن

	تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تح: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1: 1426هـ.
25	**البيان والتبيين**، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.
26	**تاج العروس من جواهر القاموس**، مرتضى الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
27	**التحرير والتنوير**، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس- 1997 م.
28	**تصحيح الفصيح**، ابن درستويه، تح: عبد الله الجبوري، بغداد، 1975م،
29	**التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1: 1403هـ -1983م.
30	**تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
31	**تفسير أسماء الله الحسنى**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تح: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.
32	**تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، 1399هـ.
33	**تفسير القرآن العظيم**، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط3: 1419هـ.
34	**تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1: 1419هـ.
35	**تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط3: 1419هـ.
36	**تفسير القرآن الكريم**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1: 1410هـ.

37	**تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات**، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1420هـ.
38	**التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط3: 1420هـ.
39	**تناسق الدرر في تناسب السور**، للإمام جلال الدين السيوطي، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1: 1406هـ–1986م
40	**تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين**، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي، تح: محمد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
41	**تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط1: 2001م.
42	**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420هـ–2000م.
43	**التيسير في أحاديث التفسير**، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط1: 1405هـ.
44	**ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي بالخطابي، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3: 1976م.
45	**جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ – 2000م.
46	**الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ.
47	**الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2: 1384هـ.
48	**الجامع لأسماء الله الحسنى**، ابن قيم الجوزية، القرطبي، ابن كثير، العلامة السعدي، دار الفجر

	للتراث، القاهرة، ط1: 1423هـ– 2002م.
49	**جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، ابن قيم الجوزية، تح: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، ط2: 1407هـ.
50	**الحاوي في تفسير القرآن الكريم**، عبد الرحمن بن محمد القماش، حقوق الطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم، ط1: 2009م.
51	**الحجة في القراءات السبع**، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4: 1401هـ.
52	**الحيوان**، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الجاحظ، الليثي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط2، 1424هـ.
53	**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر–بيروت
54	**دلائل الإعجاز في علم المعاني**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3: 1413هـ.
55	**رسائل الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384 هـ – 1964م.
56	**روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر– بيروت.
57	**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1415هـ.
58	**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ.
59	**سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، تح: محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4: 1379هـ.
60	**سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2: 1395هـ.
61	**السنن الصغرى للنسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية–حلب، ط2، 1406هـ.

62	**السنن الكبرى**، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط3، 1424 هـ – 2003 م.
63	**شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1: 1420هـ–2000م .
64	**شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط20: 1400هـ.
65	**شرح أسماء الله الحسنى**، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية تح: أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا القاهرة، 2006م.
66	**شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، الوقاد، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1: 1421هـ.
67	**شرح نهج البلاغة**، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
68	**شعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1410هـ.
69	**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ.
70	**صحيح ابن خُزَيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط3: 1424هـ.
71	**صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ .
72	**صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
73	**صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع–القاهرة، ط1، 1417هـ – 1997م.

74	**الصناعتين**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، 1419 هـ.
75	**الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: 1408هـ.
76	**العقيدة الأصفهانية**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تح: إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ.
77	**فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى**، فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، تح: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس، الكويت، ط1: 1424هـ.
78	**الفتاوى الكبرى**، شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تح: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1: 1408هـ، 1987م.
79	**الفروق اللغوية**، الإمام الأديب اللغوي أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.
80	**الفصول المفيدة في الواو المزيدة**، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، تح: حسن موسى الشاعر، دار البشير-عمان، ط1، 1410هـ.
81	**الفوائد**، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2: 1393هـ.
82	**في جمالية الكلمة**، د. حسين جمعة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م.
83	**في ظلال القرآن**، سيّد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17: 1412هـ.
84	**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3: 1407 هـ.
85	**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
86	**الكليات**، أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تح: عدنان درويش - محمد

	المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
87	**الكناش في فني النحو والصرف**، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن شاهنشاه بن أيوب، تح: د. رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2000م.
88	**اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1419هـ.
89	**لسان العرب**، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، 1414هـ- 1968م.
90	**اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط5: 1427هـ.
91	**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة.
92	**مجمع الأمثال**، أحمد بن محمّد أبو الفضل الميداني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1955م.
93	**مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تح: أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء، ط3: 1426هـ.
94	**المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ.
95	**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان - ط1: 1413هـ ـ 1993م.
96	**مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله الحنفي الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت-صيدا، ط5، 1420هـ-1999م.
97	**مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**، إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة للنشر – الرياض، ص119، ط1: 1429هـ.
98	**المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1: 1417هـ-1996م.
99	**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم الجوزية، محمد المعتصم بالله

	البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط3: 1416هـ.
100	**مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**، عدنان محمد زرزور، دار القلم-دار الشاميه – دمشق- بيروت، ط2: 1419هـ.
101	**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1418هـ.
102	**مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ.
103	**مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3: 1985م.
104	**مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة المعارف– الرياض، 1408هـ.
105	**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد الحكمي، تح: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط1: 1410هـ.
106	**معترك الأقران في إعجاز القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1408 هـ.
107	**معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ.
108	**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تح: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6: 1985م.
109	**المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
110	**مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط5: 1984م.
111	**المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ط1: 1407هـ.
112	**مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،

	ط3.
113	**الموافقات**، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1: 1417هـ- 1997م.
114	**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ.
115	**النكت في القرآن الكريم**، علي بن فَضَّال القيرواني، تح: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1428هـ.
116	**النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
117	**نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1: 1423هـ.
118	**الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1: 1415هـ.

ثالثا. المراجع

119	**أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط2: 1961م.
120	**أدبية الخطاب القرآني**، مقاربة تحليلية توصيفية لفاعلية التبليغ الإعجازي ـ د. سليمان عشراتي، جامعة وهران ـ الجزائر ـ دكتوراه (مخطوط) سنة 1992م.
121	**الأساليب البيانية والخطاب الدعوي الواعي**، أ.د .نعمان شعبان علوان، مجلة مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية–غزة، 1426هـ–2005م.
122	**الأصلان في علوم القرآن**، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط4: 1417هـ.
123	**الأصول المعرفية لنظرية التلقي**، ناضم عودة خضر، دار الشروق، عمان، الأردن، ط2: 1997م.
124	**الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ،

	دار المعارف، ط3.
125	**الإعجاز الفني في القرآن**، عمر السلامي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1980م.
126	**الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم**، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.
127	**الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ-2003م.
128	**أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتَفسير القُرآن الكريم**، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط3: 1434هـ.
129	**بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط17: 1426هـ.
130	**البناءات الجمالية في النص القرآني**، إعداد: رائد مصباح الداية، إشراف: أ.د. كمال أحمد غنيم، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب.
131	**التصوير الفني في القرآن الكريم**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط16: 1423هـ- 2002م.
132	**التعبير الفني في القرآن**، د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، ط4: 1980م.
133	**التعريفات الفقهية**، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، ط1: 1424هـ.
134	**التفسير الحديث**، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383هـ.
135	**التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد الحدادي المناوي القاهري، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، 1410 هـ.
136	**جماليات المفردة القرآنية**، أحمد ياسوف، دار المكتبى – دمشق، ط2: 1419 هـ.
137	**الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر-بيروت، ط1 : 1411هـ.
138	**خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط1: 1413هـ- 1992م.
139	**دراسات في العربيّة وتاريخها**، محمد الخضر حسين، ط2، دمشق، 1960م.
140	**دراسات في علوم القرآن الكريم**، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط12: 1424هـ.

141	**دراسات في فقه اللغة**، الصالح صبحي، ط1، دار العلم للملايين، 1960م.
142	**شذا العرف في فن الصرف**، الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شرح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
143	**شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
144	**شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة**، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
145	**شرح التصريح على التوضيح**، خالد بن عبد الله الأزهري، دار إحياء الكتب العربيّة، مصر.
146	**شرح الرسالة التدمرية**، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، 1425هـ.
147	**شرح الكافية الشافية**، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، ط1.
148	**شرح الكافية في النحو**، ابن الحاجب، رضي الدين الاسترباذي، ط2، بيروت، 1979م،
149	**شرح قطر الندى وبل الصدى**، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين، ابن هشام، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط11: 1383 هـ.
150	**شرح مقدمة في أصول التفسير**، د. مُساعِدُ بن سُلَيْمان بن نَاصِر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي، ط2: 1428هـ.
151	**الصورة الأدبية تاريخ ونقد**، علي علي صبح، دار إحياء الكتب العربية.
152	**الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ، المكتبة العنصرية–بيروت، ط1، 1423هـ.
153	**ظاهرة التحّويل في الصيغ الصّرفية**، د. محمود سليمان ياقوت، الاسكندرية، 1986م.
154	**الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم**، نذير حمدان، دار المنارة جدة–السعودية، ط1: 1412هـ.
155	**عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
156	**عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم**، أ. د. سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
157	**الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم**، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، مجمع الملك فهد

	لطباعة المصحف الشريف.
158	**فصول في أصول التفسير**، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط2: 1423هـ.
159	**فواصل الآيات القرآنية**، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1: 1420هـ.
160	**القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، د صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم – دمشق، ط1: 1428هـ.
161	**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط3: 1421هـ.
162	**لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط3: 1423هـ-2003م.
163	**مباحث في إعجاز القرآن**، د. مصطفى مسلم، دار القلم-دمشق، ط3، 1426هـ - 2005م.
164	**مباحث في علوم القرآن**، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3: 1421هـ.
165	**المدخل إلى علوم القرآن الكريم**، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب، ط1: 1426 هـ.
166	**المشترك اللفظي في الحقل القرآني**، عبد العال سالم مكرم، موسسة الرسالة – بيروت، ط2: 1417هـ.
167	**معاني الأبنية في العربيّة**، د. فاضل صالح السّامرائي، بيروت، 1981م.
168	**معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1.
169	**معجزة حروف القرآن**، حليمة مدرس بوداود، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر.
170	**معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407هـ-1987م.
171	**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، 1364 هـ.
172	**معجم علوم القرآن**، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم – دمشق، ط1: 1422هـ.
173	**مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية-**، عبد الحميد الفراهي الهندي، تح: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط1: 2002م.

174	**من أسرار البيان القرآني**، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، عمان، ط1: 1430هـ.
175	**من بلاغة القرآن**، أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر-القاهرة، 2005م.
176	**المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، د. زين محمد شحاتة، تق: د.عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ط01: 1422هـ
177	**الموجز في قواعد اللغة العربية**، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، دار الفكر – بيروت، ط: 1424هـ.
178	**الموسوعة القرآنية (خصائص السور)**، جعفر شرف الدين، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط1: 1420هـ.
179	**الموسوعة القرآنية المتخصصة**، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1423هـ.
180	**النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، محمد بن عبد الله دراز، تح: أحمد مصطفى فضيلة، تق: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ.
181	**نتائج الفكر في النَّحو**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1412هـ.
182	**النحو المصفى**، محمد عيد، مكتبة الشباب.
183	**النحو الوافي**، عباس حسن، دار المعارف، ط15.
184	**نظام الخطاب القرآني**، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، د. عبد الملك مرتاض، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2001م.
185	**نظام الخطاب القرآني**، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، د. عبد الملك مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع. الجزائر 2003م.
186	**النقد والإعجاز**، د. محمد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م.
187	**الواضح في علوم القرآن**، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب/ دار العلوم الانسانية – دمشق، ط2: 1418هـ.
188	**وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر- حلب، ط1، 1422هـ.

رابعا. دواوين الشعر

189	**ديوان الحطيئة**، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 2005م.
190	**ديوان الفرزدق**، دار بيروت للطباعة والنشر، 1404هـ.
191	**الديوان**، عمرو بن معد يكرب هاشم الطعان، بغداد، 1970م.
192	**ديوان النّابغة الذّبياني**، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ.

خامسا. الدوريات والمجلات

193	**أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني**، أحمد جمال العمري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط9: العدد الثالث، 1396هـ.
194	**تفسير أسماء الله الحسنى**، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تح: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112 – السنة 33 –1421هـ.
195	**رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة**، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين، حامد قنيبي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العددان71، 72–1406هـ.
196	**مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور**، عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد129 – السنة 37 – 1425هـ.
197	**معاني " الواو " العاطفة بين الاصطلاح المعنوي والتقعيد اللغوي الأصولي**، د. أحمد كروم، من مجلة اللسان العربي، العدد50، سنة 2001م.
198	**النحاة والقياس**، صلاح الدين الزعبلاوي، مجلة التراث العربي – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب– دمشق العدد 32 – السنة الثامنة –1988م – 1408هـ.

سادسا. مواقع الانترنت

199	**موسوعة النحو والإعراب**، موقع اللغة العربية لغة القرآن الكريم، د.مسعد محمد زياد (www.drmosad.com)

سابعا. المقالات

200	**سيميائيات التواصل وفعالية الحوار**، د. أحمد يوسف، مخبر السيميائيات، جامعة وهران، 2004.
201	**مفهوم النص والخطاب**، د. محمد مصابيح، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2009

فهرس الموضوعات

شكر وإهداء..02

المقدمة..03

مبحث تمهيدي: الخطاب القرآني بين الجمال والإعجاز..............15

التعرف إلى الخطاب القرآني.....................................16

الجمالية في الخطاب القرآني.....................................21

الإعجاز القرآني، مفهومه ومظاهره..............................34

الفصل الأول: الأسماء الحسنى: تعريفها وإحصاؤها وتصريفها وتركيبها 44

المبحث الأول. معرفة أسماء الله الحسنى وإحصاؤها..............46

معرفة أسماء الله الحسنى..46

دلالة أسماء الله الحسنى..50

ضوابط إحصاء أسماء الله في القرآن............................55

المبحث الثاني. شرح أسماء الله الحسنى وتفسيرها................64

الجمال في أسماء الله الحسنى....................................64

تعدد أسماء الله الحسنى وحصرها................................67

التفسير اللغوي والشرعي للأسماء الحسنى......................70

المبحث الثالث. تصريف أسماء الله الحسنى وتركيبها............80

الصيغ الصرفية لأسماء الله الحسنى..............................80

التراكيب المختلفة لأسماء الله الحسنى..........................92

تراكيب الأسماء المنفردة...96

تراكيب الأسماء المزدوجة.......................................106

دلالات تراكيب الأسماء الحسنى..121

الفصل الثاني: جمالية كلمات الأسماء الحسنى...........................132
المبحث الأول: خصائص كلمات الأسماء الحسنى...........................134
الكلمة القرآنية وجماليتها...134
كلمات الأسماء الحسنى وجماليتها...141
جمالية الصوت في الأسماء الحسنى..147
جمالية الحركات والمدود في الأسماء الحسنى............................154
التحول في الوحدات الصرفية للأسماء الحسنى...........................162
المبحث الثاني: الترادف وكلمات الأسماء الحسنى.........................179
الكلمات بين التقارب والتباين...179
أسماء الله الحسنى بين الترادف والتباين...................................185
نفي الترادف عن الأسماء الحسنى..190
المبحث الثالث: الفاصلة القرآنية والأسماء الحسنى........................197
الفاصلة في القرآن الكريم..197
الأسماء الحسنى في الفاصلة القرآنية.......................................202
«الرحمن والرحيم» في الفاصلة القرآنية....................................207

الفصل الثالث: جمالية تراكيب الأسماء الحسنى 218
المبحث الأولى: جملة الأسماء الحسنى ومظاهر إعجازها....................220
الجملة القرآنية ومظاهر إعجازها..220
الأسماء الحسنى وأثر السياق...230
التقديم والتأخير في الأسماء الحسنى..247
المبحث الثاني: جمالية النظم والأسماء الحسنى.............................255
إعجاز النظم القرآني..255
الأسماء الحسنى جزء من النظم القرآني.....................................259
إيقاعية الأسماء الحسنى في النظم القرآني...................................268

المبحث الثالث: جمالية اللفّ والنشر في الأسماء الحسنى.....................280
اللف والنشر في القرآن...280
اللف والنشر في أسماء الله الحسنى..285

الفصل الرابع: جمالية التناسب في تراكيب الأسماء الحسنى...................298
المبحث الأول: التناسب القرآني ومستوياته.......................................300
التناسب في النص القرآني...300
مستويات التناسب في الأسماء الحسنى.......................................305
التناسب بين الأسماء المزدوجة...309
المبحث الثاني: تناسب سياق الآيات والأسماء الحسنى........................314
السياق القرآني ومراتبه..314
بلاغة الأسماء الحسنى..318
الدلالة على المدح والثناء...324
الدلالة على ما يتعلق بأفعال العباد..327
المبحث الثالث: تناسب الأسماء الحسنى بين مطالع السور وخواتمها..........332
التناسب بين الآيات والسور...332
مطالع السور وخواتمها...338
التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها..342
التناسب بين خاتمة السورة ومطلع التي تليها...............................351
المبحث الرابع: تناسب الأسماء الحسنى في القصص القرآني..................356
القصص القرآني..356
أهداف القصص القرآني...361
الأسماء الحسنى في القصص القرآني...367
قصة آدم عليه السلام...369
قصة نوح عليه السلام...371
قصة إبراهيم عليه السلام...372

قصة موسى عليه السلام..376
قصة يوسف عليه السلام...378

الخاتمـة..384

المصادر والمراجع...390

فهرس الموضوعات...406

جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني –دراسة بلاغية لآيات الأسماء الحسنى-

للخطاب القرآني جمالياته الفنية، يتضافر في تحقيقها اللفظ والتركيب، والأسماء الحسنى جزء من هذا الجمال، بل إنها لتزيده رونقا وبهاء، فالفاصلة المختومة بأسماء الله الحسنى لها ميزة الإقناع والإمتاع، وتظهر هذه الميزة كذلك في مطالع السور وخواتيمها، أما القيمة الفنية للقصة القرآنية فإنها تزداد بريقا وإعجازا بما احتوته من أسماء الله وصفاته، ولهذا فالنظم القرآني البديع الذي بهر العقول بحسن مبادئ آيِهِ ومقاطعه وتماسك كلماته واتساقها قد بلغ من الإعجاز مبلغا بفضل تلك الأسماء التي حملت معاني الجلال والكمال.

ومن هذا التنوع السياقي أفادت الأسماء الحسنى تنوعا دلاليا بلاغيا يتباين بتباين ترتيبها وسياقها، تنوع بين التعليل والاستدلال، بين التهديد والوعيد، بين التقرير والإنكار، بين الترغيب والترهيب، بين الرجاء والخوف.

وفروق النظم واختلاف الصياغة بين اسم وآخر وبين آية وأخرى ينبئ إلى عظمة وقوة اللغة العربية التي اختارها الله على سائر اللغات لتكون وعاء لكلامه من جهة، ووعاء لمعاني أسمائه وصفاته من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: 01. الخطاب القرآني 02. جمالية الأسماء الحسنى 03. تراكيب الأسماء الحسنى 04. جمالية النظم 05. الأسماء الحسنى في القصة 06. جمالية التناسب

Les esthétiques du discours coranique et son caractère inimitable oratoire - Etude rhétorique des versets coraniques contenant les Nom d'Allah

Le discours coranique présente des esthétiques artistiques, auxquelles participent le mot et la structure, et les Nom d'Allah en font partie, d'autant plus qu'ils y ajoutent une certaine élégance et splendeur.

Les fins des versets qui contiennent les Nom d'Allah ont une particularité de persuasion et de satisfaction. Cette particularité apparaît aussi dans les débuts et les épilogues des sourates. La valeur artistique des récits coraniques s'augmente par la présence des Nom d'Allah. Et par conséquent la composition textuelle coranique qui a charmé les esprits par son euphémisme, sa cohésion de mots et à sa cohérence d'idées à atteindre le caractère inimitable illimité grâce à ces Nom d'Allah.

Cette diversité textuelle a permis aux Nom d'Allah de marquer une diversité sémantique rhétorique et qui se diverse selon son classement et sa position, à savoir : la cause, l'argumentation, la menace, l'affirmation, la contestation, la sollicitation, l'intimidation.

Mots clés: 01. Le discours coranique, 02. L'esthétique des Nom d'Allah, 03. les structures des Nom d'Allah, 04. L'esthétique de la composition textuelle coranique, 05. Les Nom d'Allah dans les récits, 06. L'esthétique de la cohérence

The aesthetics of the Koranic discourse and its inimitable character oratory Rhetoric Study of Koranic Allah Names verses

The Koranic discourse presents artistic aesthetics that the word and the structure are combined in its performance, and Allah Names are a part of it. In addition; it gives the Koran some elegance and splendor. The purpose of Allah's Names verses are characterized by persuasion and satisfaction. This feature appears in beginnings and endings of the surat. On the other hand, the artistic value of the Koranic narration increases its brightness and inimitability by the presence of Allah's Names. As a result; the Koranic text composition has charmed the spirits by the beauty of its signs' beginnings and segments, words cohesion and consistency to achieve unlimited inimitability by virtue of Allah's Names that convey majestic and perfectible meanings. From this textual diversity , Allah Names contributed to rhetorical and semantics diversity and vary by opposition of its contextual succession, namely the cause and argument, threat and affirmation, determination and denial, desire and terror, hope and fear, and composition parts and framing difference between Allah's Name and other, sign and other to show the greatness and power of Arabic language that was chosen by Allah than the rest of other languages as a means of conveyance of Allah's names meanings, and His attributes.

Keywords: 01. The Koranic discourse, 02. Aesthetics of Allah names, structures 03. Allah names structures, 04. The aesthetics of the Koranic text composition, 05. Allah Names in the stories, 06. The aesthetic consistency.

المقال

مصوران

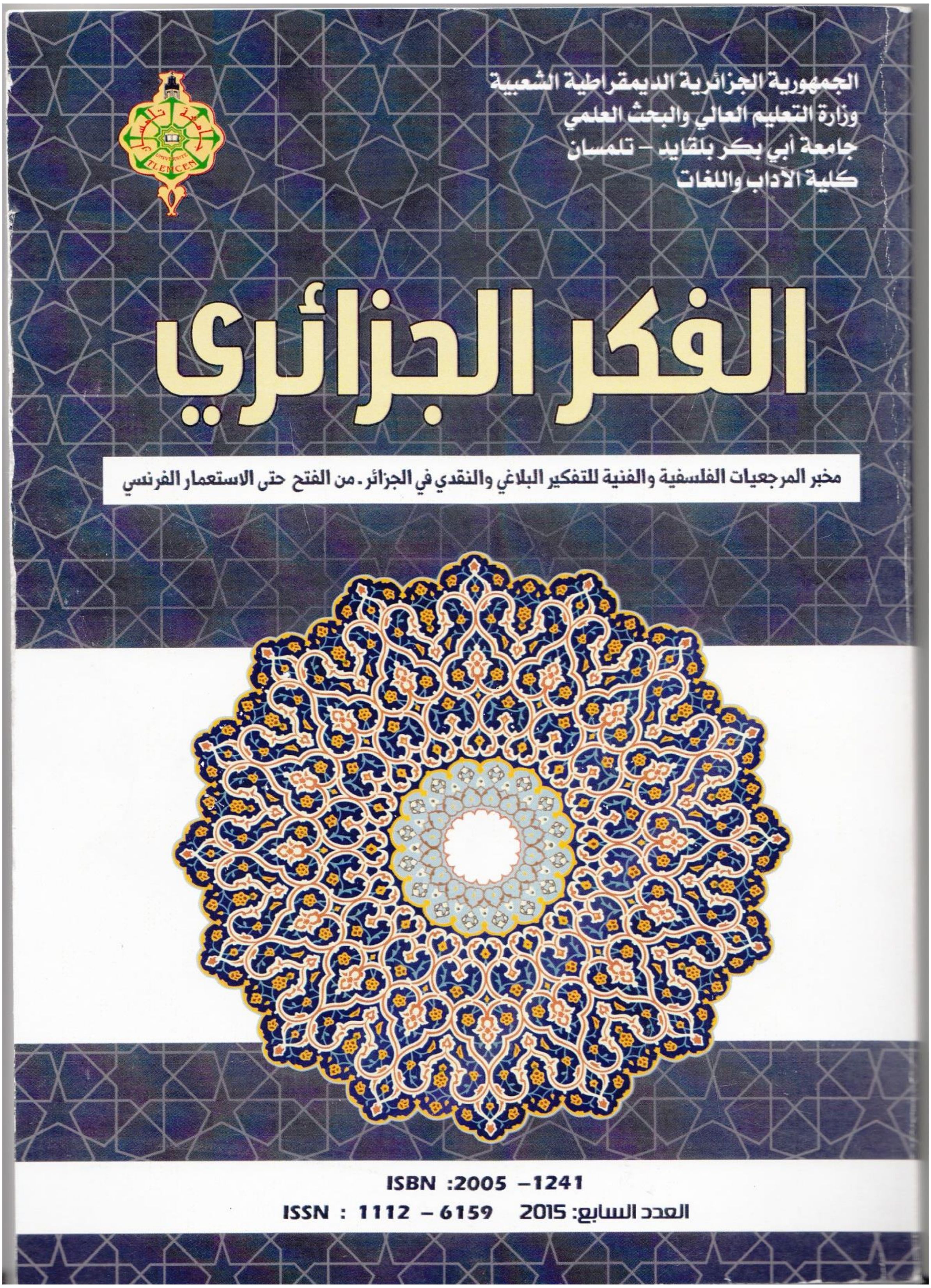

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان
كلية الآداب واللغات
الفكر الجزائري
مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي في الجزائر. من الفتح حتى الاستعمار الفرنسي
ISBN :2005 -1241
ISSN : 1112 - 6159
العدد السابع: 2015

مجلة الفكر الجزائري. العدد السابع 2015

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة بوبكر بلقايد – تلمسان-

مجلة مخبر : المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي في الجزائر

أسرة المجلة

المدير المسؤول : أ.د. محمد طول – مدير المخبر –

رئيس التحرير : د/ رمضان كريب

هيئة التحرير

أ.د. حسين فارسي

أ.د. شريف بموسى

د. بلخير عثمان

د. بلخير بومدين

د . حاج عيسى محمد

د. بلعشوي حبيب

أ. رفيقة بن لباد

أ. أمال توالي

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبد الجليل مرتاض (جامعة تلمسان)

أ.د. محمد العيد رتيمة (جامعة الجزائر)

أ.د. زاوي التيجيني (جامعة وهران)

أ.د. محمد موسوني (جامعة تلمسان)

أ.د. زعراط محمد (جامعة وهران)

أ.د. محمد باقي (جامعة سيدي بلعباس)

د. عبد المالك قرل (جامعة النعامة)

د. الطاهر بن علي (جامعة الجلفة)

د. صباح لخضري (جامعة النعامة)

مجلة الفكر الجزائري - العدد السابع- 2015

محتويات العدد السابع

- الموضوع			الصفحة
- كلمة العدد			07
- المعجم الفني للصورة القرآنية	أ.د/ محمد طول	جامعة تلمسان	09
- غواية السرد في " سيرة المنتهى"	د. عبد الحميد الحسامي	السعودية	33
-اللهجات بين حتمية التطوّر اللّغوي والانفتاح اللّساني في التّواصل الاجتماعي	د/ أحمد قريش	جامعة تلمسان	75
- منهج التأليف عند ابن رشيق في كتابه " أنموذج الزمان في شعراء القيروان "	د/ محصرووردة	جامعة تلمسان	91
- قراءة في كتاب :« نظم الدرّ و العقيان في بيان شرف بني زبان » للحافظ التّنسي	د/ كريب رمضان	جامعة تلمسان	97
- حرب التحرير في الفولكلور الجزائري الأغنية البدوية	د/ زاوي تيجاني	جامعة وهران	105
- المعالم الحضارية والنقدية في مراسلات علماء الجزائر القدامى	أ.أمال تواتي	جامعة تلمسان	125
- الصورة الشعرية بين الأصالة و الحداثة عند السائحي الصغير ديوان ألوان من الجزائر نموذجا	أ. العربي بن السيم	جامعة تلمسان	145
- الترادف في تفسير المفردة القرآنية التحقيق في أسماء الله الحسنى	أ. بوهند محمد	جامعة بلعباس	167
- الخطاب الصوفي في شعر أبي مدين شعيب	أ. طول أحمد	جامعة تلمسان	187
- واقع الإصلاحات المصرفية و الصيرفة الإلكترونية في ظل بيئة مؤسساتية جزائرية متغيرة	د/ بلحرش عائشة	جامعة تلمسان	225-203
	د/ بن لدغم فتحي	جامعة تلمسان	

مجلة الفكر الجزائري – العدد السابع - 2015

الترادف في تفسير المفردة القرآنية

التحقيق في أسماء الله الحسنى

بوهند محمد –جامعة بلعباس

عندما نتفحص الكتب والمعاجم التي تعالج مفردات القرآن ودلالاتها فإننا نقف على اتجاهين مختلفين:

منها ما يثبت وجود الترادف في القرآن الكريم، ومنها ما ينفي وجوده، وقد شهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن الكريم في سياقها، أن استعمال اللفظ بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عددا قلّ أو كَثُر من الألفاظ.

فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في القرآن فإما نادر، وإما معدوم، وقلّ أن يعبر عن معنى واحد بلفظ واحدٍ يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القر آن[1].

فتفسير ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾[2] بـ ﴿هَذَا القُرْآنُ﴾[3] تقريب، لأن المشار إليه وإن كان واحدا لكنه مختلف من حيث لفظ الإشارة ولفظ المشار إليه، فالإشارة بجهة الحضور، غير الإشارة بجهة البعد والغيبة، والكتاب يتضمن كونه مكتوبا مضموما، ما لا يتضمنه القرآن من كونه مقروءا مظهرا باديا، فهذه الفروق موجودة في القرآن، واختلاف العبارات ليس من التضاد، وإنما هو تقريب للمعنى، وجمع عبارات العلماء في هذا مفيد جدا، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين[4]، وقد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحا للآخر الخفي، وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين[5].

لذلك قيل: على المفسر مراعاة مجازي الاستعمالات في الألفاظ التي يظن بها الترادف والقطع بعدم الترادف، فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد(6).

وتقرر القاعدة الأصولية أن الترادف خلاف الأصل، فإذا دار اللفظ بين كونه مترادفا أو متباينا، فحمله على المتباين أولى(7) ، لأن التباين هو الأصل إذ يفترض أن لكل معنى لفظا يقابله(8) ، أو كما قال الآمدي (-631 هـ): أن الأصل عند تعدد الأسماء تعدد المسميات واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى الآخر(9). واشترط ابن القيم (-751 هـ) لهذا أن يكون الواضع واحدا، إذ قال في قاعدته الدقيقة: «ما من اسمين لـمسمًى واحد إلا وبينهما فرق في صفة أو نسبة أو إضافة، سواء عُلمت لنا أو لم تُعلم»(10) ، هذا القول يؤكده الدرس الدلالي الحديث من خلال هذا التعليل: «... وما دامت الكلمات مختلفة صوتيا، فلا بد أن تكون معانيها مختلفة كذلك...» هذا ما قاله ابن جني(11) (-392 هـ) قديما وإن كان من القائلين بالترادف والمدافعين عنه.

لكن في البداية يجب أن نتعرف إلى مفهوم الترادف ولن يكون بوسعنا الخوض في الخلاف الدائر بين العلماء حول إثبات أو إنكار الترادف، أما الترادف فالمقصود به عند الباحثين : «ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك»، وقيل: «هو الاتحاد في المفهوم»، أو هو «توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد»(12). من ذلك ما ذكره القرآن من لفظي (التمام) و(الكمال) على مستوى الاستعمال، قال الله تعالى: ﴿ وأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لله...﴾ ثم قال سبحانه وتعالى في الآية نفسها : ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾(13) ، فقد قيل بترادف الكلمتين، جاء في لسان العرب: الكمال : التمام(14) ، وفي الألفاظ المؤتلفة: باب التمام: كامل وزائد وتام ... (15) ، وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾(16) ، وقد فرق المفسرون بين اللفظتين، فقالوا: ليس بعد التمام إلا الكمال(17). حيث اجتمعت

اللفظتين في هذه الآية، والعطف يقتضي المغايرة[18] ، وأنكر المبرّد (-285 هـ) عطف المترادفات، ومنع عطف الشيء على مثله، إذ لا فائدة فيه، وأول ما سبق باختلاف المعنيين ولعله ممن ينكر الترادف أصلا في اللغة، كالعسكري (-395 هـ)وغيره[19].

إذ القاعدة أن الشيء لا يعطف على نفسه، لأن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل لأنك إذا قلت: «قام زيد وعمرو»، فهي بمعنى: قام زيد وقام عمرو والثاني غير الأول[20].

ويرى الشنقيطي (-1393 هـ) أن العرب ربما عطفت الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظ فقط فاكتفوا بالمغايرة في اللفظ، وقد عدَّ ابن تيمية (-728 هـ) تعليل عطف المترادفات باختلاف اللفظ فقط غلطا، وأن مثل هذا لا يجيء في القرآن الكريم ولا في الكلام الفصيح وقال: وغاية ما يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ، كما ادعى بعضهم أن من هذا قول الشاعر:

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد[21]

فزعموا أن (النأي، البعد) بمعنى واحد، فقال المخالفون لهم: النأي أعم من البعد، فإن النأي لما قل بعده أو كثر، كأنه مثل المفارقة، والبعد إنما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته، وقد قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[22] ، وهم مذمومون على مجانبته والتنحي عنه، سواء كانوا قريبين أم بعيدين، وليس كلهم كان بعيدا عنه[23].

ومن الأسباب التي قادت الباحثين إلى القول بعدم الترادف أو التباين، اختلاف الألفاظ الدالة على ذات واحدة، كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾ بـ « القرآن » فاللفظتان هما مترادفتان في الدلالة على الذات متباينتان في الدلالة على الصفات، فقد قيل: إن من الألفاظ ما يدل على ذات واحدة باعتبار تباين صفاتها، أي : أن يتفق اللفظان في الدلالة على معنى ويمتاز أحدهما بزيادة، كأسماء الرب تعالى، وأسماء كلامه، وأسماء نبيه وأسماء اليوم الآخر، فهذا مترادف بالنسبة إلى الذات، متباين بالنسبة إلى الصفات، فالرب والرحمن والعزيز والقدير

والملك تدل على ذات واحدة باعتبار صفات متعددة... وكذلك القرآن والفرقان والكتاب والهدى، فهذه الألفاظ ليست مترادفة لاختصاص بعضها بمزيد معنى، ويقال بترادفها لاعتبار اتحادها في الدلالة على الذات، والإنصاف أنها قسم آخر قد سمي «الألفاظ المتكافئة» إذ تتفق في الدلالة على الذات وتختلف في الدلالة على الصفات[24].

وإذا كان هناك اختلاف بين اللغويين بشأن الترادف نفيا وإثباتا في اللغة، فلا يجب أن يسحب هذا الخلاف إلى القرآن الكريم، فالنص القرآني يستعمل المفردة في كثير من المواضع استعمالا خاصا متجاوزا الدلالة المعجمية، مضيفا إليها دلالة جديدة من خلال الاستعمال الخاص، فكل لفظة «نعمة» مثلا إنما هي لنعم الدنيا أينما وردت في القرآن، على اختلاف أنواعها، يطرد ذلك ولا يتخلف منها شيء في مواضع استعمالها كلها، مفردة كانت أم جمعا، أما لفظة «النعيم» فقد استعملت بدلالة إسلامية خاصة بنعيم الآخرة، يطرد هذا أيضا في القرآن، ولا يتخلف منها شيء في آيات النعيم كلها[25].

ويمكن إيجاد توفيق بين التعريفات المختلفة لـ «الترادف» بالحديث عن خصيصة الاستبدال بين اللفظتين، فقد يلجأ في علم الدلالة، عادة إلى تعريف ضيق للترادف وهو: الكلمتان اللتان تقبلان التبادل فيما بينهما، وذلك في كل السياقات أو الاستعمالات، وليس في تعبير أو استعمال آخر. وقد ذكر ابن الأثير (–603 هـ) مثل هذا قديما حين قال : وليس كل الألفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض، ألا ترى أن لفظة «القصاص» لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها، ولما عُبِّر عنها بالقتل في قول العرب: «القتل أنفى للقتل»[26] ، ظهر الفرق بين ذلك وبين الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[27] ، وذكر أنّ الّذي أراده إنّما هو الكلام الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها[28]. وخلاصة القول أنه لو اعتمد في إثبات الترادف على طريقة قابلية الكلمات المترادفة للتبادل فيما بينها في السياقات اللغوية كلها، لأدركنا أن الترادف التام أو الكامل نادر جدا، والصحيح قيام كل من المترادفين مقام الآخر،

إذا كانا من لغة واحدة، فحيث لا يصح ذلك يكون دليلا على عدم الترادف[29] ، لذلك اشترط بعضهم قابلية التبادل فيما بين المترادفات في أي سياق، وهذا وإن كان نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، ونوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر، فمعظم المترادفات ليست إلا أنصاف مترادفات، لا يمكن استعمالها في السياق الواحد أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينها، وفي الأخير سوف يتأكد لنا أن هذه الألفاظ لا يمكن التبادل بينها إلا في حدود ضيقة فقط.

والاستبدال عند الباقلاني (–403 هـ) يؤدي إلى تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام أو ذهاب الرونق ويكون معه سقوط البلاغة، معللا ذلك بأن في الكلام ألفاظ متقاربة في المعاني، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كـ «العلم والمعرفة» و«الحمد والشكر» ... لأن لكل لفظة منها خصيصة تتميز بها من صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها[30].

إشكالية الترادف في أسماء الله الحسنى:

لقد تضمن القرآن ذكر الأسماء والصفات الإلهية التي أراد من عباده أن يعرفوها ويدعوه بها، ووجود الكثير من الأسماء الحسنى التي تتقارب معانيها مثل "الرحمن، الرحيم"، "الرحمن، الرؤوف"، "العفو، الغفور"، يدعو إلى عدة تساؤلات: هل هذه الأسماء مترادفة؟ وهل يصح أن يحل اسم ما محل اسم آخر يقاربه في المعنى؟ ولماذا يختار السياق اسما دون اسم آخر؟ لذلك كان لزاما أن نتطرق لهذه الجزئية ونحاول دراسة ما ينطبق على أسماء الله من إثبات للترادف أو نفيه.

يستدل الله سبحانه بأسمائه على توحيده ونفي الشرك عنه، ولو كانت أسماء لا معنى لها لم تدل على ذلك كقول هارون لعبدة العجل: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾[31]، وقوله سبحانه في نفس القصة: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[32]. وقوله سبحانه في آخر سورة الحشر: ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الـمَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ الـمُؤْمِنُ الـمُهَيْمِنُ العَزِيزُ الـجَبَّارُ الـمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[33] فسبح، أي : نزه نفسه عن شرك المشركين به عقب تمدحه بأسمائه الحسنى المقتضية لتوحيده واستحالة إثبات الشريك له.

وأيضا فإن الله تعالى يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف والجار والمجرور وغيرهما ولو كانت أعلاما محضة لم يصح فيها ذلك كقوله: ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[34] وقوله: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[35] ، ﴿ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[36] ، ﴿ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[37] ، ﴿ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾[38] ونظائره كثيرة.

وأيضا فإنه سبحانه يجعل أسماءه دليلا على ما ينكره الجاحدون من صفات كماله كقوله تعالى: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾[39].

اختلف النظار من أهل العلم في الأسماء الحسنى أهي متباينة نظرا إلى تباين معانيها؟ وأن كل اسم يدل على غير ما يدل عليه الآخر أم هي مترادفة لأنها تدل على ذات واحدة فمدلولها لا تعدد فيه وهذا شأن المترادفات والنزاع لفظي في ذلك.

والتحقيق أن يقال هي مترادفة بالنظر إلى الذات، متباينة بالنظر إلى الصفات، وكل اسم منها يدل على الذات الموصوفة بتلك الصفة بالمطابقة وعلى أحدهما وحده بالتضمن وعلى الصفة الأخرى بالالتزام[40]. يقول ابن تيمية (–728 هـ): « والإنصاف أنها –أي الأسماء المترادفة– متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات فهي قسم آخر قد تسمى المتكافئة،

وأسماء الله الحسنى وأسماء رسوله وكتابه من هذا النوع فإنك إذا قلت: أن الله عزيز حكيم، غفور رحيم، عليم قدير، فكلها دالة على الموصوف بهذه الصفات سبحانه وتعالى، كل اسم يدل على صفة تخصه، فهذا يدل على العزة، وهذا يدل على الحكمة، وهذا يدل على المغفرة، وهذا يدل على الرحمة، وهذا يدل على العلم، وهذا يدل على القدرة»[41]. ويؤكد أبوحامد الغزالي (-505 هـ) هذا من خلال حديثه عن الأسامي المتقاربة المعنى وهل يجوز أن تكون مترادفة لا تدل إلا على معنى واحد، أو لا بد أن تختلف مفهوماتها: « الخائضون في شرح هذه الأسامي لم يتعرضوا لهذا الأمر، ولم يبعدوا أن يكون اسمان لا يدلان إلا على معنى واحد كالكبير والعظيم، والقادر والمقتدر، والخالق والبارئ والمصور، وهذا مما أستبعده غاية الاستبعاد مهما كان الاسمان من جملة التسعة والتسعين ؛ لأن الاسم لا يراد لحروفه بل لمعانيه، والأسامي المترادفة لا يختلف إلا حروفها، وإنما فضيلة هذه الأسامي لما تحتها من المعاني فإذا خلت عن المعنى لم يبق إلا الألفاظ، والمعنى إذا دل عليه بألف اسم لم يكن له فضل على المعنى الذي يدل عليه باسم واحد، فيبعد أن يكمل هذا العدد المحصور بتكرير الألفاظ على معنى واحد بل الأشبه أن يكون تحت كل لفظ خصوص معنى فإذا رأينا لفظين متقاربين فلا بد فيهما من أحد أمرين:

أحدهما. أن تتبين أن أحدهما خارج عن التسعة والتسعين. **والثاني** أن نتكلف إظهار مزية لأحد اللفظين على الآخر ببيان اشتماله على دلالة لا يدل عليها الآخر، مثاله: الغافر والغفور والغفار فهذه ثلاثة أسام فالغافر يدل على أصل المغفرة فقط، والغفور يدل على كثرة المغفرة بالإضافة إلى كثرة الذنوب حتى إن من لا يغفر إلا نوعا واحدا من الذنوب قد لا يقال له غفور، والغفار يشير إلى كثرة على سبيل التكرار أي يغفر الذنوب مرة بعد أخرى حتى إن من يغفر جميع الذنوب ولكن أول مرة ولا يغفر العائد إلى الذنب مرة بعد أخرى لم يستحق اسم الغفار.

وكذلك الغني والملك، فإن الغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء، والملك أيضا هو الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء، فيكون الملك مفيدا معنى الغنى وزيادة، وكذلك العليم والخبير فإن العليم يدل على العلم فقط والخبير يدل على علمه بالأمور الباطنة، وهذا القدر من التفاوت يخرج الأسامي عن أن تكون مترادفة، فإن عجزنا في بعض هذه الأسامي المتقاربة عن هذين المسلكين فينبغي أن نعتقد تفاوتا بين معنى اللفظين وإن عجزنا عن التنصيص على خصوص ما به الافتراق كالعظيم والكبير مثلا فإنه يصعب علينا أن نذكر وجه الفرق بين معنييهما في حق الله تعالى ولكنا لا نشك في أصل الافتراق(42).

ثم إن من مظاهر إعجاز القرآن الكريم أن الكلمة فيه تقع موقعها اللائق بها، فلا يمكن استبدالها بكلمة أخرى، وإلا أدى ذلك إلى اضطراب في الكلام، وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن القرآن في أعلى طبقات البلاغة، وعمود البلاغة كما يقول الزركشي (-794 هـ): « هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا بُدّل مكانه غيره جاء منه: إما تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك، ولأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها»(43).

والحديث عن اختيار الكلمة القرآنية ملاحظ بوضوح في كلام العلماء حيث يرون أن القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة، فالأمير الخفاجي (-466 هـ) يجعل اختيار الكلمة نفسها دعامة من دعامات الفصاحة(44). ويقول القاضي ابن عطية (-546 هـ): « إن كتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، ونحن يتبيّن لنا البراعة في

أكثره، ويخفى علينا وجهه في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذوق، وجودة القريحة»[45].

قال أبو هلال العسكري (–395 هـ): « كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي. خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه »[46] ، وقال ابن تيمية (–728 هـ): « فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقلّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب إعجاز القرآن »[47].

نفي الترادف عن الأسماء الحسنى:

لكل لفظ في اللغة العربية معنى خاص به يميّزه عن غيره من الألفاظ، فهناك فروق بين الكلمات، هذه الفروق هي التي جعلت لكل كلمة موقعها الذي لا يناسبه غيرها، وهذا ما يؤدي إلى نفي الترادف، وقد تحدث عن هذا العلماء قديماً وحديثاً، وبينوا أن غياب تلك الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة أدى إلى عدها مترادفة، لكن كتّاب العربية في العصور الزاهرة يحرصون على دقة التعبير ووضع الألفاظ في مواضعها تأسيا بالقرآن الكريم: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) ﴾[48] ولا يَكون مُبِينا إلا باختيار اللفظ المناسب الذي لا يحمل أي لبس مع غيره من الألفاظ، ونحن اليوم بحاجة للتحرر من آفات عصور الانحطاط في ميدان اللغة، والعودة إلى خصائص العربية في استعمال اللفظ المناسب، وكل في موضعه اللائق به، ومكانه المناسب له. وإذا نفينا الترادف في اللغة العربية فإن نفيه في القرآن آكد كما أشار إلى ذلك ابن تيمية (–728 هـ) في مجموع الفتاوى[49] ، والمقصود هو أنه لا يمكن أن يكون معنى الكلمة هو عين معنى الأخرى بدون زيادة، قد يرد أن معنى الكلمة هو عين معنى الأخرى تقريراً أو إيضاحاً، لكن هذا لا

يمنع أن يكون لها في نفسها معنى تستقل به، وعلى هذا، فلا يقال مثلاً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[50] إن (عفو) و(غفور) بمعنى واحد، فجاء اسم (الغفور) لتوكيد (العفو) دون زيادة معنى، فلا بد من زيادة فائدة. قال أبو السعود (-982 هـ) تعقيبا على هذه الآية في سياق الحديث عن رخصة التيمم: « تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن مَن عادته المستمرة أن يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد أن يكون ميسرا لا معسرا، وقيل هو كناية عنهما فإن الترفيه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران »[51].

إن المدقق بعمق في أسماء الله الحسنى ودلالتها على معاني الكمال يجد أنه لا يوجد اسمان يتطابقان دلاليا سواء جاء الاختلاف من المعنى المعجمي للاسم حيث يختلف الاسمان في الجذر ويتقارب معناهما فيُظن ترادفهما، أو جاء الاختلاف من المعنى الصرفي حين يتفق الاسمان في الجذر فيُظن تكرارهما[52].

فمن النوع الأول -الاختلاف من المعنى المعجمي- التمييز الدلالي بين اسم الله الحميد واسمه الشكور، فكلاهما اسمان لله عز وجل مختلفان في الجذر متقاربان في المعنى لكن لا يتطابقان، وقد جمع النبي ﷺ بين الحمد والشكر في موضع واحد بأداة العطف، والأصل في العطف اقتضاء المغايرة كما ورد عند أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « عجِبتُ للمؤمنِ إنْ أصابهُ خير حمِد الله وشكرَ، وإنْ أصابته مصيبةٌ حمد الله وصبر »[53] ، قال أبو هلال العسكري (-395 هـ): «يعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ»[54].

وقد ذكر في الفرق بينهما: أن الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم ولا يصح إلا على النعمة، أما الحمد فهو الذكر الجميل على جهة التعظيم ويصح على النعمة وغير النعمة[55].

والشكور هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيما في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال إنه شكر تلك الحسنة ومن أثنى على المحسن أيضا يقال إنه شكر فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله عز وجل لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة فإن نعيم الجنة لا آخر له، هو المحمود المثنى عليه والله عز وجل هو الحميد بحمده لنفسه أزلا وبحمد عباده له أبدا ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا إلى ذكر الذاكرين له فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال(56). إذا فالشكور متعلق بأفعاله سبحانه وتعالى اتجاه عباده، أما الحميد فمتعلق بصفات الكمال والجلال التي يتصف بها سبحانه.

وأما النوع الثاني وهو مجيء الاختلاف من المعنى الصرفي، فإنما يتلمس حين يتفق الاسمان في الجذر ويختلفان في الوزن؛ فينفي احتمال الترادف بينهما أو ثبات المعنى للاسم ذاته اختلاف معنى الصيغة في كل اسم، واشتقاقه من فعلين يختلفان في التجرد والزيادة.

مثل ما نتج عن اختلاف الوزن عن طريق اشتقاق الاسم من فعلين مزيدين يختلفان في نوع الزيادة مما جعل كلا منهما يكتسب معناه الصرفي من معنى فعله المزيد، كالقادر والقدير والمقتدر من فعل وافتعل، قدر واقتدر، فالمقتدر سبحانه هو الذي يقدِّر الأشياء بعلمه وينفذها بقدرته، فالمقتدر يجمع دلالة اسم الله القادر والقدير معا، واسم الله القادر هو الذي يقدر المقادير في علمه، وعلمه المرتبة الأولى من قضائه وقدره، والله سبحانه وتعالى قدر كل شيء قبل تصنيعه وتكوينه، ونظم أمور الخلق قبل إيجاده وإمداده، فالقادر يدل على التقدير في المرتبة الأولى، والقدير يدل على القدرة وتنفيذ المقدر في المرتبة الرابعة من مراتب القدر، فالقدير هو الذي يخلق وفق سابق التقدير، والقدر بدايته في التقدير ونهايته في القدرة وتحقيق المقدر، أما المقتدر فيجمع وسطية الدلالة مع المبالغة وهذا ما دل عليه معناه في اللغة، حيث جمع في دلالته بين اسم الله القادر والقدير معا فهو أبلغ منهما في الدلالة والوصف(57) ، ويفرق أبو حامد

الغزالي بين القادر والمقتدر فيرى أن أحدهما أكثر مبالغة: « معناهما ذو القدرة لكن المقتدر أكثر مبالغة من القادر والقدرة عبارة عن المعنى الذي به يوجد الشيء متقدرا بتقدير الإرادة والعلم واقعا على وفقهما والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وليس من شرطه أن يشاء لا محالة... والقادر المطلق هو الذي يخترع كل موجود اختراعا يتفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره وهو الله تعالى»(58).

أما بين المقتدر والقدير، فإن القدير صيغة مبالغة فعيل من القادر وقد كثر ورودها في القرآن للتعبير عن القدرة على كل شيء، فقال سبحانه في أكثر من موضع: ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(59) فحين أن المقتدر لم يرد إلا مرة واحدة معبرا عن القدرة عن كل شيء: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾(60)، فالقدير التّامّ القدرة لا يلابس قدرتُه عجز بوجه، وهو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضيه الحكمة ومن تمام قدرته أن يوجد الخلاق من غير معالجة، فإذا أردا شيئا أن يقول كن فيكون(61).

وكذلك ورد من أسماء الله تعالى ما هو مأخوذ من فِعْل على وزن تفاعل وله نظير من الجذر الثلاثي المجرد وهو العلي والأعلى والمتعال، فالعلي الذي يتصف بعلو الفوقية، والأعلى الذي يتصف بعلو الشأن، أما المتعال فهو الذي يتصف بعلو الشأن على سبيل المبالغة والإطلاق.

وأيضا ورد من أسماء الله ما هو مأخوذ من فِعْلٍ على وزن تفعَّل وله نظير من الفعل الثلاثي المجرد وهما الكبير والمتكبر، ذكر البيهقي أن التاء في المتكبر هي تاء التفرد والتخصيص بالكبر لا تاء التعاطي والتكلف(62).

ومن التنوع الدلالي لأسماء الله الحسنى أيضا الفرق بين معاني الصيغ داخل المشتق الواحد، حيث يثير تعدد الصيغ في كل من الصفة المشبهة وصيغ المبالغة سؤالا هاما وهو: هل معانيها كلها واحدة أو هناك فروق بينها؟

إن الحديث عن نفي الترادف يستلزم في حال اتحاد المعنى المعجمي عدم الاتحاد في المعنى الصرفي أو معنى الصيغة، ويؤكد هذا الاتجاه تنوع الاستعمال القرآني وعدم استخدامه وزنا معينا من أوزان النوع الواحد تبعا للمعنى المراد إبرازه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(63)، مع قوله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ ﴾(64) ، فماذا يمكن أن يلحظ من فروق بين أوزان الصفة المشبهة؟ أو بين أوزان صيغ المبالغة؟

على الرغم من دقة الإجابة عن هذا السؤال إلا أنه يمكن تلمس هذه الفروق فبالنسبة للصفة المشبهة فالملحظ الأساسي عنها أن اختلاف أوزانها يعكس تفاوتا في درجة دلالتها على الثبوت والدوام من ناحية، كما يعكس اختلاف الدلالة الصرفية لأفعالها من ناحية أخرى، فوزن فعلان على سبيل المثال يفيد ثبوت الصفة ولكن بشكل أقل، ولكن لا يبلغ في تجدده ووقوعه مبلغ اسم الفاعل، لأن زواله بطيء مثل شبعان وظمآن وغضبان وريان، ولكنه يعوض هذا بدلالته على معنى الامتلاء أو ضده، وهذا بخلاف وزن فعيل الذي يفيد ثبوت الصفة بقدر كبير من الدوام والاستمرار نحو طويل وقصير ودميم وعقيم، أو على وجه قريب من ذلك نحو نحيف وسمين، أما وزن فَعِل فيرتبط عادة بالصفات الداخلية تبعا لفعله، مثل فرح وطرب وقلق.

وأما بالنسبة لصيغ المبالغة فعلى الرغم من دلالتها جميعا على كثرة المعنى كمًّا وكيْفا من ناحية واشتقاقها من الأفعال المتعدية عادة من ناحية أخرى؛ فإنه يفرق بينها لغويا عدة أشياء، منها اختلافها في درجة القوة تبعا لاختلاف أبنيتها على حد قولهم: «إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى»، فوزن فعَّال مثلا أو فَعُّول أو فُعُّول أدل على المبالغة من فَعُول أو فعيل وهما أدل على

المبالغة من فعِل، ومنها تميز وزن فعَّال بارتباطه بمعنى التكرار والوقوع وقتا بعد وقت، ومنها تميز وزن فعيل بكثرة استخدامه للمبالغة في الصفات الدالة على الثبوت، فعليم يدل على أنه لكثرة علمه وتبحره فيه أصبح له طبيعة ثابتة وسجية ملازمة(65)، قال أبو هلال العسكري (- 395 هـ): « إذا كان الرجل قويا على الفعل قيل فَعول مثل صبور وشكور، وإذا فعل الفعل وقتا بعد وقت قيل فعّال مثل علاّم وصبّار، وإذا كان عادة له قيل مفعال مثل معوان ومعطاء.. ومن لا يتحقق المعاني يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط، وليس الأمر كذلك، بل هي مع إفادتها المبالغة تفيد المعاني التي ذكرناها»(66).

ومما يؤكد التباين في الدلالة بين أسماء الله الحسنى، ما نجده في كثير من الفواصل القرآنية من الأسماء المزدوجة حيث ورد الكثير منها مقترنا بغيره خاصة في أواخر الآيات، كقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾(67)، والمتأمل فيها يجد أن بعض هذا الاقتران يجمع بين اسمين ظاهرهما الترادف، لكن الحقيقة غير ذلك، ولوكان مترادفين لما صح اقترانهما وإلا لكان ذلك ضرب من التكرار الذي ينزه القرآن عن مثله.

بالإضافة إلى أن هذا الازدواج قد يؤدي معنى غير الذي يؤديه الاسمان منفردان حيث اعتبر بعض العلماء هذه الأسماء المزدوجة دالة على صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد والعزيز الحكيم(68).

وللعلماء أقوال كثيرة في تعليل الاقتران بين الأسماء المزدوجة:

– فقد يؤتى بالاسمين مقترنين، ويكون أحدهما أشد مبالغة من الآخر في المعنى كما هو الحال في (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم، فبناء فعلان ليس كفعيل فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك رجل غضبان للرجل الممتلئ غضبا وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول(69).

– أو يكون أحدهما متعلقا بخَلق دون خلق، فاسم الرحمن لجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾(70) وقال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾(71) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته وقال: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾(72) فخص المؤمنين باسمه الرحيم.

– أو أن يكون أحد أسمائه خاصا به لا ينبغي لأحد من خلقه أن يتسمى به ثم يقترن هذا الاسم بغيره من الأسماء التي يمكن أن تصلح صفة للخلق، فاسمه الرحمن خاص به لم يسم به غيره على خلاف اسمه الرحيم، لهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم لأن التسمية أولا إنما تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص، أما الاسم الثاني فقد قال تعالى وصفا لنبيه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(73) كما وصف بعض خلقه باسم من أسمائه مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(74). وسبب الجمع بينهما في سياق واحد ما روي عن عطاء الخراساني (–155 هـ) ما معناه أنه لما تسمى غيره بالرحمن – ظلما وعلوا– جيء بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير (–310 هـ) (75).

– أو أن يذكر الاسم الأول ليدل على معنى عام ثم يردفه بالاسم الثاني كالتتمة ليتناول ما دقّ من معناه ولطف(76). الاسم قد يكون اسما للماهية من حيث هي هي وقد يكون اسما مشتقا وهو الاسم الدال على كون الشيء موصوفا بصفة ما كالعالم والقادر، والأظهر أن أسماء

الماهيات سابقة بالرتبة على المشتقات لأن الماهيات مفردات والمشتقات مركبات والمفرد قبل المركب.

يشبه أن تكون أسماء الصفات سابقة بالرتبة على أسماء الذوات القائمة بأنفسها ؛ لأنا لا نعرف الذوات إلا بواسطة الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف والسبق في المعرفة يناسب السبق في الذكر(77).

وأخيرا يمكن القول: إن تفسير المفردة القرآنية لا ينبغي أن يغفل الفوارق الدلالية بين المترادفات، وأن تستغل الفوارق اللغوية بينها ويرتقى بها إلى الفوارق السياقية وطرق تصوير المعاني المتباينة حسب حاجة السياق، فالبحث في الفوارق بين المترادفات ينبغي ألا يقتصر على الفوارق اللغوية فقط بل عليه أن يتعدى إلى البحث البلاغي القائم على موافقة الكلام للمقتضى السياقي.

الـهوامش:

1 مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، تح: أنور الباز–عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426 هـ، ج13 ص341

2 سورة البقرة (02 : 02)

3 سورة الإسراء (17 : 09)

4 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج13 ص343

5 المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ– 1998م، ج1 ص319

6 الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، ج4 ص229

7 البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، ط1، 1414هـ، ج2 ص360

8 المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ج1ص319

9 الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن الآمدي، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت–لبنان، ج1ص23

10 روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ، ص54

11 المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ، ج2 ص18

12 التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1، 1403هـ، ص56، 199

13 سورة البقرة (02 : 196)

14 لسان العرب، ابن منظور، ج11 ص598 (كمل)

15 الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، جمال الدين الطائي الجياني، تح: د. محمد حسن عواد، دار الجيل–بيروت، ط1، 1411هـ، ص147

16 سورة المائدة (05 : 03)

17 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي، تح: على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية . بيروت، 1415 هـ، ج5 ص337

18 البرهان في علو م القرآن، بدر الدين الزركشي، ج4 ص84 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي، ج9 ص148

19 البرهان في علو م القرآن، بدر الدين الزركشي، ج2 ص476

20 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، ج1 ص58

21 ديوان الحطيئة، قافية الدال، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط2: 1426 هـ، ص39

22 سورة الأنعام (06 : 26)

23 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تح: أنور الباز– عامر الجزار، دار الوفاء، ط3 1426 هـ، ج7 ص177–178

24 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تح: أنور الباز– عامر الجزار، ج6 ص62–63

25 الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف، ص236

26 مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج01 ص105
27 سورة البقرة (02 : 179)
28 المثل السائر، ابن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت: 1420 هـ، ج2ص277
29 الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، تح: حسن موسى الشاعر، دار البشير–عمان، ط1، 1410هـ، ص81–82
30 إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط5: 1997م، ص16
31 سورة طه (20 : بعض الآية 90)
32 سورة طه (20 : 98)
33 سورة الحشر (59 : 22–23)
34 سورة الحجرات (49 : بعض الآية 16)
35 سورة الأحزاب (33 : 43)
36 سورة آل عمران (03 : بعض الآية 189)
37 سورة الكهف (18 : بعض الآية 45)
38 سورة الشورى (42 : بعض الآية 27)
39 سورة الملك (67: 14)
40 جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، تح: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، ط2: 1407 هـ، ج1 ص176–177
41 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج20ص424
42 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ط1: 1407 هـ ، ص40–41
43 البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2ص104–105
44 سر الفصاحة، الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ، ط1، ص84
45 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ– 1993م، ط1، ج1ص52

46 الفروق اللغوية، الإمام الأديب اللغوي أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص22

47 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج13ص341

48 سورة الشعراء (26 : 193-195)

49 مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج13ص341

50 سورة النساء (04: بعض الآية 43)

51 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج2ص181

52 أسما الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، د. محمود عبد الرازق الرضواني، ص108-109

53 مسند الإمام أحمد، ج1ص173 (ح/1492)، مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985، ط3، ج1ص543

54 الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص22

55 معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص301

56 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تح:بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ط1: 1407 هـ، ص 105، 130

57 أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، محمود عبد الرازق الرضواني، ص393

58 المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، بسام عبد الوهاب الجابي، ص 134

59 سورة البقرة (02 : 20)

60 سورة الكهف (18 : 45)

61 أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به، عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004م، ص237

62 الأسماء والصفات، أبوبكر البيهقي، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1: 1413هـ، ج1ص132

63 سورة البقرة (02: بعض الآية 173)

64 سورة ص (38: 66)

65 أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، د. محمود عبد الرازق الرضواني، ص110-111

66 الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص26

67 سورة الفاتحة (01 : 1–2)

68 بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1 ص283

69 تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2: 1420 هـ، ج1 ص21

70 سورة الفرقان (25 : بعض الآية 59)

71 سورة طه (20 : 05)

72 سورة الأحزاب (33 : بعض الآية 43)

73 سورة التوبة (09 : 128)

74 سورة الإنسان (76 : 02)

75 تفسير ابن كثير ج1 ص22

76 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3: 1407هـ، ج1 ص51

77 التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 : 1420هـ، ج1 ص97

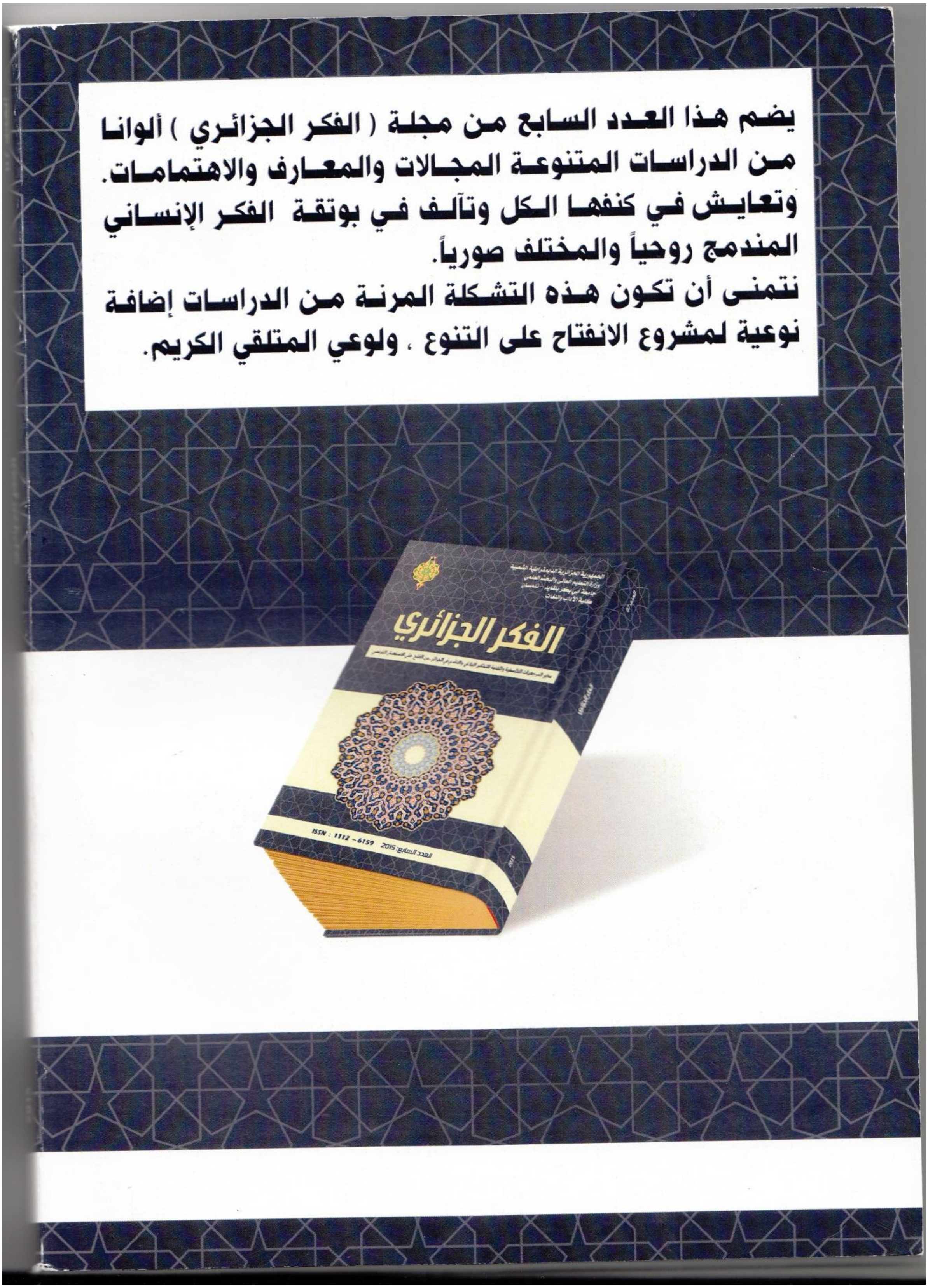
يضم هذا العدد السابع من مجلة (الفكر الجزائري) ألوانا من الدراسات المتنوعة المجالات والمعارف والاهتمامات.
وتعايش في كنفها الكل وتآلف في بوتقة الفكر الإنساني المندمج روحياً والمختلف صورياً.
نتمنى أن تكون هذه التشكلة المرنة من الدراسات إضافة نوعية لمشروع الانفتاح على التنوع ، ولوعي المتلقي الكريم.
الفكر الجزائري
ISSN : 1112 - 6159
العدد السابع: 2015

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجلفـــــــة

جامعة الجلفة 1990 U D Université de Djelfa

مقاربات

مجلة دولية أدبية، علمية، ثقافية، محكمة

العدد الرابع عشر - 2015

الترقيم الدولي المعياري للمجلة (ر.د.م.د)

I.S.S.N 2335-1756

رقم الإيداع القانوني لدى المكتبة الوطنية الجزائرية : 4949-2013

فهرس الموضوعات

أ.لويزة مسعودي .... جامعة باتنة

تحديات التعلـيم الالكتروني في التعليم العالي دراسة استكشافية لأساتذة جامعة باتنة.......... 01

بن جيلالي معاشو .... جامعة سيدي بلعباس

رمز الماء و دلالته في شعر أبي تـمّام.................................. 14

د.بن عطية كمال........................ جامعة الجلفة

المقاربة السيميائية لعتبات الخطاب الروائي (ريح الجنوب/نهاية الأمس) لعبد الحميد بن هدوقة.. 26

د. بوزار حبيبة........................ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الفــن والهوية وتحديات العــولمة.................................. 48

د. بوزيد ساسي هادف .... جامعة قالمة

أسس المنهج المعياري عند فقهاء العربية في القرن الرابع الهجــري.................. 56

أ.شهرزاد بوعالية .... جامعة عنابة

د.عمر بلهواش .... جامعة عنابة

الخدمة الإرشادية و بناء المشروع الدراسي المهني"مجال تنمية المــيول"................ 76

أ.بوعلام رزيق .... جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج

الانسجام الصوتي في نونية أبي البقاء الرندي.......................... 91

أ.بوعلام قرمال........................ جامعة جيلالي بونعامة – خميس مليانة

الولاية على مال القاصر بين الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري 102

خديجة مداني........................ جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

تجليات شخصية المرأة في الرواية الجزائرية."غدا يوم جديد"أنموذجاً.................. 117

أ.زالة أحمد........................ جامعة الحاج لخضر باتنة

مستويات البناء اللغوي و التربوي عند محمد البشير الإبراهيمي 130

د.عمار رجال .... جامعة باجي مختار عنابة

عبد الكريم برشيد والمسرح الاحتفالي.................................. 150

أ.سمية فالق........................ جامعة خنشلة

جماليات المكان ودلالته في الأغنية الشعبية الثورية.......................... 160

د.شميسة غربي .... جامعة سيدي بلعباس

النثر الجزائري القديم –دراسة في المعنى والمبنى–.......................... 168

أ.صليحة بردي .... جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

مساءلة الهوية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية قراءة في تصور مالك حداد........ 177

الطالب:عبد القادر ضحاك........................جامعة:أحمد بن بلة– وهران– 01.
أدبية دلالة الخطاب الإبداعي. 190
أ.عبد الحميد معيفي...........................جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي
البنى الأسلوبية في قصيدة " الحرية " للشاعر الجزائري " رمضان حمودة.............. 196
د. عبد العليم بوفاتح ....جامعة الأغواط
القصيدة الجزائرية المعاصرة. بناؤها وروافدها.. 205
د. عبد اللطيف حني..جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
تجليات المديح النبوي في القصيدة الشعبية الجزائرية ديوان الشيخ عبد القادر بطبجي.......... 226
الباحث : عبدالله توام...............................جامعة أحمد بن بلة – السانيا – وهران 01
سيميائية العنوان في الخطاب الروائي 240
أ. عزوز فوزية.............................جامعة محمد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج–
الحكاية الشعبية بين المرجعيات الموروثة و المناهج الحديثة " حكاية الذئب والقنفذ أنموذجا "... 247
د. عمر بوقمرة.....................................جامعة حسيبة بن بوعلي لشلف
المشروع الحجاجي عند عبد الله صولة قراءة في كتاب:"الحجاج في القرآن الكريم"............ 259
أ. بوهند محمد ....جامعة أبوبكر بلقايد –تلمسان–
الأغراض البلاغية لأسماء الله الحسنى.. 268
د. غزيل بلقاسم..جامعة غرداية
ألفاظ الكناية في باب العدد وأحكامها النحوية والصرفية من خلال المنظومة الألفية............ 283
الباحث محمد بلعباسي...................................جامعة أحمد بن بلة – وهران 01–
الآليات البلاغية في تشكيل شعرية لغة الشعر.. 300
د. محمد دويس ....المركز الجامعي النعامة
التجديد في النحو بين ابن مضاء و إبراهيم مصطفى 306
د. مصطفى غربي ....جامعة سيدي بلعباس
الدرس الدلالي : قضايا ومسارات.. 336
أ. مداني أحمد ....جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
نظرية اللغة بين منظور التراث و الدراسات الحديثة –مقاربة ايبستيمولوجية لسانية –........ 344
أ. أوباح حاج ....جامعة الجلفة
الإشارات النصية في التراث النحوي العربي 360
د. مليكة ناعيم ....جامعة القروين مراكش
عتبة السؤال في كتاب حركية البديع من التحسين الى التكوين للدكتور سعيد العوادي........ 366

أ. نعيمة بوسكين.........................جامعة باجي مختار – عنابة

قراءة في سيميائية شخصية البطل في رواية "شرفات بحر الشمال" لـ "واسيني الأعرج"........ 377

أ.ياسين عبد القادر بوخلخال.........................جامعة وهران

قراءات حول الخطاب الديني الاسلامي وتصنيفاته 398

أ.عبد القادر حوة.........................جامعة زيان عاشور – الجلفة

المبادئ والأسس التي يرتكز عليها التأمين التكافلي وأهدافه........................ 405

أ. حليفاوي جمال.........................جامعة الجزائر "3"

مُحَاسَبَةُ رَأسِ المَالِ الفِكرِيّ:صُعُوبَاتُ القِيَاسِ ومُتَطَلَّبَاتُ الإفصَاحِ 421

أ.د.سهام معاش.........................جامعة باتنة

أ.ليلى بوحديد.........................جامعة باتنة

معوقات البحث العلمي ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي...... 442

د.جويلد محمد الأمين.........................جامعة الجلفة

أ.ميرة كربوعة.........................جامعة الجلفة

مقاربة عامة حول سوسيولوجية الرواية 451

أ.عبد الله صحراوي.........................جامعة سطيف 2

ستة سيجما (σ6) المدخل الرياضي لجودة الأبحاث والتصميمات الأرغنومية 461

Prof. karima Berni.........................Université Tahri Mohamed - Bechar

483 Droit pénal et droit des affaires........................

الأغراض البلاغية لأسماء الله الحسنى

أ. بوهند محمد
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان-

تقتضي دراسة العلاقة بين الاسم والسياق التطرق إلى أوجه التناسب المعنوي في التعقيبات القرآنية التي تأتي بأسماء الله تعالى وصفاته، ذلك أننا نلفي آيات الرحمة مختومة بأسماء الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة، والقدرة والحكمة، والعلم، والقهر، وهلم جرا، فهنالك تناسب دقيق، ورباط وثيق يجمع بين الآيات وما خُتمت به من أسماء أو صفات.

فالكشف عن السياق والوصول إليه مبني على الاجتهاد ودقة الاستنباط، وإدراكه مما تختلف فيه العقول، وذلك أنه مرتبة بعد إدراك المعنى العام، ويتطلب فهمه إشغالاً للذهن، ولذلك كانت دلالة السياق دلالة ذوقية، كما عبّر عنها الأصوليون[1].

قال ابن خلدون (-808 هـ) في منزلة إدراك الإعجاز في كلام الله تعالى: « وإنما يدرك بعض الشيء من الإعجاز من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من الإعجاز على قدر ذوقه، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مُبلّغه أعلى مقاماً في ذلك؛ لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأضحه[2]...»

ومما يدل على أن السياق يحتاج إلى دقة فهم ونظر ثاقب، ما تميز به ابن عباس ﵁ في فهم كتاب الله تعالى ببركة دعاء النبي ﷺ، ومن الشواهد على ذلك: ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للصحابة: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾[3]؟ قالوا: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إذا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، فقال لابن عباس: أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قال: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال: ما أَعْلَمُ منها إلاّ ما تَعْلَمُ[4].

قال ابن القيم (-751 هـ): « وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد، فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ودخول الناس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعلم أن سبب الاستغفار غيره، وهو حضور الأجل الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه ليلقى ربه طاهرا مطهرا من كل ذنب، ويدل

---

[1] إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبي الفتح، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2ص187
[2] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، 1984، ط5، ص552
[3] سورة النصر: 01
[4] صحيح البخاري، ج4ص1563 (ح/4043)

عليه أيضا قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[1] وهو ﷺ كان يسبح بحمده دائما، فعلم أن المأمور به من ذلك التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في هذا الدين أمر أكبر من ذلك المتقدم، وذلك مقدمة بين يدي انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه، ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره، وأخص من هذا وألطف ضمُّه إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرا زائدا على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به»[2].

ويختلف السياق القرآني عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق متداخلة فيما بينها. وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته، وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع:

- **النوع الأول:** سياق القرآن.
- **النوع الثاني:** سياق السورة.
- **النوع الثالث:** سياق النص أو المقطع أو الآيات.
- **النوع الرابع:** سياق الآية.

وهذه الأنواع الأربعة مؤتلفة ائتلافاً عجيباً فلا تجد بينها تعارضاً، بل إنما متكاملة تكاملاً، ينتج عنه معان متعددة وأغراض متنوعة، وهذا والله أعلم سرّ كون القرآن محتملا للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة.

نقل الإمام برهان الدين البقاعي (–885 هـ) عن الأستاذ أبي الحسن الحرالي (–637 هـ) في سياق حديثه عن تنزلات القرآن بحسب الأسماء: «اعلم أن خطاب الله يرد بيانه بحسب أسمائه ويجمعها جوامع أظهرُها ما ترى آياته وهو اسمه الملك وما يتفصل إليه من الأسماء القيمة لأمر الحكم والقضاء والجزاء نحو العزيز الحكيم الذي يختم به آيات الأحكام: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[3] ثم ما تسمع آياته من اسميه الرحمن الرحيم وما يتفصل من الأسماء من معنى الرحمة المنبئة عن الصفح والمغفرة الذي تختم به آيات الرحمة: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

---

[1] سورة النصر: 03

[2] إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، ج1ص353-354

[3] سورة المائدة: 38

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾»[1] فلكل تفصيل في مورد وجهي العدل والفضل أسماء يختص به بناؤها ولذلك قال ﷺ ما لم يختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة، ثم ما توجد آياته وجداناً في النفس وهي الربوبية وما ينتهي إليه معنى سواء أمرها من: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[2] وما يتفصل إليه من الأسماء الواردة في ختم الإحاطات نحو: ﴿الواسع العليم﴾، فمن تفطن لذلك استوضح من التفصيل الختم واستشرح من الختم التفصيل»[3].

وقد كان ذلك واضحاً عند العرب فاستعجم عند المتعربين إلا ما كان ظاهر الوضوح منه، ولتكرار الأسماء بالإظهار والإضمار بيان متين الإفهام في القرآن[4].

وتنقسم أسماء الله وصفاته على الجملة إلى ثلاثة أقسام: منها ما يرجع إلى الذات، ومنها ما يرجع إلى صفات الذات، ومنها ما يرجع إلى صفات الفعل. كما يمكن تقسيمها على التفصيل بالنظر إلى معانيها تسعة أقسام:

الأول. اسم يدل على الذات وهو قولنا «الله» وقد قيل أنه اسم الله الأعظم.

الثاني. أسماء تدل على الوحدانية كاسمه الواحد والصمد...

الثالث. أسماء تدل على الحياة كالحي والأول والآخر...

الرابع. أسماء تدل على اختراع المخلوقات وذلك أخص صفات الربوبية كالخالق والبارئ والمصور...

الخامس. أسماء تدل على القدرة كالقدير والقادر والقهار والقاهر...

السادس. أسماء تدل على الإدراك كالعليم والسميع والبصير...

السابع. أسماء تدل على العظمة والجلال كالعظيم والكبير والمتكبر والعلي والأعلى...

الثامن. أسماء تدل على الملك والتملك كالملك والمالك والغني...

التاسع. أسماء تدل على الرحمة كالرحمن الرحيم واللطيف والرؤوف والغفار والتواب والوهاب...

وتحقق أسماء الله تعالى وصفاته أغراضا دلالية تختلف باختلاف ترتيبها وتباين السياق الذي يتضمنها، هذه الدلالات يعجز الإنسان عن حصرها، والإحاطة بها لكننا سنحاول ذكر بعضها:

1. الثناء على الله وتعظيمه: أعظم غرض تساق من أجله الأسماء الحسنى هو الثناء على الله وتعظيمه وتمجيده، ولهذا لما قال العبد في الفاتحة: ﴿الرحمن الرحيم﴾ بعد الحمد، قال الله تعالى: «**أثنى عليّ عبدي**»، كما في حديث «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»[5].

---

[1] سورة الأحزاب: بعض الآية 73

[2] سورة الفاتحة: 02

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج3ص137

[4] المرجع السابق، ج1ص372-373

[5] صحيح مسلم، ج1ص296، (ح/395)، مسند الإمام أحمد، ج2ص241، (ح/7289)

والثناء على الله عامة ما يجيء مضافا إلى أسمائه الحسنى الظاهرة دون الضمير إلا أن يتقدم ذكر الاسم الظاهر فيجيء بعده المضمر وهذا نحو قول المصلي: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[1] وقوله في الركوع: «**سبحان ربي العظيم**» وفي السجود: «**سبحان ربي الأعلى**».

وفي هذا من السر أن تعليق الثناء بأسمائه الحسنى هو لما تضمنت معانيها من صفات الكمال ونعوت الجلال فأتى بالاسم الظاهر الدال على المعنى الذي يثنى به ولأجله عليه تعالى.

فأما الدعاء حيث وقع لا يكاد يجيء إلا مصدرا باسم الرب نحو قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾[2] وقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾[3] وقول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾[4]، وأما الثناء فحيث وقع فمصدر بالأسماء الحسنى وأعظم ما يصدر به اسم الله جل جلاله نحو: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[5] حيث جاء ونحو: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ﴾[6] وجاء: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾[7] ونحوه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[8] حيث وقعت ونحو: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[9]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[10] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾[11].[12]

2. **إعلام العباد أن كل الأمور صادرة عن الله تعالى :**

---

[1] سورة الفاتحة: 01-05
[2] سورة آل عمران: بعض الآية 147
[3] سورة الأعراف: بعض الآية 23
[4] سورة القصص: بعض الآية 16
[5] سورة الفاتحة: 02
[6] سورة الأنبياء: بعض الآية 22
[7] سورة الصافات: بعض الآية 180
[8] سورة الحشر: بعض الآية 01
[9] سورة الأعراف: 54
[10] سورة المؤمنون: بعض الآية 14
[11] سورة الفرقان: بعض الآية 01
[12] بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج2ص419-420

وهذا أمر في غاية الأهمية، يتعلق بجانب مهم في حياة العبد ألا وهو جانب العقيدة، إذ تفيد هذه الأسماء بأن كل الأمور جليلها وصغيرها ظاهرها وخفيها، سواء تعلقت بالكون أو بالإنسان أو بالحياة فهي صادرة عن الله تعالى، فلم توجد من غير موجد، ولم تأتِ على وجه الصدفة والاحتمال، وإنما هي راجعة إلى الله تعالى، منه جاءت، وبقدرته صنعت، وبحكمته رتبت. قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾[2]، قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[3]، وقال أيضا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[4].

3. **التمهيد للاسم بما يقتضيه:** ويُختار الاسم من الأسماء الحسنى دون غيره لأن السياق لا يقبل غيره، ولأن الصفة التي مُهدت بها الآية أو السورة تستدعي ذلك الاسم أو ذينك الاسمين المزدوجين، فالربوبية مثلا لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة لذلك أتبع صفة الرب بصفتي (الرحمن الرحيم) في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾[5] ترغيبًا في لزوم حمده، وهي تتضمن تثنية تفصيل ما شمله الحمد أصلاً[6].

[1] سورة النمل: 88
[2] سورة فاطر : 3
[3] سورة الأنعام : 06-73
[4] سورة الأعراف : 07-54
[5] سورة الفاتحة: 02-03
[6] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص14

– قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾[1]، لما كان السياق للمؤاخذة التي هي معالجة كل من المتناظرين لصاحبه بالأخذ كان الحلم أنسب الأشياء، لذلك ختم السياق بـ ﴿حليم﴾ لا يعاجلهم بالأخذ. والحلم احتمال الأعلى للأذى من الأدنى، وهو أيضاً رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم[2]. ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون الرحيم، لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى، فلذلك وصف الله نفسه بالحليم، لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة[3].

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾[4] ثم لما كان ذكر المؤاخذة قطعاً لقلوب الخائفين سكنها بقوله مظهراً موضع الإضمار إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه: ﴿والله﴾ أي مع ما له من العظمة ﴿غفور﴾ أي ستور لذنوب عباده إذا تابوا[5].

كما يمكن اكتشاف سر اختيار شكور بدل رحيم ليقترن باسمه الغفور، والداعي إلى ذلك هو سياق الآية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾[6]، إنا قد ارتكبنا من المساوئ ما لم ينفع معه شيء، قال نافياً لذلك على سبيل التأكيد مبيناً القول إلى الاسم الأعظم: ﴿إن الله﴾ أي الذي لا يتعاظمه شيء ﴿غفور﴾ لكل ذنب تاب منه صاحبه أو كان يقبل الغفران وإن لم يتب منه إن شاء، فلا يصدن أحداً سيئة عملها عن الإقبال على الحسنة. ولما كان إثبات الحسنة فضلاً عن الزياة عليها لا يصح إلا مع الغفران، ولا يمكن أن يكون مع المناقشة، فذكر ذلك الوصف الذي هو أساس الزيادة، أفادها –أي الزيادة– بقوله: ﴿شكور﴾ فهو يجزي بالحسنة أضعافها ويترك سائر حقوقه[7].

4. **الدلالة على التعليل:** قد تحمل الأسماء الحسنى معنى التعليل، وذلك كثير في القرآن الكريم، ومثاله، قوله تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ

[1] سورة البقرة: 225
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص426
[3] تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2ص384
[4] سورة البقرة: 226
[5] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص425
[6] سورة الشورى: 23
[7] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص625

﴿٣٤﴾[1] لما صاروا إلى كرامته بمغفرته ذنوبهم وشكره إحسانهم قالوا: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وفي هذا معنى التعليل أي بمغفرته وشكره وصلنا إلى دار كرامته فإنه غفر لنا السيئات وشكر لنا الحسنات[2]. ومثاله أيضا، تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه لكونه رحيم ودود، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا[3]، يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[4]، فقال: ﴿واستغفروا ربكم﴾ أي اطلبوا ستر المحسن إليكم، ثم علل ذلك مرغباً في الإقبال عليه بقوله: ﴿إن ربي﴾ أي المختص لي بما ترون من الإحسان ديناً ودنيا ﴿رحيم ودود﴾.[5]

5. **الدلالة على البشرى لعباده المؤمنين:** يختم الله في كثير من الأحيان آيات سياقها الفزع والقلق بأسماء تقتضي إزالة ذلك الشعور وحمل البشرى، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[6] ولما كان النصر وهم في القلة والضعف بحال عظيم وقوة عدوهم وكثرتهم أعظم مستبعداً قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ وأظهر موضع الإضمار تحقيقاً للبشرى بالإيماء إلى استحضار ما يدل عليه هذا الاسم الأعظم من صفات الجلال والإكرام ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ففي هذا الختم بشرى للمؤمنين بتقديرهم كما أن في الختم بالعلم بشرى بتعليمهم[7].

6. **الدلالة على التهديد والوعيد:** وقد تأتي الأسماء للدلالة على التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾[8] في إشارته إعلام بأن الطلاق لا بد له من ظاهر لفظ يقع مسموعاً، وفيه تهديد بما يقع في الأنفس والبواطن من المضارة والمضاجرة بين الأزواج في أمور لا تأخذها الأحكام، ولا يمكن

---

[1] سورة فاطر: 34
[2] جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، ج1ص175
[3] تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج12ص147
[4] سورة هود: 90
[5] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج3ص569
[6] سورة البقرة: 109
[7] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص220
[8] سورة البقرة: 227

أن يصل إلى علمها الحكام، فجعلهم أمناء على أنفسهم فيما بطن وظهر، ولذلك رأى العلماء أن الطلاق أمانة في أيدي الرجال كما أن العدد والاستبراء أمانة في أيدي النساء[1]. ونجد نظير هذا أيضا في قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾[2] وعيد للمبدل، لأن الله لا يخفى عليه شيء وإن تحيل الناس لإبطال الحقوق بوجوه الحيل وجاروا بأنواع الجور فالله سميع وصية الموصي ويعلم فعل المبدل، وإذا كان سميعاً عليماً فهو قادر فلا حائل بينه وبين مجازاة المبدل[3].

7. **الدلالة على التقرير أو الإنكار**: قد ترد أسماء الله في سياق الاستفهام الدال على التقرير أو الإنكار في الأفعال المنفية، مثاله قوله تعالى: ﴿۞مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾[4]، (على كل شيء قدير) على وجه الاستفهام المتضمن للإنكار والتقرير المشار فيه للتوعد والتهديد، فيخلق بقدرته من الأسباب ما يصير الشيء في وقت مصلحة وفي وقت آخر مفسدة لحكم ومصالح دبرها لتصرم هذا العالم[5].

8. **إقامة الاسم مقام الدليل على ما تقدم من أفعال الله**: كثيرا ما ترد أسماء الله الحسنى في سياق مبرهنة ومثبتة صدق ما يتقدمها، وأبرز ما تساق هذه الأسماء للبرهنة على توحيد الله وإلاهيته، من ذلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[6] أتبع سبحانه وتعالى بقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ دليلاً على قسطه ؛ لأنه لا يصح أبداً لذي العزة الكاملة والحكمة الشاملة أن يتصرف بجور، وعلى وحدانيته ؛ لأنه لا يصح التفرد بدون الوصفين وليسا على الإطلاق لأحد غيره أصلاً[7]. لما كان السياق للتوحيد الذي هو أصل الدين في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾[8]، لفت القول عن مظهر العظمة إلى أعظم منه وأبين فقال: ﴿إلا

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص427
[2] سورة البقرة: 181
[3] تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج2ص153
[4] سورة البقرة: 106
[5] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص217
[6] سورة آل عمران: 18
[7] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج2ص43-44
[8] سورة ص: 65

الله﴾ وللإحاطة عبر بالاسم العَلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى، وللتفرد قال مبرهناً على ذلك: ﴿الواحد﴾ أي بكل اعتبار فلا يمكن أن يكون له جزء أو يكون له شبيه محتاجاً مكافئاً ﴿القهار﴾ أي الذي يقهر غيره على ما يريد، وهذا برهان على أنه الإله وحده وأن آلهتهم بعيدة عن استحقاق الإلهية لتعددها وتكافئها بالمشابهة واحتياجها[1].

9. تحقيق الطمأنينة في نفس المكلف لإيمانه بحكمة المشرع : وهذه الحكمة تتجلى أكثر ما تتجلى في آيات التشريع، وذلك أن المكلف عندما يقف على الحكم ويجده مختوما باسم من أسمائه تعالى، تطمئن نفسه، وتحصل له السكينة والرضا، ليقينه بعدل الله المطلق، وحكمته التي تضع كل شيء في محله، من أمثلة ذلك آيات المواريث، وهي من القضايا الشائكة التي يكثر حولها النزاع والشقاق والخصام، فنجد أن الآيات الكريمة التي تحدثت عن الفرائض تختم بقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾[2]، فلا ريب أن من تأمل هذين الاسمين «العلم» و«الحكمة» وأدرك علاقتهما ومناسبتهما لما شرع قبلهما فسيشعر بالرضا والإيمان والراحة تملأ قلبه، ليقينه أن من شرع تلك التشريعات عليم بما يستحق كل وارث، وحكيم يعطي لكل وارث النصيب الذي يلائمه، وقِس على هذا المثال جميع آيات الأحكام المختومة بهذه الأسماء.

10. الدلالة على الترغيب بعد الترهيب: تأتي الأسماء الحسنى للدلالة على الترغيب بعد الترهيب، كقوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ بعد قوله ﴿رب العالمين﴾، قال القرطبي إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع كما قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4] قال: فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب[5]. وفي الختم بالرحمة أبداً في خواتم الآي إشعار بأن فضل الله في الدنيا والآخرة ابتداء فضل ليس في الحقيقة جزاء العمل فكما يرحم العبد طفلاً ابتداء يرحمه كهلاً انتهاء ويبتدئه برحمته في معاده كما ابتدأه رحمته في ابتدائه[6].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج6ص400

[2] سورة النساء : 04-بعض الآية 11

[3] سورة الحجر: 49-50

[4] بعض الآية: 167

[5] تفسير القرطبي، ج1ص139

[6] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج1ص408

11. أسماء وصفات أشكل وجه مناسبتها لما قبلها: هنالك بعض الآيات في القرآن خُتمت بأسماء وصفات لله تعالى وقد أشكل على بعض الدارسين وجه مناسبة تلك الأسماء لما قبلها حتى عدها البعض من مشكلات الفواصل، وهذه نماذج منها للتمثيل، وليس الغرض هنا هو الاستقصاء، فمن ذلك: قوله تعالى في سورة المائدة في قصة عيسى –عليه السلام– وقوله لربه: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1] فربما قيل: إن المناسب هنا هو: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، والواقع أن ما ذُكر في القرآن الكريم هو الأنسب لموضعه والملائم لسياقه، ولا يجمل بأي كلام آخر أن يحل محله، وذلك أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو العزيز، أي الغالب، والحكيم الذي يضع الشيء في محله، فإنه قد يغيب على بعض الضعفاء وجه الحكمة في هذا الباب، فبين لهم أن ما يفعله هو عين الحكمة، فهذا وجه، وهناك وجه آخر، هو أن المقام هنا ليس مقام استعطاف واسترحام، وإنما هو مقام غضب وانتقام ممن اتخذه إلها مع الله، فذكر العزة والحكمة في هذا الموضع أنسب من ذكر المغفرة والرحمة، ونظير هذا قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[2]، وفي سورة الممتحنة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾[3] وفي غافر: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾[4]، وفي النور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[5] .. فإنه بادئ الرأي يقتضي «تواب رحيم» لأن الرحمة مناسبة للتوبة، لكن عبَّر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته، وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة.

12. كثرة ورود الأسماء لا يعني أنها مكررة: لا يعني ورود أسماء الله تعالى في مناسبات كثيرة أنها مكررة، فقوله ثانياً ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ في سورة الفاتحة بعد قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ إشارة إلى

[1] سورة المائدة : 05-118
[2] سورة التوبة : 09-71
[3] سورة الممتحنة: 60-05
[4] سورة غافر: 40-08
[5] سورة النور: 24-10

الصفة مرة أخرى، ولا تظن أنه مكرر، فلا مكرر في القرآن، إذ حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة، وذكر الرحمة بعد ذكر ﴿العالمين﴾ وقبل ذكر ﴿العالمين﴾ وقبل ذكر ﴿مالك يوم الدين﴾ ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة ثم ذكر ما حاصله أن إحداهما ملتفت إلى خلق كل عالم من العالمين على أكمل أنواعه وأفضلها، وإيتائه كل ما احتاج إليه، والثانية ملتفت إلى ما بعده بالإشارة إلى الرحمة في المعاد يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد. قال: وشرح ذلك يطول والمقصود أنه لا مكرر في القرآن، وإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر فانظر إلى سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته[1]. والاقتصار على نعته تعالى بهما –أي الرحمن الرحيم– في التسمية لما أنه الأنسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والأوفق لمقاصده[2].

13. **اتباع الاسم باسم آخر في سياق آخر يكمل ما سيق من أجله،** خاصة إذا كان الاسمان متقاربين في المعنى، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾[3] ولما كان الرب الملك متقاربين في المفهوم، وكان الرب أقرب في المفهوم إلى اللطف والتربية، وكان الملك للقهر والاستيلاء وإظهار العدل ألزم، وكان الرب قد لا يكون ملكاً فلا يكون كامل التصرف، اقتضت البلاغة **تقديم الأول وإتباعه الثاني،** فقال تعالى: ﴿ملك الناس﴾ إشارة إلى أن له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان، وإليه المفزع وهو المستعان، والمستغاث والملجأ والمعاد.

ولما كان الملك قد لا يكون إلهاً، وكانت الإلهية خاصة لا تقبل شركاً أصلاً بخلاف غيرها، أنهي الأمر إليها وجعلت غاية البيان فقال: ﴿إله الناس﴾ إشارة إلى أنه كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك أحد، فكذلك هو واحده إلههم لا يشركه في إلهيته أحد، وهذه دائماً طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بتوحيدهم له في الربوبية والملك على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، فمن كان ربهم وملكهم فهم جديرون بأن لا يتألهوا سواه ولا يستعيذوا بغيره[4].

14. **الاقتران بين أسماء الرجاء وأسماء المخافة،** كقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[5] أن تتعدوا ما حد لكم فإنه مطلع على ما تسرون وما تعلنون ثم قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لولا مغفرته وحلمه لعنتم غاية العنت، فإنه سبحانه مطلع عليكم يعلم ما في قلوبكم ويعلم ما تعملون فإن وقعتم في شيء مما نهاكم عنه فبادروا إليه بالتوبة والاستغفار فإنه الغفور

[1] المرجع السابق، ج2ص707
[2] تفسير أبي السعود، ج1ص15
[3] سورة الناس: 01–03
[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج8ص612–613
[5] سورة البقرة: بعض الآية 235

الحليم. وهذه طريقة القرآن يقرن بين أسماء الرجاء وأسماء المخافة كقوله تعالى أيضا: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾[1].[2]

15. **تقديم الاسم على الآخر مخالفا للغالب في التقديم والتأخير**: وقد يتقدم الاسم على غيره لأن السياق يستلزم ذلك التقدم، مثاله تقدم الرحيم على الغفور وذلك في موضع واحد في أول سبأ وهو قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾[3] وقد علم أن الغالب تقدم الغفور على الرحيم، أما تقديم الرحيم على الغفور ففيه معنى عجيب يظهر لمن تأمل سياق أوصافه العلى وأسمائه الحسنى في أول السورة إلى قوله وهو الرحيم الغفور فإنه ابتدأ سبحانه السورة بحمده الذي هو أعم المعارف وأوسع العلوم وهو متضمن لجميع صفات كماله ونعوت جلاله مستلزم لها كما هو متضمن لحكمته في جميع أفعاله وأوامره فهو المحمود على كل حال وعلى كل ما خلقه وشرعه ثم عقب هذا الحمد بملكه الواسع المديد فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[4] ثم عقبه بأن هذا الحمد ثابت له في الآخرة غير منقطع أبدا فإنه حمد يستحقه لذاته وكمال أوصافه وما يستحقه لذاته دائم بدوامه لا يزول أبدا، وقرن بين الملك والحمد على عاداته تعالى في كلامه فإن اقتران أحدهما بالآخر له كمال زائد على الكمال بكل واحد منهما فله كمال من ملكه وكمال من حمده وكمال من اقتران أحدهما بالآخر فإن الملك بلا حمد يستلزم نقصا والحمد بلا ملك يستلزم عجزا والحمد مع الملك غاية الكمال.

ونظير هذا العزة والرحمة والعفو والقدرة والغنى والكرم فوسط الملك بين الجملتين فجعله محفوفا بحمد قبله وحمد بعده ثم عقب هذا الحمد والملك باسم الحكيم الخبير الدالين على كمال الإرادة وأنها لا تتعلق بمراد إلا لحكمة بالغة وعلى كمال العلم وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بخبره فنسبة الحكمة إلى الإرادة كنسبة الخبرة إلى العلم فالمراد ظاهر والحكمة باطنة والعلم ظاهر والخبرة باطنة فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة وكمال العلم أن يكون كاشفا عن الخبرة فالخبرة باطن العلم وكماله والحكمة باطن الإرادة وكمالها فتضمنت الآية إثبات حمده وملكه وحكمته وعلمه على أكمل الوجوه ثم ذكر تفاصيل علمه بما ظهر وما بطن في العالم العلويّ والسفليّ فقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا

[1] سورة المائدة: 98

[2] جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، ج1ص174

[3] سورة سبأ: 34-02

[4] سورة سبأ: بعض الآية 01

يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾[1] ثم ختم الآية بصفتين تقتضيان غاية الإحسان إلى خلقه وهما الرحمة والمغفرة فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه برحمته ويعفو عن زلتهم ويهب لهم ذنوبهم ولا يؤاخذهم بها بمغفرته فقال: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾[2] فتضمنت هذه الآية سعة علمه ورحمته وحكمه ومغفرته[3].

16. **أن يتعلق كل اسم بطرف دون آخر**: وقد يرد الاسمان ويكون كل منهما أشد تعلقا بطرف دون طرف آخر، فيجمع الله بينهما، لكن هذا لا يمنع أن يشمل كل اسم ما تعلق به الاسم الآخر، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾[4] ولعل العفو راجع إلى الرجال والغفران إلى النساء والولدان[5]، وفي قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾[6]. لما كان المقام لإنزال الآية القاهرة، قدم قوله: ﴿العزيز﴾ أي القادر على كل من قسرهم على الإيمان والانتقام منهم ﴿الرحيم﴾ في أنه لم يعاجلهم بالنقمة، بل أنزل عليهم الكتاب ترفقاً بهم، وبياناً لما يرضاه ليقيم به الحجج على من أريد للهوان، ويقبل بقلوب من يختصه منهم للإيمان، قيل: والمعنى أنه عز في نقمته من الكفار، ورحم مؤمني كل أمة[7]، قال القرطبي (–671 هـ): يريد المنيع المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه[8]. قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً[9].

---

[1] سورة سبأ: بعض الآية 02

[2] سورة سبأ: بعض الآية 02

[3] بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1ص138–139

[4] سورة النساء: 98–99

[5] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج2ص304

[6] سورة الشعراء: 06–09

[7] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج5ص349

[8] تفسير القرطبي، ج13ص91

[9] التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج24ص105

17. **ترتيب الاسمين على حسب ما يتوافق مع السياق:** ترتيب الاسمين ليس عشوائيا بل إنه ينتظم مع ما يقتضيه السياق والمقام، نجد مثالا على تقديم العليم على الحكيم في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾[1] وترتيب الوصفين على غاية الإحكام -كما ترى- لأن الحال داع إلى العلم بما غاب من الأسباب أكثر من دعائه إلى معرفة حكمتها. فقال: ﴿العليم الحكيم﴾ ؛ العليم: البليغ العلم بما خفي علينا من ذلك، فيعلم أسبابه الموصلة إلى المقاصد، الحكيم: البليغ في إحكام الأمور في ترتيب الأسباب بحيث لا يقدر أحد على نقض ما أبرمه منها[2]. قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم في قوله: ﴿رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾[3] لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً[4].

18. **دلالة جملة الاسمين على القصر:** ومعناه قصر الوصف على الله تعالى بحيث لا يمكن أن يشاركه فيه غيره، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5] وتعريف جزأي هذه الجملة والإتيان بضمير الفصل يفيد قصرين للمبالغة في كمال الوصفين له تعالى بتنزيل سمع غيره وعلم غيره منزلة العدم. ويجوز أن يكون قصراً حقيقياً باعتبار متعلق خاص أي السميع العليم لدعائنا لا يعلمه غيرك وهذا قصر حقيقي مقيد وهو نوع مغاير للقصر الإضافي لم ينبه عليه علماء المعاني[6]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[7] دلالة قصر من طريق تعريف جزأي الجملة[8].

19. **جملة الأسماء الحسنى مبينة لجواب الشرط:** قد تقع الجملة المتضمنة للأسماء الحسنى في موضع المبين لجواب الشرط، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[9]

---

[1] سورة يوسف: 83
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ج4ص88-89
[3] سورة الشعراء: 06-09
[4] التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج24ص105
[5] سورة البقرة : بعض الآية 127
[6] تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج1ص719
[7] سورة الحديد: 03
[8] تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج27ص367
9 سورة النساء: 149

فإن قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ دليل جواب الشرط، وهو علّة له، وتقدير الجواب: يَعفُ عَنكم عند القدرة عليكم، كما أنّكم فعلتم الخير جهراً وخفية وعفوتم عند المقدرة على الأخذ بحقّكم، لأنّ المأذون فيه شرعاً يعتبر مقدوراً للمأذون، فجواب الشرط وعد بالمغفرة لهم في بعض ما يقترفونه جزاء عن فعل الخير وعن العفو عمّن اقترف ذنباً. جملة الجزاء تحريض على العفو ببيان أنّ فيه تخلّقاً بالكمال، لأنّ صفات الله غاية الكمالات. والتقدير: إن تبدو خيراً الخ تكونوا متخلّقين بصفات الله، فإنّ الله كان عفوّاً قديراً[1].

20. **دلالة الاسمين على الطباق:** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[2] وإنما أوثر وصف ﴿الآخر﴾ بالذكر دون (الباقي) لأنه مقتضى البلاغة ليتم الطباق بين الوصفين المتضادين ﴿الأول والآخر﴾. والجمع بين وصفه بـ (الظاهر) بالمعنى الراجح و(الباطن) كالجمع بين وصفه بـ (الأول والآخر). وفي الجمع بينهما محسن المطابقة.

وفائدة إجراء الوصفين المتضادين على اسم الله تعالى هنا التنبيه على عظم شأن الله تعالى ليتدبر العالمون في مواقعها[3].

والخلاصة: أننا إذا تأملنا جميع الآيات التي خُتمت بأسماء الله الحسنى وجدنا بينها علاقة وصلة وثيقة، سواء أكانت في ميدان العقيدة أم مجال الأحكام، مما دلالة قاطعة لا تحتمل الريب أو الشك على أن ترتيب هذا القرآن في آياته وسوره هو بتوقيف من الله تعالى لم يخضع في ذلك لاجتهاد إنسان، فكل كلمة فيه قد وُضعت في محلها، وكل كلمة من كَلِمِهِ رُتبت مع أخواتها أحسن ترتيب، فهو كتاب أحكم في حروفه، وكلماته، وآياته وسوره.

---

1 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج6ص7

2 سورة الحديد: 03

3 تفسير التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج27ص362-363